جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

محاضرة الاولى

(حاضر العالم الإسلامي)

- جعل الإسلام من المسلمين أمةً خاصة دون الناس ، متميزة ليست كغيرها من الأمم .
- الأمة الإسلامية ذات شخصية مختلفة تمام الاختلاف عن الشخصية التي عرفها العالم قبلها من خلال مفهوم التفسيرات المنحرفة إلى العنصرية أو التعدد أو عزل الأخلاق عن الشريعة أو العقيدة عن الأخلاق .
- نظرة الإسلام المتكاملة للكون والحياة والمجتمع أثرت تأثيراً بعيداً في مفاهيم الحضارة والنظم والمناهج .
- قال تعالي : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون﴾ وقد وصف الله سبحانه وتعالي هذه الأمة بأنها خير الأمم ﴿كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾
- وضع الله سبحانه وتعالي في هذه الآية مواصفات هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله .
- ظل الفكر الإسلامي انطلاقاً من طبيعته ومضمونه القائم على التوحيد الخالص يواجه ويدلي رأيه فيها ولا يتوقف عن النظر المنصف ولا يتقبل كل شئ .فالفكر الإسلامي بسماحته وانفتاحه على الثقافات والفكر العالمي قادر على الأخذ .
- حفظ الإسلام من الانهيار والتفكك بقاء القرآن الكريم بعيداً عن كل الأخطار سليماً لم يمسه سوء مصداقاً لقوله سبحانه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .
- بقيت السنة النبوية هادية للمسلمين بعد أن أسلمنا إياها أسلافنا نقية تنير للمسلمين الدرب ، وكذلك العلماء الذين يهتدون بالقرآن والسنة الذين لم يخل منهم زمن .

تحدد وضع الناس في أمة الإسلام على النحو الآتي :

١. إن هذه الأمة تجمع شمل كل المسلمين بلا استثناء ممن عاش داخل العالم الإسلامي وخارجه .
٢. إن هذه الأمة موجودة بالفعل سواء تجمعت أوصالها في دولة واحدة أو في مجموعة من الدول .
٣. إن هذه الأمة تفتح صدرها لمن لم يكن مسلماً ويعيش مرتبطاً في المكان ومشاركاً في مسئوليات الحياة ، وعلى هذا كان وصف الأمة الإسلامية بأمة الوسط ، قال تعالي :﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ .

الوسط هو الخيرية في كل شئ ، وعدم الإفراط والتفريط والغلو والتقصير ، وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية :

وحدة الإسلام بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم .

أقام الإسلام هذه الوحدة على أسس بينة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال.

قال ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا) وقد وكل إلى المسلمين رسالةً واضحةً مشرقةً قويةً لا يعرف العالم ولن يعرف رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية ، ومن هنا جاءت الرسالة بالدعوة إلى الله .

الرسالة هي الدعوة إلى الله وحده وما ينبني على التوحيد من واجبات ، فقامت الرابطة بين أبناء الأمة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية ، أساس الدين الإسلامي الذي هو فطره الإنسان ففيه :

1-**توحيد الإله :** الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فإقرار المسلم بالإله الواحد يعني إفراد العبودية لله وحده ، وتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى عدل السماء . وعلى ذلك يكون توحيد الإله من أهم الروابط التي تجمع الأمة .

2-التوجه نحو كعبة واحدة في الصلاة : حيثما يكون المسلم يتوجه إلى البيت الحرام في مكة ، مما يحقق وحدة الهدف، يعود المسلمين الاتجاه الخالص الذي لا تنشتته أهداف جانبية ولا تتنازعه غايات دنيوية تزول ، وتنتفي الفوارق الطبقية .

3-وحدة الكتاب –القرآن الكريم : الذي يقوم عليه التشريع وتؤخذ منه الأحكام في مختلف شئون الحياة التعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية مما يحقق وحدة الفكر ووحدة الثقافة ووحدة الاتجاه وهي من الأسس الهامة التي لا تقوم لأمة بغيرها قائمة .

4-وحدة الحج إلى بيت الله الحرام : الحج مؤتمر إسلامي سنوي عام يوحد بين المسلمين مما دفع المستشرق لوثروب ستودوارد أن يقول :

" إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين أساساً ولا ثالث لهما ، الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة و الخلافة، وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وَهْمٌ من هذا الموضوع ، فهم ما برحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يشارك المسلمون ميولاً وعواطف تشاركا مؤدياً إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها على أن هذا لمن الوهم الصرف .....،

- فالأمر حقاً على الضد منه ... فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح .
- يواصل المستشرق قوله : " إنما الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام ... ومن هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن السنوسي والإمام محمد احمد المهدي وجمال الدين الأفغاني تشعر بجلالة الواجب الإسلامي المقدس وتتقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين "فهو يغذى روح الوحدة الإسلامية العامة .....،
- الحج يغذي روح الوحدة الإسلامية العامة ، التي تترفع على العصبيات والقوميات ، ومن يحج فيه حماسة دينية لمُثل الإسلام العليا ، كما أنه وسيلة لنقل وتبادل العلوم والأفكار بين المسلمين ، ويفتح عقل المسلم على أساليب أعداء الإسلام ويفضحهم .

5- وحدة اللغة : وهي اللغة العربية التي اختارها الله سبحانه لتكون لغة القرآن الكريم وحث نبيه الناس على تعلمها والتكلم بها لمعرفة أحكام الإسلام وتفهم تشريعاته ، فاللغة العربية ليست للعرب وإنما هي للمسلمين جميعاً ، وهي وسيلة التفاهم بين المسلمين ووسيلة التعاون .....،

- اللغة العربية هي وسيلة التعاون والوعاء الذي يحفظ الإسلام منهجاً وينقل تراثه ، قال النبي ﷺ : (وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي " وقال عمر بن الخطاب ﷺ :" تعلموا العربية فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم " فمعرفة العربية واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهمان إلا بالعربية ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب "
- حفظ القرآن هذه اللغة وصانها الإسلام ونشرتها دعوة التوحيد بين الأمم في أقطار المعمورة ولولا المؤامرات والهجمات
- لولا الهجمات الشرسة التي قادها المستعمرون والشعوبيون على اللغة العربية لما وجد مع اللغة العربية في أقطار شبة القارة الهندية واندونيسيا وماليزيا وأفريقيا لغة أُخري تضارعها انتشاراً .

6-**التاريخ المشترك لأمة الإسلام :** الذي ينتج عنه وحدة الآمال والآلام ويجعل من المسلمين أمة واحدة يحس كل فرد منهم بإحساس الآخر في السراء والضراء ، فكل مسلم يتجه إلى الآخر في مشاركته الوجدانية في مواقع بدر والفتح وتبوك واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وبلاط الشهداء ونكبة المسلمين في الأندلس وفي فلسطين .

كذلك تتضح مشاركة الآخر في وضع المسلمين في الاتحاد السوفيتي واريتريا و الفلبين وفطاني وأفغانستان و الهند وكشمير وإثيوبيا وغيرها .

لا توجد بلاد افتخرت بمن فتحها واعتزت به وجعلته ميلاداً لتاريخها طوعاً ، غير بلاد الإسلام فمصر اعتزت بعمرو بن العاص والشام اعتزت بأبي عبيدة وخالد وغيرهما ، والعراق اعتز بسعد بن أبي وقاص ، وشمال إفريقيا اعتز بعقبة بن نافع وحسان بن النعمان وباكستان اعتزت بمحمد بن القاسم ، وكل ذلك تم فضل قيم وتعاليم ووحدة المسلمين .

7-**وحدة النبوة والرسالة :** قال تعالي : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ومن ذلك تنتج وحدة القيم والتقاليد والعادات بين أبناء المسلمين في مختلف أقطارهم ، فأنى توجهت في أرجاء العالم الإسلامي تجد بين المسلمين قيم صلة الرحم وحق الجار والحشمة والوقار ونبذ المنكرات وآداب المعاملات واحدة ، حتي أنك لا تجد غرابة أو تنافر حين يضمك جمع من المسلمين الواعين على الإسلام ولو كان في أقطار شتي لان الإسلام وحدهم وجمع شملهم

ألف الإسلام بين المسلمين ووحد قيمهم وتقاليدهم وفقاً لأحكام القرآن الكريم ومفاهيم السنة الشريفة ، قال تعالي : ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ قال الرسولﷺ " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاظمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " وهذا ولم يهمل الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فدعاهم أهل المجتمع لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وقد حدد علاقات المسلمين بهم على أسمي ما عرفت البشرية من علاقات تجاوزت حد الانصاف إلى آفاق البر والرحمة يقاتل دونهم ويحميهم ويعينهم

في ضوء مفهوم الأمة نجد أن الإسلام يقيم من أهله أمة كاملة على أوافق وأكمل ما يكون نظام الأمم .

ومفهوم الأمة الإسلامية أكثر شمولاً من مفهوم العالم الإسلامي فهو يتسع حتي يشمل المسلمين جميعاً في جميع أركان العالم وأقطاره ، فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تقتصر على شعب معين او بلاد معينة ، فكل أرض لا تصلح للإسلام ولدعوته ولمبادئه مهما كانت طبيعتها ومهما كان جنس سكانها ولونهم ولغتهم ، قال تعالي : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا

العالم الإسلامي اليوم هو تلك الرقعة من الأرض التي تكاد تكون متصلة دونما حواجز أو فواصل ، في العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) من إيريان الغربية شرقاً في اندونيسيا إلى جزر الرأس الخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي غرباً ، ومن جبال الأورال وسيبيريا شمالاً إلى موزمبيق جنوباً . فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل البلدان التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقاً أو كانت ذات أغلبية مسلمة

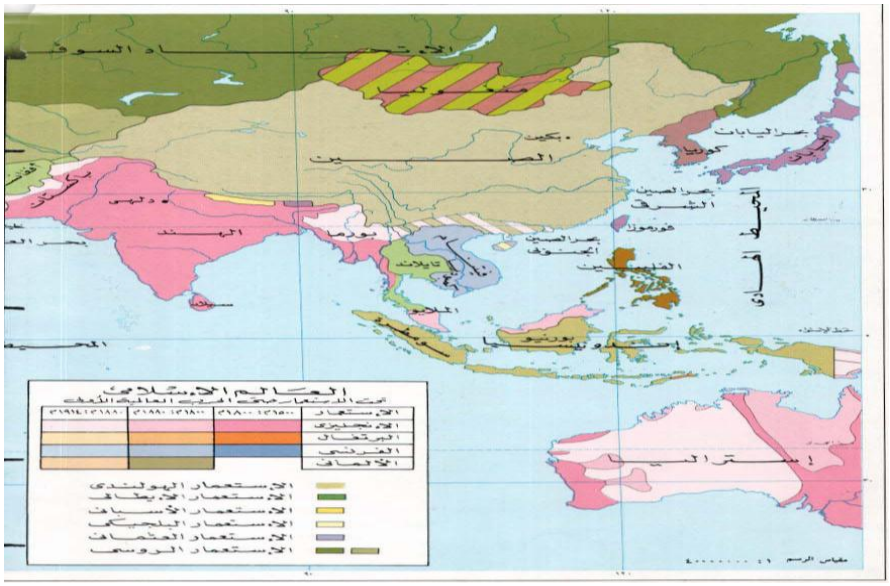

من خلال ذلك يتضح أن مساحة العالم الإسلامي تزيد على 37 مليون كيلومتر مربع ، ويعيش فيه أكثر من 850مليون نسمة باستثناء الأقاليم التي انحسر عنها المد الإسلامي في الأندلس وصقلية والبلقان والهند .

رغم المعوقات مازال الإسلام يتوسع خصوصاً في منطقتين هامتين من مناطق العالم هما قلب إفريقيا وجنوبها وجنوب شرق آسيا ، إضافة إلى أن الإسلام شق طريقة إلى العالم الجديد امريكا الشمالية والجنوبية واستراليا والإسلام هو ديانة المستقبل وقارة إفريقيا بشكل خاص هي قارة المستقبل

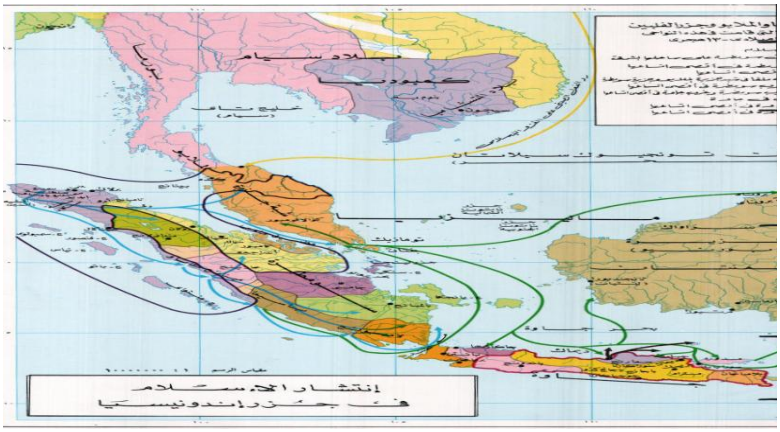

- انتشر الإسلام في بقاع العالم ويزداد انتشاره يوم بعد يوم رغم الهجمات الشرسة التي يقوم بها أعداء الإسلام .
- تعرضت الكثير من الأقليات الإسلامية إلى الكثير من المشاكل بغرض تذويبها على إطار عقيدة الدولة الغير إسلامية واتخذت العديد من السبل لاضطهاد المسلمين .
- في إقليم المورو الإسلامي يجاهد المسلمون لنيل حريتهم من قيضة الهجمة الصليبية الفلبينية .
- في فرنسا ألف العمال المسلمون الأتراك في بوردو وضواحيها في اوائل عام 1985م جمعية إسلامية واستأجروا
- ....استأجروا مكاناً اتخذوه مسجداً لصلاتهم ويعلمون فيه أبناءهم القرآن الكريم والدين الإسلامي .
- في بريطانيا يوجد عدد كبير من المدارس الإسلامية ويطالب المسلمون باستقلال مدارسهم الإسلامية .
- في اسبانيا انطلق صوت الأذان لأول مره بعد 500عام من خروج المسلمين من الأندلس فتقرر بناء مسجد في مدريد بعد زيارة الملك فهد بن عبد العزيز لمدريد في فبراير 1985م ويكون تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي

بلغ عدد المسلمين في الولايات المتحدة أربعة ملايين مسلم وتبلغ مدارسهم الإسلامية عام 1985م أربعين مدرسة

- ذكر لويس فرخان زعيم المسلمين في الولايات المتحدة أن عدد المسلمين تجاوز 30مليون نسمة وطالب بتكوين أمة خاصة بالسود المسلمين لحمايتهم من الاضطهاد .
- عقد المؤتمر الأول لمستقبل الدعوة الإسلامية في أمريكا الجنوبية –برازيليا- عام 1985م برعاية رابطة العالم الإسلامي بغرض بحث المشكلات التي تعترض جهود الدعوة والدعاة .

استراليا دخلها الإسلام عام 1850م على يد الأفغان الذين استقدموا مع الإبل المستخدمة في النقل والكشوف الجغرافية فأسسوا العديد من المصليات عبر طرق القوافل التي سلكوها كما بلغ عدد المساجد عشرة

- كذلك دخل الإسلام استراليا من رافد آخر عن طريق هجرة المسلمين من أقطار عديدة مسلمة وقد بدأت الهجرة منذ عام 1334ه فازداد عدد المسلمين .
- وبذل الملك خالد بن عبد العزيز جهود كبيرة للعناية بالمسلمين في استراليا فدفع مليون دولار لبناء المدارس كما ساهمت المملكة في إنشاء 45 مركزاً إسلاميا عام 1406هـ

الحكومة الاسترالية لا تعوق الدعوة الإسلامية ولكن اليهود وهم الذين يسيطرون كلياً على الصحف وجميع وسائل الإعلام ورأس المال يقفون في وجه الدعوة

تواجه الأقليات الإسلامية أربع دوائر للخطر هي :

- **الصليبية :** التي تمارس لونين من الغزو العسكري والفكري ، كما يحدث في الفلبين وأوغندا ودول الهند الصينية والإفريقية .
- **الصهيونية :** هي سرطان الأمة الإسلامية وتحاول جاهدة تحجيم الوضع الإسلامي أياً كان حجمه في مختلف الأرجاء.
- **الشيوعية :** تحارب الإسلام وتعمل على ابادت المسلمين كما في الاتحاد السوفيتي وغيرها من الدول الشيوعية

بدأ الاهتمام الرسمي بالأقليات عام 1931م مؤتمر القدس ثم نداء التضامن الذي وجه الملك فيصل عام 1972م احتجاجاً على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الثانية

أهمية العالم الإسلامي

يتمتع العالم الإسلامي بمميزات متعددة أكسبته أهميةً كبيرةً كما جعلته موطن الصراع بين القوي العالمية المختلفة ، ومن هذه المميزات :

أولاً موقعه الاستراتيجي :

العالم الإسلامي يشغل قلب العالم القديم (آسيا ،إفريقيا ،أوربا) ويمتد على مسافة تقدر بنحو 20ألف كم من الشرق إلى الغرب ، من ايريانا في اندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي ، كما يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب أكثر من سبعة آلاف كيلو متراً .

امتداد العالم الإسلامي من الشمال إلى الجنوب أكثر من سبعة ألف كيلومتراً ، من جبال الآرال شمالاً إلى موزمبيق جنوباً .

يشرف العالم الإسلامي على الأذرع المائية من البحار والمحيطات ويتحكم في منافذها الهامة .

- **البحار الهامة التى يشرف عليها العالم الإسلامى هى :**

البحر الأبيض المتوسط : يعتبر من أهم بحار العالم من حيث القيمة التاريخية والتجارية ، وتشغل أرض الإسلام ساحله الجنوبي وساحله الشرقي وبعض سواحله الشمالية –ألبانيا وآسيا الصغرى- وكان في العصور الوسطي بحيرة إسلامية

ازدادت أهمية البحر المتوسط في العصور الحديثة بعد شق قناة السويس وبعد انتشار المواصلات الجوية حيث أصبح طريقاً إجبارياً للطيران التجاري الجديد .

البحر الأحمر : هو بحر إسلامي يمتلك المسلمون سواحله كلها وقد ازدادت أهميته بعد اتصاله بالبحر الأبيض المتوسط بقناة السويس ، فأصبح أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة

الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهندي والهادي ، ويبلغ طوله 3384كم ومتوسط عرضه 240كم ويقترب عند

يقترب عند بداية البحر الأحمر من الجنوب مضيق باب المندب ، فلا يتجاوز الفاصل المائي 33كم مما يسهل العبور بين جنوب غرب آسيا وشرق إفريقيا .

بحر العرب : يمتد من مضيق باب المندب إلى الهند ويمتلك المسلمون سواحله جميعاً .

الخليج العربي : بحيرة إسلامية تشرف عليه سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية وإيران والعراق .

البحر الأسود :بحيرة إسلامية قبل أن يمتد الروس إلى بقاعه وسواحله الشمالية بموجب اتفاقية كوجك قينارجي عام 1774م

أصبح البحر السود بحيرة روسية بموجب اتفاقية كوجك قينارجى عام 1774م حيث أصبح لهم منفذ مباشر عليه وحصلوا على حق المرور بسفنهم في المضايق .

بحر البنغال : تقع عليه بنغلادش وإقليم أراكان الإسلامي في بورما .

بحر الصين الجنوبي : يطل عليه العالم الإسلامي من جهة ماليزيا الشرقية ، وبروني ، وبورنيو الاندونيسية ، وموورو في جنوب الفلبين .

هذه البحار تمثل أهمية كبري لموقع العالم الإسلامي الاستراتيجي ، إذ يقع في قلب العالم القديم والحديث .

- **المحيطات الهامة في العالم الإسلامي**

المحيط الأطلسي : يمتلك المسلمون معظم سواحل إفريقيا الغربية المطلة على هذا المحيط من طنجة شمالاً إلى بيافرا جنوباً .

المحيط الهندي : يمتلك المسلمون قسطاً كبيراً من ساحل إفريقيا الشرقية (الصومال ، وتنزانيا) المطلة على هذا المحيط كما يمتلكون شواطئ آسيا الجنوبية من باب المندب إلى كراتشي (بحر العرب) وشواطئ ماليزيا واندونيسيا .

المحيط الهادي : يطل على العالم الإسلامي من خلال بعض جزر اندونيسيا والفلبين .

- **أهم المنافذ المائية التي يتحكم فيها العالم الإسلامي**

مضيق جبل طارق : يتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط .

مضيق بنزرت : يتحكم في اتصال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي بحوضه الشرقي .

مضيق الدردنيل والبسفور : وبينهما بحر مرمره ويتحكمان في اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود .

قناة السويس : وهي أهم المنافذ المائية الاصطناعية في العالم ويتحكم في اتصال البحر المتوسط بالبحر الأحمر .

مضيق باب المندب وخليج عدن : يتحكمان في اتصال البحر الأحمر ببحر العرب والمحيط الهندي .

مضيف باب المندب (أو بوابة الدموع) لا يزيد اتساعه عن 33كم تقسمه جزيرة ميون أو بريم إلى قسمين ، ضيق من جهة الشرق 3كم فقط والباقي من جهة الغرب .

مضيق هرمز وخليج عمان : ويحكمان اتصال الخليج العربي بالمحيط الهندي .

مضيق ملقا وسنغافورة : ويحكمان اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي .

موقع العالم الإسلامي أكسبه أهميةً إستراتيجيةً وعسكريةً لها خطورتها في ميزان القوي الدولية . وهذا يفسر الاضطرابات والخلافات الحادة بين الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي

الدول ذات النفوذ تعمل على إبقاء العالم الإسلامي مضطرباً وتعمل على إثارة المشاكل حتي يبقي ممزقاً يسهل التحكم فيه.

وهذا يفسر الأسباب التي جعلت الدول الكبري تثير النزاعات بين أقطار المغرب العربي ، مشكلة تشاد ، قضايا المسلمين في اثيوبيا واريتريا والصومال ، النزاع في اليمن ، الحرب العراقية الإيرانية ، المشكلة الفلسطينية ، وغيرها من المشاكل

ثانياً : وفرة الثروات في العالم الإسلامي وتنوعها

يمتاز العالم الإسلامي بأهميته الاقتصادية بما حباه الله من ثروات متنوعة زراعية ومعدنية وحيوانية وهذه فكرة موجزة عن هذه الثروات :

الثروات الزراعية : العالم الإسلامي فيه أراضي زراعية واسعة وتجري فيه الكثير من الأنهار الهامة منها : نهر النيل والنيجر والملوية والسوس في إفريقيا ودجلة والفرات والسند والغنج وسرداريا (سيحون) وامودايا (جيحون) والعاصي والليطاني والأردن في آسيا ، بالإضافة إلى مياه العالم الإسلامي الجوفية الكثيرة .

نظراً لاتساع العالم الإسلامي يتنوع مناخه ، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الثروات الزراعية والذي يؤدى بدوره إلى التكامل الزراعي الذي لا يتوفر لأي عالم غير عالم الإسلامي وهذا بدوره يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي .

- **الأقاليم المناخية الإسلامية**

المناخ الاستوائي : حار ممطر طوال العام غابات كثيفة ويسود في الملايو وأكثر الجزر الاندونيسية وجنوب السودان

المناخ الموسمي :حار ممطر صيفاً وغاباته كثيفة ويسود في بنغلاديش واليمن وعمان ونيجيريا وساحل خليج غينيه وهضبة الحبشة .

المناخ السوداني : حار ، أمطاره صيفية وأقل من أمطار المناخ الموسمي وتنمو فيه الأعشاب الطويلة –السافانا –التي تصلح كمراعي ، يسود في السودان وتشاد والنيجر ومالي والسنغال .

المناخ المعتدل الدافيء : مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط ويسود على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشرقية والشمالية .

المناخ القاري : وهو إما صحراوي حار في الصحراء الإفريقية الكبري وشبه جزيرة العرب وجنوب إيران وجنوب باكستان وصحراء ثار في الهند أو صحراوي بارد في هضبة إيران وهضبة الأناضول والتركستان .

- **الغلات الزراعية الهامة في العالم الاسلامي**

الأرز : ماليزيا ، بنغلاديش ، باكستان ، مصر ، اندونيسيا .

القمح :إيران ،أفغانستان وتركيا وباكستان والشام والعراق وأقطار المغرب العربي .

الخضروات والفواكه :إقليم البحر الأبيض المتوسط ، الموز في الصومال وافريقية الغربية والحمضيات في تركيا وشمال إفريقيا وبلاد الشام وخاصة فلسطين ، ونخيل التمر في المناطق الصحراوية . هذا إضافة للكثير من الخضروات التي توافرت لها كل مقومات الإنبات من مناخ وتربة وري.

القطن : ينتج العالم الاسلامي أنواعه المختلفة :

أ - طويل التيلة : في مصر والسودان
ب -متوسط التيلة : في تركيا وباكستان وأفغانستان وإيران
ج -قصير التيلة : في المغرب العربي وباكستان

يزرع القطن في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي في إقليم تركستان في وادي سرداريا وامودايا وفي أذربيجان وداغستان غربي بحر قزوين وتنتج المنطقة وحدها أكثر من إنتاج دول العالم الاسلامي مجتمعة .

يصل إنتاج العالم الاسلامي إلى 40% من الإنتاج العالمي وتستغل بذور القطن في صناعة زيت القطن .

الحبوب الزيتية : لصناعة الزيوت النباتية كالسمسم في مصر والسودان واندونيسيا وتركيا ، والفول في السودان ونيجيريا .

الأشجار الزيتية : زيت النخيل وجوز الهند في اندونيسيا وماليزيا وبنغلاديش والزيتون في إقليم البحر الأبيض المتوسط

قصب السكر : في باكستان واندونيسيا وبنغلاديش ومصر .

بنجر السكر :في تركيا وسوريا وإيران وأفغانستان .

المطاط :من محاصيل الأشجار الغابية في الإقليم المداري وتنتج نيجيريا 72% من الإنتاج العالمي ، وينتج في الملايو.

الغلات العلفية : الذرة والشعير والبرسيم والشوفان في كثير من البلدان الإسلامية التي تربي الأبقار .

- **الثروات الحيوانية** :

العالم الاسلامي فيه الكثير من المراعي الطبيعية الواسعة :

أ - **السافانا :** هي الحشائش التي تتخللها الأشجار وتوجد على نطاق ضيق في بعض الأجزاء الغربية من باكستان ، والأجزاء الشرقية من جزيرة جاوه ، وبعض جزر اندونيسيا الشرقية والسودان ومالي وشمال شرق نيجيريا .
ب -**الأستبس :** هي السهوب ذات الحشائش الخالية من الأشجار وتوجد في مالي وموريتانيا والنيجر ووسط السودان

كذلك توجد الاستبس في الصومال والجزائر والمغرب والتركستان وهضبة الأناضول وبعض أجزاء هضبة إيران .

الكلأ الصحراوي : هي الأعشاب الشوكية والشجيرات القصيرة وتوجد في الصحراء الكبري الإفريقية والصومال وشبه جزيرة العرب وهضبة إيران وجنوب تركستان .

وجود هذه المراعي أدي لانتشار تربية الإبل والماعز في الصحراء العربية والخيول والأغنام والجمل ذو السنامين والياك (وهو حيوان يشبه البقر) في تركستان والإبل والبقر والماعز والأغنام في أفغانستان وإيران . والخيل والبقر والماعز من نوع الأنجورا المشهورة بشعره الجيد في تركيا

- **الثروة المائية وصيد البحر**

يطل العالم الاسلامي بجبهات طويلة على مسطحات الماء لمجموعة من البحار التي تتوغل في جسم اليابس على شكل خلجان وأذرع كبيرة .

كذلك يحتوي العالم الاسلامي على أنهار كبيرة وبحيرات وبحار داخلية كبحر قزوين مما جعله غنياً بالثروة المائية وصيد البحر ولكن استغلاله لهذه الثروات قليل في الوقت الحاضر .

بعض الدول العربية الإسلامية استفادت من التقنية الحديثة في الاستفادة من صيد البحر من المغرب في أغادير .

أهم الثروات المائية

أ-الأسماك : وتستغلها اندونيسيا وباكستان وتركيا وماليزيا ومصر والمملكة العربية السعودية ومملكة المغرب .

الأسفنج : ويصاد من أعماق تتراوح بين 6 أقدام و15 قدماً ويكون صيده بالقرب من سواحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل البحر الأحمر .

اللؤلؤ : ويصاد من مياه الخليج العربي وبالقرب من سواحل باكستان وبعض مناطق البحر الأحمر وكانت له شهرة تاريخية كبيرة وقد أخذت أهميته الاقتصادية تتدهور تحت ضغط منافسة اللؤلؤ الصناعي الرخيص الثمن .

- **الثروة المعدنية :**

العالم الاسلامي عني بمعادنه المستغلة والغير مستغلة أهمها :

أ-البترول والغاز الطبيعي : وتحتل دول العالم الاسلامي المركز المتفوق في مجال إنتاجه واحتياطيه الذي يقدر بأكثر من 75% من احتياطي العالم كله .

أهم مناطق إنتاج البترول والغاز الطبيعي :

أ - منطقة الخليج العربي : السعودية والعراق وإيران والكويت وقطر وعمان والأمارات العربية .
ب -منطقة جنوب شرق آسيا : ماليزيا واندونيسيا . بروني
ج -منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود وتستغله روسيا السوفيتية .
د - منطقة خليج السويس ، مصر
ه - منطقة شمال إفريقيا ، ليبيا والجزائر .
و - منطقة غرب إفريقيا نيجيريا

وكانت الشركات الأجنبية تتلاعب كما تشاء في إنتاجه وتسويقه إلى أن تكونت منظمة الدول المصدرة للبترول الأوبك عام 1960م فحافظت على الأسعار .

استخدم الملك فيصل بن عبد العزيز سلاح البترول في حرب عام 1973م .

الدول العشرة المصدرة للبترول ، السعودية ، الكويت ،الاتحاد السوفيتي المكسيك ، إيران ، العراق ، ابوظبي الولايات المتحدة وفنزويلا وليبيا .

ب-الفوسفات : ويستعمل لصناعة الأسمدة وتنتجه كل من المغرب والجزائر وتونس والسنغال ومصر والأردن وسوريا

الكوبلت: من معادن السبائك ويمنع الصلب من الصدأ تصنع منه الطائرات النفاثة والآلات التي تدخل في صناعة الأسلحة الذرية والمملكة المغربية هي رابع دولة في العالم في إنتاجه الكروم هو معدن يستعمل في صناعة السبائك المعدنية ينتج45% وتنتجه تركيا وإيران وباكستان والسودان

الحديد : تنتجه ماليزيا وتركيا وإيران وباكستان ومصر وغينيا وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس .

القصدير : هو معدن تحتاجه الصناعات المعدنية الهامة فهو يشترك مع النحاس لتكوين البرونز ، ويستعمل في صناعة الصفيح والعلب التي تحفظ المأكولات وفي عمليات اللحام والسبائك البرونزية ينتج العالم الإسلامي أكثر من نصف الإنتاج العالمي من بلدان ماليزيا واندونيسيا وأقطار المغرب العربي وإيران وتركيا ونيجيريا .

المنغنيز : يدخل في صناعة السبائك والصلب وفي الصناعات الكيميائية وأهم البلدان مصر والمغرب وتركيا .

الرصاص : وينتج في إيران وتركيا والمغرب والجزائر وتونس ، إضافة لأملاح الصوديوم والبوتاسيوم والبروم والمغنيزيوم- الأملاح المعدنية .أشهر أماكن استغلال هذه الأملاح الهامة ، البحر الميت حيث يقوم العدو الإسرائيلي باستغلالها في فلسطين .

من المعادن الهامة فى العالم الإسلامى :

الكولمبايت وتنتجه نيجيريا 90% من الإنتاج العالمي ويستغل بعد خلطه بمعادن أخري في صناعة محركات الطائرات النفاثة ، كما توجد معادن أخري ، الذهب والنحاس والتيتانوم والتنجستن والفحم الحجري واليورانيوم .

- **الثروة الصناعية**

مقومات الصناعة متوفرة في العالم الإسلامي وتتمثل في :

أ - توفر المواد الخام من موارد زراعية وحيوانية وغابية .
ب -توفر مصادر الطاقة –القوي المتحركة من بترول وغاز طبيعي ومساقط مياه لتوليد الكهرباء وفحم حجري وطاقة شمسيه
ج -توفر رؤوس الأموال وخاصة في البلدان المنتجة للبترول
د - توفر الأيدي العاملة وخاصة في اندونيسيا ومصر وباكستان ومصر وسوريا وتونس
ه - توفر الأسواق الاستهلاكية لاتساع العالم الإسلامي .

العالم الإسلامى مركز المواصلات العالمية

العالم الإسلامي مركز للمواصلات العالمية البرية والبحرية والجوية ويعود ذلك إلي :

أ - موقع العالم الإسلامي في قلب العالم القديم والجديد .
ب -إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة .
ج -توفر مواد الوقود والموانئ الجوية والبحرية .
د - صفاء أجوائه معظم أيام السنة الذي جذب خطوط الطيران وقد زادت هذه الأهمية بشق قناة السويس التي سهلت الاتصال بين الشرق والغرب .

حاضر العالم الإسلامي

محاضرة رقم (3)

العوامل الداخلية لضعف العالم الإسلامى :

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها

- **واجه الإسلام منذ ظهوره في مكة إلى أن قامت دولته في المدينة الكثير من التحديات ، تحدي وثنية قريش ، وتحدي أهل الكتاب والنصارى داخل شبه الجزيرة العربية .**
- **كذلك تعرضت دولة المدينة إلى محن داخلية إذ تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي من بذر التناقضات بين المسلمين .**
- **اشتد التحدي بين الإسلام وبين من تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب ومن الفرس والمجوس واستمرت الأحداث زمن الأسرة الأموية ، العوامل الداخلية أهم من العوامل الخارجية التي أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه المجيد إلى حاضره الأليم .**

العوامل الداخلية

- **العوامل الداخلية التي أدت إلى ضعف العالم الإسلامى تتمثل فى :**

1-انشقاق المسلمين إلى فرق :

فقد نجحت القوي الحاقدة على الإسلام المتسللة في صفوف المسلمين وفي شق المسلمين وصدعهم . فظهرت فرق الخوارج وفرق الشيعة وقد ناهضت كل منهما أهل السنة والجماعة ، فعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى صراعات دامية . ظهرت فرق أخرى كالمرجئة والجهنية والمعتزلة وغيرها مما أقلقت بال المسلمين عليهم ، فكان من الطبيعي أن يواجه الإسلام هذه التحديات التي تمثلت في الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية وأن تتعرض أمة الإسلام إلى الكثير من التحديات الداخلية والخارجية.

2-اشتغال المسلمين بالفلسفة وعلم الكلام :

اشتغل بعض المسلمين في العصر العباسي الأول (132-232هـ) بترجمة العلوم اليونانية والهندية إلى اللغة العربية ثم انحرف هذا الاتجاه إلى ترجمة الفلسفة الإلهية الإغريقية فدخلت الحياة الفكرية في العالم الإسلامي . كان ابن المقفع وحنين بن اسحق وثابت بن قرة واضرابهم من الذين حملوا لواء هذا العمل . الذي كان غايتهم نقل مذاهبهم وأفكارهم وأديانهم إلى الفكر الإسلامي .

-- كان هؤلاء النقلة من السريان في أغلبهم والجزء الأقل كان من اليهود فنقلوا ما نقلوه وفق أهواءهم الخاصة وأكثرهم لم تكن غايته البحث عن الحقيقة بل كان همهم الدعوة إلى شيعتهم وتزيين أهوائهم الدينية وإدخال ما ليس في الإسلام فيه ، لذلك كانوا يغيرون ويبدلون النصوص التي بين أيديهم خدمة لأغراضهم .

- **ظهر علم الكلام متسلحاً بالمنطق الذي كان الوسيلة لتنمية القدرات العقلية للفيلسوف حتي يتأهل للتلقي عن العقل الفعال .**
- **ذم الفقهاء الكلام وأهله قال أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه:" من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب غريب الحديث كذب "**
- **قال الإمام الشافعي : " حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد والنعال "**
- **قال : الإمام " كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء "**
- **قال ابن الحصار :" إنما ظهر التلفظ بها زمن المأمون بعد المائتين لما ترجمت كتب الأوائل وظهر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه .**
- **في القرن الرابع الهجري اتخذت الفلسفة طابع التحدي لعقيدة الإسلام علي يد ابن سينا (370-428هـ) الذي يعتبر من أخطر فلاسفة المسلمين ، وقد نعته الذهبي بأنه : " رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول " وتاب في آخر أيامه .**
- **روي عن ابن سينا تلميذه ابن أبي أصيبعه " أنه كان يجتمع كل ليله في داره طلبة العلم وكنت أقرأ من الشفاء وكان غيري يقرأ من القانون .**
- **استجاب والد ابن سينا للإسماعيلية الفاطمية ، من أشهر نظريات ابن سينا نظرية المعرفة التي وضع فيها الفلاسفة على قدم المساواة مع الأنبياء . لو كان هنالك الوعى الكامل لاقتصرت الترجمة على ترجمة العلوم البحتة كالهندسة والطب والفلك وغيرها من العلوم النافعة بشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفقة مع عقيدة الإسلام .**

3-الانقسام السياسي لدولة الإسلام :

- فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلافات فأدت إلى الصدع بين الزعامات المسلمة ، وجاء وقت القرن الرابع الهجري –كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء الخليفة العباسي الشرعي في بغداد والخليفة الفاطمي في مصر والخليفة الأموي في الأندلس ، مما أدى إلى اهتزاز ثقة المسلمين بالخليفة ثم هانت عليهم الخلافة .

- أدي ذلك إلى إضعاف العلم الإسلامي في مواجهة أعدائه فتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار ليعود إلى المد من جديد في عهد الدولة العثمانية حاملاً معه بذور الضعف . استطاعت كل هذه الانقسامات والفتن والمشاعل والنعرات القبلية كلها عملت على زرع بذور الفتنة الشقاق والانقسام الذي أضعف العالم الإسلامي .

4-الشعوبية :

- اكتسبت الشعوبية مفهوماً خاصاً فأطلقت على محتقري العرب والذين يصغرون شأنهم ، فهي والحالة هذه تعني التعصب ضد العرب وقد بدأها الذين تسللوا إلى الإسلام وهم يحقدون عليه من اليهود والنصارى والمجوس وقد رد بعض العرب بالتعصب للعرب فخالف المتعصب ضد العرب والمتعصب للعرب .

- استغلت الحركة الشعوبية الأدب واللغة والشعر العربي والتأليف والمفاخرة والمفاضلة بين العجم والعرب فكانت الشعوبية نزيفاً وضعفاً في الأمة الإسلامية في وقت تزايدت فيه أخطار التحديات الخارجية على المسلمين وعلى العالم الإسلامي مثل التحدي الصليبي والمغولي تلك التحديات التي أضعفت كل البلاد الإسلامية ومزقت شملها وفرقت أهلها وجعلتهم فرقاً وشيعاً ساعدت على الانقسام والتشتت .

الباطنية :

- كانت من أكبر عوامل الهدم من الداخل فقد ضمت جميع العناصر المناهضة للإسلام ، من زرادشتية ومانوية ويهود ونصاري وكانت التناقضات فيها تبيض وتفرخ لأنها عاشت في الظلام وآمنت بالتقية بل وجعلتها أساس عقيدتها .

-الباطنية عاشت في وهم اعتقدت حرية الشهوات واللذات وعمدوا إلى صرف ألفاظ الشرع عن معانيها ومقاصدها وحملوها أمور باطنه .

-للباطنية الكثير من الخرافات والأساطير والخزعبلات التي صورها في الباطن وعملوا بها ودعوا إليها في عقيدتهم الباطنية الإسماعيلية .

- لجأت الباطنية إلى الفلسفة التي استمدوا منها أوهامهم فضمت فلاسفة ومفكرين مثل إخوان الصفاء وبعض الشعراء مثل أبي العلا المعري. وعلماء مثل أني حيان التوحيدي وابن سينا .

-تمكنت الباطنية من إفراز جناح عسكري في القرن الخامس الهجري بقيادة الحسن الصباح الذي اتخذ قلعة الموت سنة 483هـ مركزاً له ويبث من خلالها دعوته ليخدعوا البسطاء ويستعينوا في التأثير على الإتباع بالمخدر أو الحشيش ولذلك سموا بالحشاشين وقد بقيت هذه الفرقة تثير الفتن وتنشر الرعب .

-تعاونت الباطنية مع الصليبين في الشام ضد المسلمين واغتالوا عدداً من قادة الإسلام كما حاولوا اغتيال صلاح الدين إضافة أن الباطنية تبرأت من الصحابة رضوان الله عليهم ، شوه الباطنية صور شخصيات كثيرة من صدر الإسلام ودسوها في كتب التاريخ والأدب .

- وقفت الباطنية إلى جانب الصليبين في حربهم ضد الإسلام والمسلمين وخاصة في دمشق عام 523هـ وإلى جانب المغول كما حدث في تخريب بغداد عام 656هـ .

-القرامطة من الباطنية فتاريخهم معروف في محاولتهم القضاء على الإسلام والمسلمين وهجومهم على بيت الله الحرام واستحلال دماء المسلمين ونزع الحجر الأسود .

-بقيت الباطنية فرقة تنخر في جسم الأمة الإسلامية تثير الفتن وتعمل على تشكيك المسلمين في دينهم بابتداع كل المسائل الهدامة التي ليست لها علاقة بقيم الإسلام وكلها تحت مظلة الباطن .

-تمكن أعداء الإسلام من حملة التشويه المتعمدة التي لحقت برجالات القرن الأول الهجري نظراً لأنهم موضع الفخر والاعتزاز الشديد .

الصوفـية :

-نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا هما الأول هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة وقد نهي النبي ﷺ عن ذلك فقال : " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "

-الثاني ما سري إلى المسلمين من فكرتين : الأولي فكرة الاشراقيين من الفلاسفة وهم يرون أن المعرفة تقذف النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي والثانية : فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية وقد ابتدأت هذه الفكرة تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون بالنصارى وظهرت في السبئية والكيسانية والقرامطة والباطنية .

- ظهر التصوف في الإسلام واشتد في القرن الرابع والخامس الهجري ثم بلغ أقصي مداه بعيداً عن هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة حتي بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة –أهل الشريعة – وأهل الظاهر- ويسمون أنفسهم أهل الحقيقة وأهل الباطن فالتقت الصوفية مع الفلسفة والباطنية وحجبت كثيراً من المخدوعين عن فهم حقيقة العبادة وعمدت على تقديس المشايخ وأنتجت التواكل بدلاً من التوكل الذي أفسد كثيراً من العقيدة .

-الصوفية انتشرت في المجتمع الإسلامي زمن العباسيين ولكنها كانت ركناً منعزلاً عن المجتمع وفي عهد الدولة العباسية صارت هي المجتمع وأصبحت بالنسبة للعامة هي المدخل إلى الدين ومجال ممارسته فتسلطت مجموعة من الخرافات والأوهام التي تتعلق بالمشايخ الأحياء منهم والاموت وصار التدين هو الإيمان .

-تعلقت الصوفية بالمشايخ وصار التدين هو الإيمان بالشيخ وكراماته وبأحواله وقدرته على اشتفاف الغيب ، وعلى شفاء المرضي من غير دواء وقدرته على فك طلاسم السحر واستخراج الشياطين من أجساد من تسلطت عليهم كما أصبح التصوف يتعلق بالأضرحة والأولياء ونذر النذور لهم والتقرب بالقرابين دون عمل حقيقي بمقتضي الدين وقد أصبح هذا في حس العامة هو الدين .

-أدرك أئمة المسلمين وعلماؤهم أهداف الفلاسفة والباطنية والصوفية فكانت لهم جهودهم الموفقة في تفنيد دعواهم ورد كيدهم وإبراز الحق واضحاً عليهم من خلال مصادره الأصلية كتاب الله تعالي وسنة رسوله المطهرة ومن ابرز العلماء الأئمة الأربعة ثم الإمام ابن تيميه وابن القيم اللذان كانت لهم صولات مع أرباب البدع وأئمة الكلام وأساطين الفلسفة فأوسعوا نظرياتهم وأقوالهم نقصاً ونقداً .

7-الإسرائيليات :

-هي جميع العقائد غير الإسلامية ولا سيما التي دسها أهل الكتاب من اليهود والنصارى بواسطة من تظاهر منهم بالإسلام ، فتمكنوا من دس تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض من الإسلام القائم أصلا على التوحيد .

-المتصل اتصالاً واضحاً بالإيمان بالغيب والبعث والجزاء والمستمد من قواعد القرآن الكريم ومنهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور الخاصة فيما بتعلق بعالم الغيب وما وراء المحسوس وعلى عصمة الأنبياء والرسل .

-تكونت مدارس التفسير في زمن الصحابة والتابعين وتداولت تلك المدارس مجموعة من التفسير بالمأثور المنسوب بعضه إلى النبيﷺ والمنسوب كثير من إلى الصحابة .

-وأكثره منسوب إلى التابعين كمجاهد وقتادة ومسروق والحسن البصري وعكرمة مولي ابن عباس وغيرهم وهم كثيراً ما اختلط بتفسيرهم من الإسرائيليات ، وادخل أعداء الإسلام عبر هذا الباب الكثير من الأوهام المضللة التي شكلت انحرافاً للعقيدة الإسلامية الحقة .

- توسع التابعون في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت الروايات الإسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وميل نفوس الناس إلى سماع التفاصيل .

- جاء من بعد هؤلاء التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يريدون قولاً ولا يحجمون أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل ما يروي لهم وإن كان بعيداً عن النص كالروايات في اسم الشجرة التي أكل منها آدم وأسماء أهل الكهف واسم كلبهم وغيرها من الخرافات والأساطير .

-نجح أهل الكتاب في دس الإسرائيليات وأبرز ما فيها مادة الكهانة والتنبؤات التي كان لها أثر سيء في عصور الضعف على المسلمين وفي فترة الركود والتخلف وشملت تفسيرات أهل الكتاب للآيات القرآنية والتوسع في أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر وتصوير ذلك تصويراً يخرج بها عن أصلها القرآني .

- ذهب الكثير من الباحثين إلى أن أكثر الأحاديث الموضوعة عن الإسرائيليات إنما وضعت بتدبير وتخطيط خصومه وكيد وأنها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضاربة التي شنها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل .

- تنبه علماء المسلمين إلي مقاصدهم وإلى هذا الخطر منذ وقت مبكر فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يحذر من الأخذ عن أهل الكتاب وكتابكم القرآن الكريم وضح لكم ذلك .

- وأثر عن الإمام ابن حنبل قوله " ثلاثة لا أصل لهم :" التفسير والملاحم والمغازي " أي أنها ليست ذات أسانيد صحيحة متصلة .

8-التعصب المذهبي :

- شاعت منذ القرن الرابع الهجري بدعة التعصب المذهبي فأنتج ذلك مخالفة الكثير من النصوص الصحيحة وتقديم الرأي عليها ونشر الفتن والخلاف بين المسلمين والتحايل على الذين والجمود على التقليد وإغلاق باب الاجتهاد والاشتغال بالافتراضات الخيالية ، الأمر الذي أدي إلى شيوع الجهل على المدى الطويل .

- منع الاجتهاد بعد القرن الرابع الهجري ثم ساد اختيار كتب الفقه المتأخرة الخالية من الأدلة الشرعية فقلت دراسة الكتاب والسنة والرجوع إليها عند الخلاف فانحرف الناس عن السنة .

-ووصل الأمر أن أبا الحسن عبيد الله بن الحسن الكوفي رئيس الحنفية بالعراق في القرن الرابع الهجري الذي صنف المختصر وشرح الجامعين الصغير والكبير لمحمد بن الحسن قال : " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة وكل حديث فهو مؤول أو منسوخ . فقدم أهل المذهب على أهل الكتاب والسنة فما الفرق بين قوله وأقوال الصوفية والباطنية والفلاسفة ؟

- وصل الخلاف بينهم والخصام بين مقلدة المذاهب درجة خطيرة فعادي بعضهم بعضا وصار يسعي بعضهم بالكيد والأذى للبعض الآخر فتسبب ذلك في الكثير من الفتن والقتال فيما بينهم .

- حاول بعض العلماء أن يقفوا في وجه التيار المتعصب فكان نجاحهم ضئيلاً بسبب تعميق فكرهم وسط ضعاف الإيمان الذين زينوا أعمالهم وعملوا على نشرها في أوساط طبقاتهم .

- قال العالم منذر بن سعيد البلوطي خطيب الخليفة عند الرحمن الناصر بالأندلس يشكو حال المذهبيين ومواقفهم من الكتاب والسنة :

عذيري من قوم يقولون كلما طلبت دليلاً هكذا قال مالك

فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب وقد كان لايخفي عليه السالك

فإن زدت قالوا سحنون قبله ومن لم يقل ما قاله فهو آفك

فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا وقالوا جميعاً أنت قرن مماحك

وإن قلت قال الرسول فقولهم ائت مالكاً في ترك المسالك

- أدت هذه التحديات الداخلية وما رافقها من تحديات أخري وتحديات خارجية إلى شدة الضغط على العالم الإسلامي وقادت إلى الضعف والتفكك والانحلال وتردي المسلمون إلى حاله من العجز والتدهور .

- العجز الذي أصاب الأمة الإسلامية بسبب كل هذه الأسباب عجزت به الأمة في مجال الاختراع والإبداع بل ساهم في الجمود والتقليد والتواكل والانحراف عن النهج القويم والابتعاد عن الشريعة وشاب إيمان المسلمين الكثير من الكدر فانهارت قواهم ووقع العالم الإسلامي لقمة سائغة في يد الاستعمار الأوربي الحديث وخر صريعاً أمام الهجمات الشرسة التي قادتها الصليبية الحديثة بمشاركة الصهيونية والشيوعية وكل ذلك عمل على تأخير أمة الإسلام .

- هذه الأسباب الداخلية تأتي في جملتها داخل إطار هدم الإسلام وتقويض نفوذه من قبل الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ولكن علينا بوحدة الصف وجمع الشمل تحت راية الإسلام الخفاقة الفتيه وان شاء الله عائدون لمجدنا التليد الذي لا خيار غيره لإصلاح حال الأمة

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الرابعة

العوامل الخارجية التي أدت لضعف العالم الإسلامي

التحدي المغولي " التتري " :

- المغول والتتار قبائل موطنهم الأصلي منغوليا –شمال صحراء غوبي –وكانت هذه القبائل تقضي أوقاتها في النزاعات القبلية للبحث عن منابت العشب وبواطن المياه .

-دانت هذه القبائل بالوثنية التي تعرف باسم –الشامانية- تقول بوجود قوتين " قوة الخير والنور والدفء وقوة الشر والظلام والبرد ويسكن إله الخير في الشرق وإله الشر في الغرب وتقوم ممارساتها على السحر وعلى الرشاقة الجسدية من رقص وغيره فاكتسبت كلمة شامان معني الساحر .

استطاع تيموجين بن بسوكاي الذي ولد في منغوليا عام 449هـ/1155م أن يوحد هذه القبائل عام 603هـ / 1206م ووضع لهم دستوراً اجتماعياً حربياً مختصراً عرف باسم الياسةالكبري أو اليساق بالغ الشدة والعنف للطاعة فيه أكبر نصيب فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم .

بعد أن وحدهم لقب نفسه –جنكيزخان – أي أعظم الملوك واندفع بهم إلى الصين واستولي على بكين عام 612هـ فاستولي بذلك على مزيد من الكنوز والنفائس وتعلم المغول استعمال البارود .

تمكن من القضاء على دولة الخطا السوداء –قرة خطي – التركية المتاخمة لبلاد الصين 615هـ فأصبح يطرق أبواب العالم الإسلامي ويتحداه وكان هذا التحدي شريكاً لبعض الوقت للغزو الصليبي على عالم الإسلام وقد حمل بربرية ووحشية غوضت الحضارة الإسلامية.

اصطدم جنكيزخان بالدولة الإسلامية الخوارزمية – وكانت قد ظهرت سنة 490 هـ / 1096 م بعد أن ضعفت دولة السلاجقة ، وكانت بمثابة السور الفولاذي المنيع ، الذي يحمي الجبهة الإسلامية من جهة المشرق ، تمتد من العراق العجمي غربا ، إلى نهر السند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين ، وآرال شمالا ، إلى الخليج العربي . والمحيط الهندي ، جنوبا شاملة : أذربيجان ، والعراق العجمي ، وفارس ، وكرمان ، وكمران ، وسجستان ، وخراسان ، وأفغانستان ، والبامير ، والصغد ، وما وراء النهر . وكان على رأس هذه الدولة حين بدأت تطرقها المطارق المغولية السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه .

-هاجم جنكيزخان الدولة الخوارزمية سنة 616 هـ / 1219 م ، وخاضت خوارزم حربا مدمرة مدة خمس سنوات ، إلى أن تمزقت أوصالها ، واكتسح المغول أراضيها ، وأقاموا المجازر في بخارى .

-وسمرقند ، ومرو ، ثم بلخ ، ونيسابور ، والري ، وهمدان ، وغزنه ، فأبيد الملايين من السكان ، وتهدمت ألوف المساجد ، ودور العلم العامرة ، وتحولت حواضر الإسلام الزاهرة في تركستان ، وفارس ، إلى كتل من اللهب ، والخراب . وترك جنكيز الدولة الإسلامية الخوارزمية أشبه ما تكون بصحراء جرداء ، فأباد سكانها ، وخرب مدنها العامرة ، وأحرقها .

توفي جنكيزخان عام 624 هـ / 1227 م فقام حفيده هولاكو بإتمام دوره في بلاد الإسلام ، فتحالف مع الصليبيين ، وكانت أمه نصرانية قال عنها ابن العبري : " أحسنت تربية الأولاد ، وضبط الأصحاب ، وكانت لبيبة مؤمنة ، تدين بالنصرانية ، وتعظم محل المطارنة والرهبان ، وتقتبس صلواتهم وبركتهم " .كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية

كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية ، ويعيد بيت المقدس ، بعد أن كان قد حررها صلاح الدين عام 583 هـ .

-فاعتبر هولاكو نفسه محررا للنصارى من المسلمين ، وأرسل إلى الصليبيين قبل أن يبدأ غزوه المسلمين يقول :

" إن لدينا أعدادا كبيرة من المسيحيين بين قبائلنا ، وقد جئنا بقوتنا ، وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ، ومن الضرائب ، التي فرضها عليهم المسلمون ، ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم ، فلا يعتدى عليهم ، ولا على تجارتهم أحد ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون " .

كما قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ،

قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ، وجسره ، وقوى عزمه على قصد العراق ، وابن العلقمي هذا رافضي شيعي ، قام بإضعاف الخلافة العباسية بمكائده المختلفة ، وأضعف الجيش ، وقلل عدده ، وأشار على الخليفة بمداراة هولاكو .

فاستطاع هولاكو بتشجيع من النصارى ، والشيعة ، الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ، ودار السلام ، وبمساعدتهم تمكن دخول بغداد بجحافله ، فخربوا المساجد وأتلفوا المكتبات ، بإحراق الكتب ، أو بإلقائها في نهر دجلة ، وقتلوا معظم سكان بغداد دون أن يستثنوا امرأة ، أو طفلاً ، ودون أن يعطفوا على مريض ، أو يقدروا عالما .

قدر المؤرخون القتلى بمليون وثمانمائة ألف ، وبمليون ، وبثمانمائة ألفوقتل الخليفة المستعصم ، بتشجيع وتحريض من ابن العلقمي ، ونصير الدين الطوسي الاسماعيلي .

وكان ابن العلقمي يطمع أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة باتخاذه عند هولاكو يدا ، وعمل بالفعل على تعطيل المدارس والمساجد ، والجماعات ، والجمعيات ، والربط ببغداد ، واستمر بالمشاهد ، ومحال الرفض ، وكان يريد أن يبني مدرسة هائلة للرفض

وهكذا أصبحت بغداد – دار السلام – بفعل التتار ، والنصارى والرافضة مأوى لجماعة من النصارى ، والزلط ، والشيعة ، والوثنين فقد طلب هولاكو من بطريق النساطرة أن يجمع النصارى في إحدى الكنائس ، حتى يميزوا عن غيرهم ، فلا يتعرض لهم جند التتار .

وكان سقوط بغداد عاصمة الخلافة أشبه بزلزال رهيب ، دك بنيان بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها ، ونظم الشعراء من العرب ، والفرس المرائي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون .

تقدم هولاكو بعد ذلك إلى الشام ، وهاجم حلب ودخلها بعد حصار شديد وتركها شعلة من اللهب والدخان ، ودخل كتبغا دمشق ، فسقطت حاضرة الشام صريعة تحت أقدام المغول سنة 657 هـ ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية ، وإفرنجية ، فسنحت للنصارى الفرصة للتشفي ، والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة ، حملوا فيها الصلبان ، وأنشدوا الأناشيد ، ويذمون دين الإسلام وأهله ، وأجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراما لمواكبهم ، ومن امتنع تعرض للسب والإهانة ، وبلغ بهم التحدي أقصاه فدقوا النواقيس ، وتظاهروا بالخمر في رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات .

وقيض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام : المماليك في مصر ، بقيادة قطز ، والظاهر بيبرس ، وعلماء مثل العز بن عبد السلام (سلطان العلماء ، فتحركت في الأمة روح الجهاد ، واستثيرت طاقات الأمة .

وتحركت جيوش الإسلام من مصر عام 658 هـ / 1260 م والتقت بجيوش المغول تؤيدهم وتؤازرهم بعض النجدات النصرانية من الأرمن والكرج – في عين جالوت – بين بيسان ، ونابلس ، على أرض فلسطين في 25 رمضان ، وألقى قطز بخوذته على الأرض أثناء المعركة ، وصاح بصوت كالرعد :" وإسلاماه ، اللهم انصر عبدك قطز على التتار "

فكتب الله النصر المبين للإسلام ، وانهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم ، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم ، لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ، ولأنهما ما قصدوا إقليما إلا فتحوه ، ولا عسكرا إلا هزموه .
فتكسرت حدة موجات التتار ، وتحول مدهم إلى جزر ، واسترجع المماليك منهم الشام بأكملها ، فكانت عين جالوت فاتحة سلسلة من الانتصارات توالت على المسلمين .

وبقي المسلمون يقاسون الأمرين من المغول ، في فارس ، والعراق ، واستمرت غاراتهم على الشام ، والمسلمون يردونهم ، كما حدث في وقعة حمص سنة 680 هـ .

وقد هداهم الله للإسلام فضاع على الصليبيين أملهم في الانتصار على المسلمين ، كما ضاعت مجهوداتهم من قبل في الشام ، فقد أعلن أحمد بن هولاكو إسلامه عام 680 هـ .

ولكن حالة المسلمين لم تمكنها من أن تبعث في نفوس المغول النواحي الإيجابية ، التي تقود إلى الأصالة ، وإلى المساهمة في رفع شأن الإسلام كدين ، وشريعة ، والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية ، وأعمال (قازان) الذي غزا الشام ، واجتاحها ، سنة 699 هـ إلى سنة 702 هـ ، فاستمر العلماء يحرضون على جهادهم فكانت موقعة شقحب الفاصلة سنة 702 هـ ، التي انهزم فيها التتار هزيمة منكرة .

2- الحروب الصليبية :

مثل التحدي الصليبي ، التحدي الرئيسي في مواجهة الإسلام والمسلمين ، واستغلته اليهودية في صراعها مع الإسلام ، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكريا ، وعسكريا ، من أول ظهوره ، إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام 857 هـ / 1453 م .

فانتقل ذلك إلى الإمبراطورية الروسية ، والنمساوية ، وفرنسا ، وانجلترا ، في الوقت الذي كان فيه الاسباني ون ، والبرتغاليون ، يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ، ويدفعون المسلمين عن الأندلس . وكل أولئكم يحركهم البابا في روما ، وتنفخ فيه الكنيسة روح الحقد على المسلمين ، وتثيرها حربا لا هوادة فيها . وبقيت هذه الروح هي المسيطرة حتى بعد أن انشقت الكنيسة الكاثوليكية ، وقامت بحركة الإصلاحات الدينية .

تمكن الأتراك السلاجقة أن يحيوا روح الجهاد في الأمة ، فحملوا راية الجهاد ، بعد منتصف القرن الخامس الهجري ضد البيزنطيين واصطدم سلطانهم ألب ارسلان بقوة بيزنطية هائلة ، كان يقودها الإمبراطور ديوجينس .
تشتت شمل النصارى في معركة ملاذكرد ، (مانزكرت) عام 463 هـ / 1071 م وكانت معركة من المواقع الحاسمة في التاريخ ، نتج عنها انتشار الإسلام في آسيا الصغرى ، وتركيزه ، وأصبحت من ذلك اليوم من ديار الإسلام – فاتجه أباطرة بيزنطة لتسوية الخلاف مع البابا ، واستنجدوا به لحمايتهم ، فوجدوا أذنا صاغية من البابا : (أوربان الثاني) الذي دعا للحروب الصليبية بإعلان (كليرمونت) عام 1095 م . بدأ التدفق الصليبي في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد بدأوا بالتفتت والصراع ، بعد وفاة السلطان ملكشاه ، سنة 486 هـ / 1092 .

فانقسمت الدولة السلجوقية بعد خمس سنوات فقط من وفاته ، إلى خمسة ممالك متنافسة هي : مملكة فارس ، ومملكة حلب ، ومملكة دمشق ، وسلطنة سلاجقة الروم والعراق . وفي الوقت نفسه تعرضت بلاد الشام إلى انقسام آخر ، وظهرت وحدات سياسية عرفت باسم (الأتابكيات) مثل أتابكية دمشق ، والموصل ، وبعضها، والأتابكيات ، النزاع والحروب .وبالإضافة لذلك فقد دخلت هذه الدويلات مع الدولة الفاطمية التي (تحالفت مع الحركة الباطنية الإسماعيلية) في صراع مرير ، استنفذ طاقاتها المادية والبشرية .وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبيين يشترك فيها أمراء الإقطاع والفرسان ورجال الدين . فانتصروا في البداية ، وأطاحوا بملك سلاجقة الروم ، واستولوا على عاصمتهم نيقية ، سنة

491 هـ / 1097 م ، وكونوا في بلاد الشام ، وآسيا الصغرى ، إمارة الرها ، وإمارة أنطاكية ، وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية ، عام 492 هـ / 1098 م .

ومن الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل هذا التاريخ ، فسقطت صقلية فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة 484 هـ / 1091 م .

ومحيت من خريطة البلدان الإسلامية ، فكانت الشهيدة الأولى ، التي ذهبت ضحية الإهمال والتخاذل ، وأما الأندلس فكانت سنة 407 هـ .

مبدأ التفرق والتمزق فكان عصر ملوك الطوائف ، فأخذت كفة النصارى ترجح ، وأصدر البابا (اوربان) مرسوما حرم فيه على رجال الدين ، والفرسان الأسبان ، المشاركة في صليبيات الشرق ، لأن محاربة المسلمين بأسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية الشرقية ، فنتج عن ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ، ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلا ، وأيسر مشقة وعناء ، وأعلن البابا (باسكال الثاني) الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس .

وتشاء حكمة الله تعالى أن ينهض في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي ، وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء ، في ميدان القيم والمعتقدات ، يجددون أمر الدين ، وينفخون روح الجهاد في الأمة . تبعا للقاعدة التي لا تتخلف : **(إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** . فظهر في بلاد الغرب دولة (المرابطين) ثم (الموحدين قارعتا الصليبيين في الأندلس .

ومن الله تعالى على العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري بعماد الدين زنكي ، أتابك الموصل ، الذي التف حوله المخلصون من المسلمين ، وجعلوا دولته دار هجرة ، تداعوا إليها من جميع الأقطار فأخذ منذ توليه سنة 487 هـ يعد الناس إعدادا إسلاميا ، ويطهر الدين من التيارات الفكرية المنحرفة ، كالباطنية .

ولما استشهد سنة 541 هـ خلفه ابنه : الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت سنة 569 هـ) وفي نفس السنة تمكن عبد المؤمن بن علي من الموحدين أن يملك ما في جزيرة الأندلس من بلاد الإسلام يجابه الصليبيين هناك ، وتمكن نور الدين أن يهزم الصليبيين هزائم متوالية وأتم توحيد مصر ، والشام ، وشمال العراق ، والحجاز ، فوضع الصليبيين بين فكي كماشة . فقد دخلت قواته مصر ، بقيادة أسد الدين شيركوه ، سنة 562 هـ (

. في خلافة المستضيء بأمر الله ، الذي ولي الخلافة عام 566 هـ ووصفه المؤرخون أنه (أي نور الدين) كان : " ملكا صالحا ، ظاهر الدين ، بنى المساجد والمدارس والرباطات ، وفتح الأمصار ، وغزا الفرنج عدة غزوات "

ولما توفي نور الدين ، رحمه الله ، سنة 569 هـ ، أتم مهمته الناصر صلاح الدين ، يوسف بن أيوب ، الذي هيأه الله سبحانه وتعالى لاستخلاص بيت المقدس ، فقد جمع فيه من خصال الحزم ، والعز ، والإخلاص ، والحرص على الجهاد ونصر الإسلام ، ومكارم الأخلاق ، ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال ، فكان معجزة من معجزات الإسلام التي تتكرر ودليلا على أن الإسلام لم ينته دوره ، ولم يفقد الحيوية والانتاج ، فقد استجمع طاقة الأمة ، وهزم الصليبيين في معركة حطين بفلسطين ، عام 583 هـ / 1187 موكسر شوكتهم ، واستعاد بيت المقدس ، وأحضر له المنبر ، الذي أعده نور الدين بن محمود للمسجد الأقصى ، فعاد الإسلام إلى تلك الديار غضا طريا .

استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق ، استنزاف جميع القوى البشرية ، ، في منطقة الشام ومصر ، واتسم الفكر الإسلامي في هذه الفترة بطابع المقاومة ، والتحدي ، ورد الفعل ، بالدعوة إلى الجهاد وإبراز القدوة الحسنة ، ذلك كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكما فعل قبله سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ومن نتائجها أيضا ، أن ألقيت مقاليد الأمور بيد العسكريين ، لبروز روح التحدي ، والجهاد هذه ، فجمدت أوضاع المسلمين

الاقتصادية وتناقصت الثروة ، وضعفت الأيدي العاملة ، بالإضافة إلى الخراب ، والدمار ، الذي حل بالمسلمين في جميع أقطارهم وخاصة الشام ، ومصر ، وآسيا الصغرى وتونس والأندلس .

وقد عزلت الحملات الصليبية الأندلس ، عن قاعدته في المغرب الإسلامي ، وأخذت في تفتيت المسلمين ماديا ، ومعنويا ، بصورة بطيئة ، مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم . وبالرغم من ذلك بقيت الأندلس تقاوم ، واحتملت فوق قدرة احتمال البشر ، على امتداد قرون عديدة ، إلى أن سقطت غرناطة ، آخر معاقل المسلمين ، سنة 897 هـ / 1492 م بيد فرديناند وإيزابيلا .

فاغتصبت أرض الأندلس الإسلامية ، واستوطنها الصليبيون الأوربيون ، وقد عانى المسلمون فيها معاناة عجيبة ، فلم يقبل منهم الصليبيون أحدا ، حتى الذين تنصروا من المسلمين الذين أطلقوا عليهم اسم (المورسك) .

وخوفا من أن يبقى منهم من يحتفظ بالإسلام ، سلطت النصرانية الصليبية على مدن أوربا محاكم التحقيق ، التي أحرقت الألوف من الناس علنا . وقضت على حضارة المسلمين في الأندلس ، وظهر من المتعصبين الكثيرون مثل (خمينز) الذي فرض النصرانية على أهل غرناطة بالعنف ولما طلب المتنصرون أن تكتب لهم تعاليم النصرانية بالعربية ، لغتهم ، رد عليهم : " إننا لا نرمي حبات الدر النفيس للخنازير " . وهذا هو نفسه الذي أحرق المخطوطات العربية الرائعة التي بلغت على أقل تقدير ، ثمانين ألف مخطوطة ، في غرناطة وحدها . وكانت قد ضاعت أيضا صقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط واستوطنها الصليبيون الأوروبيون ، كما حدث في العالم الجديد إثر الاكتشافات الجغرافية

استفاد الغرب الصليبي من الحروب الصليبية كثيرا.

- سياسيا : ازدادت سلطة الملوك ، باشتراك عدد كبير من أمراء الإقطاع مع فرسانهم في الحروب الصليبية ، فخلا الجو للملوك فزادت سلطاتهم على رعاياهم ، فظهرت الممالك الأوربية الحديثة . مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وبروسيا ، وروسيا .

- **اجتماعيا :** اقتبس الأوربيون كثيرا من مظاهر الآداب الاجتماعية والأخلاق ، واللباس ، من المسلمين ، وعادوا لتطبيقها على أوربا كما اهتزت طبقة الإقطاعيين وأخذت تظهر طبقات أخرى ، مثل الطبقة الوسطى من التجار خاصة ، والتي دعيت بالطبقة البرجوازية .

اقتصاديا : فقد تسلم الأوروبيون زمام التجارة بأنفسهم ، وتعلموا بعض الصناعات ، وخاصة صناعة الحرير ، والزجاج ، والورق ونقلوا بعض أشجار الفاكهة إلى أوربا ، وتعلموا أساليب الزراعة .

علميا وثقافيا : فقد نشأت حركة واسعة في ترجمة العلوم والمعارف الإسلامية ، إلى اللاتينية ، بعد أن أطلع الأوروبيون على معلومات جغرافية ، وفلكية ، وتاريخية وزراعية ، مكنتهم من حب الاستطلاع . وباختصار فقد أحدثت الحروب الصليبية تغيرا في أوربا في مختلف نواحي الحياة ، ومجالاتها ، ونقلتها من عصر الإقطاع المظلم ، إلى عهد جديد أطلق عليه اسم : **عصر النهضة** – وحركة النهضة هذه حركة تغيير شاملة لجميع نواحي الحياة ، السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية في أوربا وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر . وابتدأ في ايطاليا لصلتها الكبيرة بالعالم الإسلامي من بقية أوروبا عدا أسبانيا ، والبرتغال

يمكن تلخيص أسباب اليقظة الأوروبية في :

1- الروح الدافعة التي بثها الإسلام ، وحضارته ، في أرجاء العالم ، فأخذت تسري في أوصاله ، مجددة حياته وقواه ، وقد تلقفتها أوربا عن المسلمين إبان الحروب الصليبية في الشرق وعن طريق الأندلس ، وصقلية ، وجنوب ايطاليا والجامعات الإسلامية .
2- التمرد على الكنيسة الجاهلة ، ونبذ سلطانها السياسي ، والديني بكل ما يمثله من خطايا ، وأخطار ، وحجر على التفكير ، وكبت للعلم واضطهاد للعلماء ، باسم دين الكنيسة ، وعصمتها .

3- حركة الاستعمار الأوروبي :
درج المؤرخون الأوروبيون على تقسيم العصور التاريخية إلى :
1- **العصور القديمة :** وتبدأ من ظهور الإنسان إلى عام 476 م وهو العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الغربية بسقوط عاصمتها روما بيد (ادواكر) زعيم القوط من البرابرة .
2- **العصور الوسطى :** وتبدأ في رأيهم من عام 476 م وتمتد إلى عام 1453 م وهو العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) على يد السلطان العثماني محمد الفاتح .
3- **العصور الحديثة :** وتشمل الفترة الممتدة من عام 1453 م إلى الآن.
ويجب ملاحظة أن حوادث التاريخ متصلة الحلقات ومتداخلة ومن المستحيل فصل عصر عن عصر .

ملامح تاريخ أوربا في العصور الوسطى :

1-**سيادة نظام الإقطاع في أوربا :** لقد أدى اندفاع البرابرة من القبائل الجرمانية (القوط الشرقيين والغربيين والفرنجة والانجليز والسكسون والبيرغنديين) وانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى انعدام الأمن وانتشار الخوف والرعب والدمار والخراب ، فلجأ الضعفاء إلى الأقوياء يلتمسون الحماية ، وتنازلوا عن أرضهم وعن حرياتهم مقابل الحماية.
فنشأ ما يسمى بنظام الإقطاع بقلاعه الحصينة وفرسانه . وهو نظام اقتصادي اجتماعي حربي ، يقوم أساسا على حيازة الأرض . وقد أصبح المجتمع الأوربي في ظل هذا النظام مجتمعا طبقيا على رأسه الأشراف أو النبلاء وهم السادة من مالكي الأرض .
2-**سيادة نظام الكنيسة في أوربا :** دخل في روع النصارى أن بطرس تلميذ المسيح أسس كنيسة روما تجسيدا لمسيح دائم وأن بطرس هو رأس هذه الكنيسة ، فالكنيسة عالمية ورئيسها (أسقفها) خليفة بطرس رأس جميع الأساقفة كما أن كنيسة روما هي رأس الكنائس وأمها ، واعتقدوا أن السلطات الموعود بها القديس بطرس لا تقتصر على السلطة التعليمية بل يجب أن تمتد إلى مجال الولاية كله ، والله (كما أوحى لهم القسس) يقر في السماء ما يقره بطرس أو يرفعه على الأرض من الواجبات ، وللبابا خليفته مثل ذلك الولاية الكاملة على الكنيسة كلها ، في أمور الإيمان والآداب وتنظيم الكنيسة وإدارتها .
3-**النزاع بين البابوية والإمبراطورية :** فرض قسطنطين النصرانية على الامبراطورية الرومانية في مؤتمر نيقية سنة 325 م ، وفرض في هذا المؤتمر مع (318) أسقفا جماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين وأعلن أن تعاليم الدين لا بد أن يتلقاها الناس من أفواه رجال الكهنوت ، فكان الفصل بين السلطة الدينية التي يمثلها الكهنوت وعلى رأسهم البابا ، والسلطة الزمنية التي يمثلها الإمبراطور ، أو إن شئت فقل الفصل بين الدين والدولة ، الدين من أفواه الكهنوت ، والدولة تطبق القوانين الرومانية الوثنية .

وسائل الاتصال بين العالمين النصراني والاسلامي :

١ - **المراكز الإسلامية من دار الإسلام في أوربا** :فقد كان المسلمون يسيطرون على معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط ، أي جنوب أوربا ، فكانت بأيديهم شبه جزيرة " إيبريا " (إسبانيا والبرتغال) وصقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هذه المراكز مراكز اشعاع للحضارة الإسلامية تنشر ضوءها على جميع الأمم النصرانية في أوربا المظلمة . هذا وقد بدأت الحروب الصليبية في هذه الأماكن والمراكز واستطاع الأوروبيون دحر المسلمين وطردهم منها بعد أن استفادوا منهم .

٢ - **ارتياد الطلبة الأوروبيين للجامعات الإسلامية :**
كانت بلاد المسلمين تشهد نهضة علمية رائعة ، وانتشرت المدارس والجامعات جنبا إلى جنب مع المسجد ، فقد كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام .

-كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام فكانت الحلقات والمناظرات في الكلام والأدب والشعر والفقه والحديث تقام فيه . وكانت المكتبات والكتب توضع في متناول كل محب للاستزادة من العلم ، دون قيد ولا شرط ، ومن مراكز الثقافة

الإسلامية : بخارى وسمرقند وطشقند وبلخ ونيسابور والري.
وشيراز ، وأصفهان ، والقيروان ، وجامع الزيتونة في تونس ، وفاس ، ومراكش ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وباليرمو ، وباري .

وأهم المراكز الثقافية التي كان يؤمها ويرتادها الأوروبيون للعلم :

قرطبة في الأندلس ، وباليرمو في صقلية ، وباري في جنوب إيطاليا .
ففي سنة 360 هـ أم جماعة من رهبان دير ماري غالن جامعات الأندلس لدرس العربية وتحصيل معارفها ، كما أقبل الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم الإسلامية .
وكانت جامعة قرطبة من أعظم جامعات الدنيا تقرأ فيها العلوم الطبيعية والفلكية والكيماوية .

3- الصلات التجارية بين الشرق والغرب :
لقد نمت التجارة وازدهرت في بلاد الإسلام في العصور الوسطى ، وكان للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلدان العالم ، وامتدت تجارتهم إلى الشرق حتى وصلت الفلبين والصين ، وإلى الغرب حتى وصلت بلاد الفرنجة ، وإلى الجنوب حتى وصلت نيجيريا والحبشة وموزمبيق ، وإلى الشمال حتى وصلت إلى بلاد الروس وسيبيريا وفنلندا ، وأصبحت المدن الإسلامية مراكز حافلة بمظاهر التبادل التجاري البري والبحري ومنها : بغداد ، والبصرة في العراق والفسطاط ، والإسكندرية في مصر ، وسيراف ، وأصفهان في فارس وطرابلس وصيدا وبيروت في الشام ، والمنصورة في الهند .

أسلوب الاستعمار الذي مر بمرحلتين :
-- كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية ، وكان هدف الأوروبيين من هذه الحركة تحقيق أمرين :
أ- تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيدا لضربه في الداخل .
ب- البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين مع الهند .

وقد ساعد الأوروبيين في مهتمهم هذه ، الإسطرلاب ، والبوصلة والخرائط البحرية ، ومعرفة كروية الأرض ، فقد سعى البرتغاليون للحصول على علوم المسلمين الملاحية ، واستعانوا بالتجار اليهود في الأندلس .

إيفاد البعوث الكشفية الجغرافية ، ابتغاء الوصول إلى الهند بحرا فتمكن (بارثلميودياز) من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوب إفريقيا) ، وأتم (فاسكودي غاما) ، بمساعدة العالم المسلم (أحمد ابن ماجد) الرحلة ، فوصل البرتغاليون إلى كاليكوت (فاليقوط) في الهند ، وأخذوا يقيمون المراكز ، والحصون ، والقلاع ، على السواحل الإفريقية والآسيوية ، لبسط سيطرتهم العسكرية والتجارية ، على هذه المنطقة ، وهزموا أسطولا إسلاميا ، ضم سفنا من المسلمين في الهند ، ومن دولة المماليك في مصر والشام ، ومن الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبلقان 915 هـ / 1509 م ، في معركة (ديو) شمالي بومبي بالهن د . فتأكدت سيادة الصليبيين على البحار وانحسرت قوى المسلمين في المحيط الهندي . وكانت رحلة فاسكودي جاما صليبية واضحة .

فماذا كانت نتيجة هذه الكشوف الجغرافية على بلاد الإسلام ؟

لقد تغيرت طريق التجارة عن بلاد الإسلام ، والبحر الأبيض المتوسط ، إلى المحيطات الكبرى – الأطلسي ، والهندي والهادي – فأدى ذلك إلى ضعف تجارة المسلمين ، ثم ضعف الصناعة ، والزراعة ، فقد هجر الناس المدن إلى الأرياف وعاد الكثير منهم إلى البادية ، فكسدت البضاعة ، وخوت الأسواق ، وقل عدد سكان المدن ، فأصبحت قرى ، الأمر الذي أدى مع الزمن إلى عزلة المسلمين ، وإلى شيوع الجهل والتأخر والأمية .وأما من الناحية العسكرية ، فقد طمع الصليبيون بعد أن أحاطوا بالعالم الإسلامي ، بوصول " مجلان " إلى الفلبين شرقا ، ملتقيا النفوذ الاسباني بالبرتغال .

حركة الإصلاح الديني – أو حركة الانشقاق الديني) :

إذ زادت مساوىء الكنيسة مع بداية حركة النهضة الأوروبية ، واشتد عسف رجال الدين ، وتحكمهم في عقول الأوروبيين . وكان البابا قد احتاج لنفقات كثيرة في تزيين (فرسكة) كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان) ، فابتكر وسيلة لجمع المال وهي : (**بيع صكوك الغفران**) التي حولت أمر الدين النصراني إلى مهزلة حقيقة .

فظهر **مارتن لوثر** في ألمانيا (1483 – 1546 م) وانتقد صكوك الغفران . وحرمه البابا ، فأسبغ عليه أمير سكسونيا حمايته ، وأقام في قلعته ، وترجم الإنجيل إلى الألمانية ، ونشره ، وأظهر مفاسد الكنيسة . فسمى أتباعه : **البروتستنت**(المحتجون) .ومما يدل على تأثر لوثر بالفكر الإسلامي فكرته التي نشرها : (لا خلاص إلا بالإيمان) وقوله : " ليس للبابا وحده حق احتكار تفسير الإنجيل "

4-الحركة الصهيونية

من جراء الثورة الصناعية في أوربا ، انتقلت المصانع من البيوت ، إلى المؤسسات الكبيرة ، التي تحتاج إلى أموال هائلة ، فاستغل ذلك اليهود الذين كانوا يملكون المال ، فبرزت البيوتات المالية اليهودية الكبيرة ، وفي مقدمتها بيت أسرة (روتشيلد) ، وأصبح زعماء اليهود يؤثرون تأثيرا كبيرا في العلاقات الدولية ، لأنها هي التي تحرك الصناعة ، وتستغل الحكومات ، في البحث عن مستعمرات فنشأت الفكرة الصهيونية في أحضان الاستعمار ، وولدت في فراشه . وأصبحت تمثل بعدا جديدا للاستعمار ، والغزو الغربي ، المتطلع للسيطرة والنفوذ في العالم الإسلامي . وقد حاولت الصهيونية منذ قيامها كحركة منظمة ، أن تضمن التحالف ، والارتباط بالدول الاستعمارية في العالم (فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة)

- أفرزت الصهيونية فكرا خطيرا في عالم الإسلام وفي العالم أجمع هو **الفكر الماسوني** .
والماسونية جمعية يهودية ، تهدف إلى تدمير القيم ، والأديان ، وهي تتشكل في إدارات اجتماعية ، هدفها الأساسي تنفيذ ما جاء في التوراة المحرفة ، من إحياء الأوهام التي تسيطر على الزعامات اليهودية ، من إقامة مملكة إسرائيل الكبرى وفي الوقت نفسه ، تحقيق ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، التي حملت المخططات الصهيونية اليهودية العالمية .والترجمة الحرفية للاسم تعني : (جمعية البنائين الأحرار) أي الذين لا تربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة . وهي تزعم أنها مؤسسة اجتماعية ، فلسفية ، تحب الخير للإنسانية

5-الحركة الشيوعية :

ومن المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ظهور الشيوعية ، كاتجاه عقائدي يناقض الإسلام بالكلية وككيان رسمي هدفه إبادة الوجود الإسلامي واستئصاله ليس من الاتحاد السوفيتي فحسب وإنما من المعالم أجمع .
والشيوعية فلسفة مادية جدلية للتاريخ ونظام الحياة تقوم أساسا على المادة ، ومعاداة الأديان ، تنتسب إلى " كارل ماركس " الفيلسوف الألماني وحفيد الحاخام اليهودي " مردخاي ماركس " . ركز مع الفيلسوف الانجليزي " إنجلز " على فكرة الصراع الطبقي في إحداث التغيرات الاجتماعية ، والتي أخذها عن فكرة (الديالكتيك) الجدلية من الفيلسوف الألماني " هيجل " بعد أن قلبها وجعل المادة أصلا لا الفكر . بل اعتبر الفكر نفسه مادة . كما أخذ كثيرا من أفكار " موشي هس " صاحب كتاب الدولة اليهودية الذي تأثر به " هيرتسل " صاحب فكرة الصهيونية الحديثة ومنظرها .

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الخامسة

واقع العالم الإسلامي من الناحية الفكرية ، الحركات الهدامة

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامي ، فقد انتظم مختلف وحداته ودوراته وموجاته فكر واحد وثقافة واحدة ، بقيت الربط المشترك الأعظم بينها مهما اختلفت أقطارها ودولها وأنظمتها . هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية والمحرك الأساسي والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولعل أبرز ما يتمثل في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية هو:

الأصالة : فقد قام الفكر الإسلامي على التوحيد والنبوة والمساواة والعدل . وهي أسس جديدة خاصة بالحضارة الإسلامية لا صلة لها بالحضارات المادية السابقة للإسلام – السريانية والفارسية والرومانية واليونانية والهندية .

ولقد أدرك الأوروبيون وفي وقت مبكر ما للفكر من أهمية في صراعهم الحضاري مع المسلمين ولمسوه يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية – لمسوا يومها أن انتصارهم العسكري لم يجدهم شيئا أو يبق لهم وجودا في الأمة الإسلامية بعد أن دحرهم صلاح الدين ومن بعده ، ولذلك اتجهوا إلى أفكار الإسلام فانكبوا على الفكر الإسلامي فترجموه وقاموا بدراسته وتلخيصه فكانت أولى أعمالهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وبعدها فتح باب الدراسات الإسلامية والعربية عندهم على مصراعيه

فكانت حركة الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد . هكذا عمل الأوروبيون على اكتشاف الفكر الإسلامي وترجمته من أجل إثراء ثقافتهم فقادهم ذلك إلى حركة النهضة الأوروبية وساروا فيها أشواطا . ثم عملت أوربا على كشف الفكر الإسلامي مرة أخري لهدف سياسي لتضع خططها الرامية للسيطرة على بلاد الإسلام مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسة في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاصة فيها لسلطانها . ومن هنا بدأ يظهر الأثر السلبي للإنتاج الاستشراقي الفكري الذي كتب عن المسلمين وأحيانا بالعربية ليمارس دور التخدير أو الالهاء ليبقى العالم الإسلامي خلوا من أي توجيه أصيل.

هذا الأسلوب هو ما نسميه : **بالغزو الفكري** : وهو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما ينبثق منها من أفكار وتقاليد وأنماط حياة وهو من شعب الجهد البشري المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتيا إذا أمكن ، وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للقلوب وإن كان في الوقت نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاة .وسلاح هذا الغزو : الفكرة ، والرأي والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض .

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان ، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعا ، وتسبق حروب السلاح وتواكبها ، حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته ، حتى يلين ويستكين ، وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه ، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه ، أو يصبح امتدادا ذليلا لهم .

وقد دمغ الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة ، مثل : الشياطين ، السفهاء ، المعوقين ، المرجفين أكابر المجرمين ، وأئمة الكفر ، والذين في قلوبهم مرض .

كذلك سمى هذا اللون ذاته بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل : زخرف القول ، الغرور ، الخبال ، الفتن .

وعمل المستعمر على نقل المعركة بين أبناء البلد المغلوب على أمره ، بأن استخدم من تربى في معاهده ، ومن قلده فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم ، فتحول الأمر إلى صراع داخلي ، أثار الفوضى ، وسرب في غمرته الأفكار الهدامة ، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من إمكانية التغيير . بذلك حاول الغرب والمتغربون تعطيل النشاط الفكري ، فبقي النشاط السياسي بالتالي أعمى والأفكار دون جدوى .

وحتى يتم تعطيل دور المفكر فقد عمل الاستعمار على :

أ- تنفير الرأي العام من أفكاره بجميع الوسائل المتاحة للاستعمار .
ب- تنفيره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه .

فيخلق المستعمر بهذه الطريقة نمطين من المواجهة لأي مفكر يريد أن يدخل حلبة الصراع لمواجهته ، حين يستغل إمكاناته الضخمة الإعلامية والثقافية وعملاءه في السر والعلن لكي يحارب شخصا وعى مشكلات بلاده ، وأراد أن يوجهها بأسلوب سليم ، بدايته وضع الأسس الفكرية ، واستقطاب الناس حولها ، وكثيرا ما تحاول حكومات بلاده التعتيم على ما ينشره أو يقوم به ، وتزداد معاناته حين يواكبه قومه باللامبالاة ، ويواجه بالأفكار المصدرة الملونة بالأحمر أو الأزرق ، ولكنها في مضمونها تحمل القناعات الاستعمارية القديمة برداء الحرية والإخاء والمساواة ، أو الماركسية والاشتراكية .

وبهذا عمل الاستعمار على تحطيم المعنويات الإسلامية وبقية الروح الإسلامية التي يستند إليها وجود الأمة التاريخي بملامحها الخالدة المميزة له .

وقد شهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية في عهد الجمود ، وقبل انهيار الخلافة العثمانية ، فنشطت دعوة المفكرين للعودة إلى الإسلام والتكتل الإسلامي ، أي فكرةالجامعة الإسلامية ، وإصلاح أوضاع المسلمين وعقيدتهم كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ،والدعوة السنوسية في ليبيا ،والمهدية في السودان . والدهلوية في الهند .

وبعد انهيار الخلافة العثمانية عام 1343 هـ / 1924 م ، واجه الغرب الصليبي والشيوعية ، والصهيونية الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير فنشط الاستشراق و التبشير.

والمنحرفون من الأمة نفسها ، وأصبحوا في حل من القيود ، يعبثون كما شاء لهم العبث ، وأخذت أفكارهم بما أوتيت من دعاية منظمة ، تجد هوى وتأييدا لدى العامة لتصبح رأيا عاما باسم التقدمية ، والنهضة ، والإصلاح ، ومقاومة الاستعمار ، وقامت مدرسة فكرية جديدة بين المسلمين ترمي إلى تقريب الشقة بين تعاليم الإسلام .

وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي الوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة والإصلاح ، والثورة على كل قديم على حساب الرابطة الإسلامية فمبدأ القومية يستهدف العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة

، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة .والدعوة إلى القومية والعالمية – سارت لمعارضة الإسلام

وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي الوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة والإصلاح ، والثورة على كل قديم على حساب الرابطة الإسلامية فمبدأ القومية يستهدف العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة

، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة .والدعوة إلى القومية والعالمية – سارت لمعارضة الإسلام

الدعوات الفكرية الهدامة

1- الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب

وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز ، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة ، بعد زوال الخلافة العثمانية ، مثل : طه حسين ، وسلامة موسى ، وقاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر في مصر .

فسلامة موسى في كتابه (اليوم والغد) 1345 هـ (1926 م) يرى أن مصر جزء من أوربا ، وليست جزءا من آسيا (أي من الإسلام)

وطه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ظهر سنة 1357هـ / 1938 م) فيقول : " إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي : أن نسيرة سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب.

وقاسم أمين يقول في كتابه المرأة الجديدة ، بعد أن تحدث عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر : " هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها .

2- احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية :

والاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا ، تلك التي دعت إلى الارتباط بالماضي التاريخي الغامض ، البعيد ، السابق على ماضيهم الإسلامي الحي ، ودعوة إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونيسيا .يقول أحد المستشرقين : " إننا في كل بلد إسلامي دخلنا ، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات .

ومن **الدعوات : الفرعونية في مصر** : التي أطلت برأسها عند غزو نابليون لمصر عام 1897 م فقد استصحب معه بعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة ، وأنشأ معهد الآثار الفرعونية في حي المنيرة بالقاهرة وما يزال قائما

مكانه إلى اليوم . فنشط دعاتها لغزو الأقطار بها وملأوا أبصار قارئي الصحف ، وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها ، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذه النحات محمود مختار شعارا لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام 1920 م .

وأثيرت **الفينيقية**في لبنان ، **والأشورية والسومرية والبابلية** في العراق ، **والكنعانية** في فلسطين ، و**البربرية** في المغرب ، والحيثيةفي آسيا الصغرى ، و**ماجاباهيت**الهندوكية في أندونيسيا **والفارسية** في إيران لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقا يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية . العبرية اليهودية في فلسطين .

عرضت **المناهج** – مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات عرضا منفرا مغرضا يجعلها على هامش المنهج الدراسي ، مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما . ويطبعهم على الاعتقاد بعدم جدواهما دراسيا . ويرسب في نفوسهم بالتالي الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات ، وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية .

3- **العمل على تطوير المعاهد الدينية** وخاصة الأزهر في مصر :

الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الإسلامية ، بل هو أعرق جامعة في العالم كله ، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل ، وبفضل ما كان يتمتع به علماءه من هيبة ومكانة ، أن يحمي العلوم الإسلامية والعربية بعيدة عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل .

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام ، وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللادينية ، حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر ، والعقبة ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس ، والزيتونة في تونس – وتهوين مركزه ، حيث وقفوا في طريق علمائه ، وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الإدارة ، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الإسلام على حد تعبيرهم بعيدا عن السياسة ، وبمعزل عن الحكم ، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن حفظ كتاب الجهاد – القرآن الكريم – فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة .وصدرت قوانين تطويع الأزهر باسم تطويره منها إلغاء القضاء الشرعي جملة وإدماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية ألغيت المحاكم الشرعية .

ورغم ذلك فقد بقيت هذه المعاهد بشيوخها وشبابها ، تحمل الفكر الإسلامي الأصيل وتواصل رسالته ، وأنشئت جامعات أخرى إسلامية تحمل الرسالة كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض . . وكلها تهدف إلى :

أ- تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله .

ب- إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات .

ج- عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

د- العمل على إزالة الفروق المذهبية ، أو تضييق شقة الخلاف بينها ، فإن الأمة في محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذا الفرق ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب تهدي إلى الحق .

هـ- تخريج الدعاة الواعين على عقيدتهم ، الواعين على أوضاع أمتهم ووسائل نهضتها ، وتحقيق الخير لها .

4-مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية :

اللغة العربية اختصها الله لغة للقرآن الكريم ، وخصها مرة أخرى لتكون لغة أهل الجنة ، وخصها أيضا لغة لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ولذلك فقد رافقت رحلة الإسلام وانتشاره .

وكان المسلمون يتطلعون إلى أن تأخذ الدولة العثمانية العربية لغة للدولة . غير أن التحول الذي أصاب تركيا بعد الحرب ، وتغريبها وانسلاخها من العالم الإسلامي دفعها للتخلص من الأثر العربي – فعملت على تصفية اللغة التركية من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج 13650 كلمة عربية .

حلت محلها كلمات تركية وأوربية . ففقدت تركيا تراثا ضخما يتمثل في مئات المجلدات ، في الأدب والنقد والثقافة ، التي كتبت باللغة التركية العثمانية – فضلا عن أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أفقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين . فإن هذه الحروف لا يمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها .ومنذ أن اتسع النفوذ الأجنبي في العالم الإسلامي واجهت اللغة العربية مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والإنجليزية والهولندية .

<u>قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم بالعمل على :</u>

1- - نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وترك الخط العربي وفي مقدمتها اللغة التركية والاندونيسية .

2- شجع لغة محلية أو أكثر في كل بلد إسلامي غير عربي لتصبح لغات قومية . وهذا طبعا يتم على حساب اللغة العربية كالأوردية والسنسكريتية والبنغالية في الهند . واللغات المحلية في أفريقيا .

3- توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرسمية كما فعل في الهند الإسلامية وبنغلاديش وباكستان وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها

أما في البلاد العربية فقد عمد الاستعمار إلى **الدعوة لاستخدام العامية** والتحريض على جعلها لغة التأليف والكتابة . كما فعل في الجزائر ومصر وبلاد الشام والعراق وتونس والمغرب .

ففي **الجزائر** – واجهت اللغة العربية محاولات خطيرة كادت هذه اللغة تمحى من الأساس محوا تاما ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها عبد الحميد ابن باديس – والبشير الإبراهيمي وغيرهما أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاث مائة مدرسة أقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع بأن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه . وكان لذلك أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر . وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي (جاك بيرك) حين قال : " إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا .

أما في **مصر** بلد الأزهر فقد كانت الحملة أشد . وبدأت عام 1881 م / 1299 هـ حين اقترح المقتطف كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامةوفي عام 1926 م / 1345 هـ دعا مهندس الري الانجليزي – السير (وليم ولكوكس) إلى هجر اللغة العربية .

سياسة التعليم التي خططها (دنلوب) في مصر ، واتبعها المستعمرون في أرجاء العالم الإسلامي انحدر **وضع مدرس اللغة العربية** بقدر ما انحدر راتبه ، وأصبح مادة للسخرية يتحدث الناس عن جهله ، وتخلفه ، وضيق

أفقه ، وفقره وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري وأصبح مادة للتندر في القصص والروايات والمسرحيات والأفلام ، وانعكس ذلك على الوضع المهين على اللغة التي يدرسها ، فأصبحت موضع الإزدراء ، والتحقير والنفور . . وأصبحت الشكوى مرة من صعوبة اللغة العربية ، وأصبح الإنسان يقارن ذلك بما عليه مدرس اللغة الانجليزية ، والنظرة إلى اللغة الانجليزية ! ! . وتسللت الدعوة إلى **مجمع اللغة العربية** – فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامة كتبها أحد أعضائه هو عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية الفصحى.

كانت الدعوات الهدامة للغة العربية تستهدف غايتين :

أ- تفريق المسلمين ، والعرب خاصة ، بتفويقهم في الدين وفي اللغة والثقافة ، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم ، وبذلك لا تتم لهم وحدة .

ب- قطع ما بين المسلمين وبين قديمهم ، والحكم على كتابهم – القرآن الكريم – بأن يصبح أثرا ميتا كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف البردي ، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقا باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه . والحكم على تراثهم كله بالموت لأ هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض .

وبقي في لبنان من يصر إلى اليوم على اللهجة اللبنانية وعلى رأسهم الشاعر سعيد عقل ، ويسمونها : اللغة اللبنانية . ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغة بحروف لاتينية وله جريدة أسبوعية محدودة ..

وعلى الإجمال فاللغة العربية تهان وتنقص من عدة جهات حاليا :

1- الروايات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة والعقليات الجاهلية . فتحيي ألفاظا كان يجب أن تموت مكانها وتؤذي المسامع باللهجات العامية المذكورة .
2- الزعماء الذين لا يحسنون الفصحى ويحلو لهم أن يتحدثوا إلى الجمهور ساعات طويلة . تختلط كلماتهم العربية والعامية
3- الأشخاص الذين يقلدون المنتصر والذين ذابت شخصياتهم ذوبانا تاما ، فيرون من الري أن يكون حديثهم بأي لغة إلا العربية .
4- ورجال المجامع الذين يرون العربية تنهار أمام ألفاظ الحضارة المحدثة ومصطلحات العلوم الكثيرة ، ومع ذلك فهم لا يحركون ساكنا مع أن العربية في خطر حقيقي .

وامتد التلاعب باللغة العربية إلى **لوائح الإعلانات** في الشوارع العامة وأسماء المحلات والمعارض التي تكتب بخطوط عريضة ومليئة بالأخطاء اللغوية ، بعد أن أقصيت من ميادين العلوم ، ولحق أدبها من تشويه وغبن في ميادين الآداب والفنون .

وفي يوم 29 / 7 / 1408 هـ الموافق 17 / 3 / 1988 م عقد مؤتمر اللغة العربية العالمي الأول بدعوة من جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي تحت شعار :(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . وشارك فيه ممثلون عن تسع عشرة دولة وعدد من العلماء المهتمين باللغة العربية . واستمر مدة ثلاثة أيام .وتضمنت أعماله خمسة محاور هي :دور اللغة العربية بوضعها أداة ربط بين الدول الإسلامية و التنسيق والتعاون في تعليم اللغة العربية بالدول الإسلامية وإسهام غير العرب في نشر اللغة العربية وسائل وتقنيات مختلفة في تعليم اللغة العربية .و دور القرآن الكريم في نشر اللغة العربية بين المسلمين

5- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب : -وجدت المدارس الأجنبية في بلدان العالم الإسلامي ، وأطلق غلاة المبشرين والقساوسة وأضرابهم في وضع برامج التعليم لمدارسهم حتى أن الموضوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية .

-والواقع أن الاستعمار كان حريصا على توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون صالح الحكومة والشركات ، ويهدف أساسا إلى القضاء على الثقافة الإسلامية بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها .فسيطر على المدارس الوطنية – التي تضم عامة أبناء الأمة ممن يقدرون على التعليم – عن طريق رجاله وعملائه الذين تولوا وضع المناهج الجديدة والسهر على تنفيذها وخدمة أغراضها القريبة والبعيدة كالخطة التي رسمها كرومر.

الخطة التي رسمها كرومر في مصر ونفذها القس الإنجليزي دنلوب وتلاميذه من بعده ، ولا تزال لها آثار وذيول سيئة تطبع بعض جوانب التعليم المصري ومقلديه في العالم العربي المسلم . فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ الإسلام وصلة مصر بالعرب والعربية ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية . وفي كل وحدات العالم الإسلامي نجد الهدف نفسه قد أعد بصورة أخرى ففي الهند الإسلامية يحاول التعليم التركيز على الحضارات الوثنية ، وفي تركيا يجري الاهتمام بالتاريخ الطوراني وأمجاد جنكيز خان . وفي اندونيسيا يركز على تاريخ ما قبل الإسلام وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي .

وحرض النفوذ الاستعماري أن يجعل من جامعاته ومعاهده مصدرا لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي .

فعين اللورد كرومرأول معتمد بريطاني على مصر (المستر دنلوب) القسيس المبشر مستشارا لوزارة المعارف المصرية . فكان في يده السلطة الفعلية الكاملة ، ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية مهملة الدين ، ويعين خريجوها في دواوين الحكومة . وأما خريج الأزهر فكان لا يجد عملا ، وإذا وحده ففي إقامة الشعائر في المسجد ، وفرق في الراتب بين كبير بينهما .

كان التعليم الحديث علمانيا منذ البداية ، وتعدى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية وفلسفة السلوك فقد طبق الاختلاط بين الذكور والإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي ، وأدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظام الجامعي .

وأخطر من هذا أن المناهج تقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين المسلمين فتعرض لهم تاريخ أوربا وحياة أبطالها وعلمائها

- استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب :

كان من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمد أعداء الإسلام عليها **الصحافة** باعتبارها أكثر شيوعا وأبعد تأثيرا سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود ، تحمل للمسلمين قيما جديدة وتحفل بضروب من الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيرا من المقدسات بالنقد والتجريح في غير ما حرج .

وليس من قبيل الصدف أن تنشأ الصحافة في بلاد الإسلام على يد **النصارى** ففي مصر قلب العالم الإسلامي نشأت الصحافة على يد الموارنة النصارى ، فدار الأهرام لآل تقلا ، ودار الهلال لآل زيدان ودار المقطم لآل صروف . وازدهرت هذه بحماية الحراب الانجليزية وعاثت فسادا وتشويها لكل القيم في ظل الاحتلال

بالصحافة سارت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة مسارا غريبا حتى آل الأمر إلى الواقع الفكري والأدبي المعاصر ، فنقلت الدارونية والفرويدية إلى مجال الأدب ، بطريق الترجمة أولا ثم الدراسة المستفيضة ، كما استورد

المسلمون المذاهب الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والشك واللاأدرية واللامعقول . . فعملوا بذلك على تفريغ الكلمة العربية والحرف العربي من مدلوله ومعناه باسم الرمزية وباسم العقل الباطن وباسم القاموس الخاص بالمفكر أو الأديب وتعرض الأدب إلى ظاهرة التقسيم والتجزيء.

واستمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في الأدب العربي من إسماعيل مظهر إلى لطفي السيد ومنصور فهمي وأمينا الخولي وطه حسين إلى صادق جلال العظم .تخفى بعضهم تحت أقنعة البحث العلمي أو التمذهب الأدبي وبعضهم هاجم مشاعر المسلمين وعقيدتهم بكل جرأة وصراحة

وكان من نتيجة شيوع هذه الأفكار في الفكر والشعر والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ولا سيما الشيوعية وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء تقريبا حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة الشكوك القاتل والوساوس الشيطانية فانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية أو القومية وغيرهما من الأحزاب اللادينية لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الاشتراكية موضة العصر كما يقولون .

فبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 م / 1336 هـ تحولت للاهتمام بالشرق وأسست الأممية الثالثة عام 1919 م / 1338 هـ وهو التاريخ الذي اتخذ منه اليساري اللبناني يوسف يزبك تقويما جديدا محل التاريخين الميلادي والهجري . وقد انحصرت الأفكار الشيوعية قبل ذلك في نطاق العلمانيين النصارى .

وقد أسهمت وسائل الإعلام – من صحافة وتلفزيون وإذاعة ومسرح التي يدير معظمها أناس علمانيون – إسهاما قويا في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوبا ومضمونا كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وشيعتهما نثرا وأعمال نزار قباني وزمرته شعرا .

وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق ، فنجد شعارات : الفن للفن ، الأدب غير الملتزم ، والأدب للشعب ، والأدب للواقع . . ومن الذين نادوا بفصل الأدب عن القيم الدينية سلامة موسى . ورغم هذه الأعراض الفكرية التي غلبت على واقع المسلمين اليوم ، إلا أن الفكر الإسلامي الأصيل بقي حيا وشق طريقه في أوساط الأمة بأصالته حتى اضطر أصحاب الأباطيل أن يغيروا وأن يبدلوا في أساليبهم بل أن ينحنوا في كثير من الأوقات.

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة السادسة

واقع العالم الإسلامي من الناحية السياسية اتجاهات المقاومة الإسلامية في القرن 13هـ -19م

➢ تخلى العرب والمسلمون عامة عن الدور المنوط بهم في قيادة البشرية وتوجيهها وهدايتها ، فتداعت عليهم الأمم والشعوب لكي يظفر كل بما يريد وهم في جمود وضعف ، ليس من بعده ضعف ، ولقد بدأ الانحراف في تصرفات بعض الحكام المسلمين قديما ، غير أن نقض عروة الحكم لم يظهر إلا في العصر الحديث حين بلغ المسلمون قراره الضعف وغاية التدهور ، فقد كان الإسلام طيلة القرون السابقة أعمق في النفوس من أن يستبدل به أي منهج آخر ، وكانت الجاهلية أحقر من أن تطاوله أو تطمع في أبنائه .

➢ روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لينقضن الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة يتشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن نقضا الصلاة "

➢ وقد أدرك الغربيون – التي تولت حضارتهم قيادة الفكر البشري وتوجيه الحضارة الإنسانية – أهمية الحكم في الإسلام فعملوا على إبعاد أحكامه وإلغاء الخلافة – العقد الذي يجمع المسلمين ليتبعثروا بعد ذلك - . كما أن خبراءهم لم يجمعوا في الشئون الإسلامية على شيء مثل إجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية التي يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها .

➢ يجد القارئ هذا الإحساس واضحا في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) للوثروب ستودارد ، وكتاب المستشرق الهولندي هورجرونيه ، كما يجده في مقال الوزير الفرنسي المشهور (هانوتو) الذي رد عليه محمد عبده في مطلع القرن العشرين ، ويجده بشكل أكثر صراحة في كتاب (إلي أين يتجه الإسلام) الذي أشرف على نشره وجمع مواده المستشرق الإنجليزي (هـ . أ . جب) سنة 1932.

➢ برز عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية في الشرق الإسلامي والعربي منه خاصة التي من شأنها تقوية الشعوبية فيما وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم على الإسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه ، والاستعانة على ذلك بالأناشيد ، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التي تلتقي قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال به .

➢ بقي العالم الإسلامي يمثل كتلة سياسية واحدة رغم ما أصابه من انحراف وجمود ، ورغم ما أصابه من فرقة وتشتت ، يتمسك بمفهوم الولاء والبراء الإسلامي ، ويجمعه رمز الخلافة ، والبيت الحرام . ويطلق على غير المسلمين الكفار ، ولا يقبل الخضوع لهم ، بل ويتحداهم رغم ضعفه وهوانه .

➢ وكانت قد ابتدأت فيه عوامل اليقظة الفعلية وكان من الممكن أن يستعيد ذاتيته ودوره في التوجيه العالمي وفي قيادة العالم عندما انبثقت من قلب الجزيرة العربية – منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا (القرن الثاني عشر الهجري) – دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الأجنبي الزاحف .

➢ وهذا ما أعطاها قوتها ومكن لها وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير ، كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت في مكان الدعوة الإسلامية ، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام

،ودعوتها إلى التوحيد أقوى علامات المقاومة للاستعمار والنفوذ الغربي والانحرافات في عالم الإسلام بحسبان أن الإسلام دعوة خاصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده .

➢ تحولت هذه الحركة إلى دولة عندما التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود في الدرعية وتعاهدا على نشر عقيدة التوحيد الخالصة ، وتطبيق شرع الله ، ومن ثم بدأ الجهاد في سبيل الله ، حتى عم التوحيد ربوع الجزيرة العربية ، وقد حرص الاستعمار على وأدها والقضاء عليها وحمل عليها الحملات وأوغر عليها صدر الدولة العثمانية التي رأت فيها خطرا عليها وعلى نفوذها ، فتمكن محمد علي باشا والي مصر من إسقاطها . ولكن الحركة لم تمت بل وسعت مداها وتأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعا ، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد ، وجمال الدين القاسمي في الشام ، وخير الدين في تونس ، وصديق حسن خان في يهوبال بالهند ، وأحمد بن عرفان الشهيد بالهند .

➢ سجلت الحركة يقظة إسلامية قبل قدوم نابليون بأكثر من ستين عاما . وانبعثت منها السنوسية على يد محمد بن علي السنوسي ، الذي تلقاها في مكة وكونت جيلا قادرا على أن ينشر الإسلام في أنحاء أفريقيا ويشكل في الوقت نفسه كتائب للجهاد في سبيل الله في الجزائر وليبيا . وكان قد بدأ عمله الجاد عام 1258 هـ / 1842 م بالبيضاء في الجبل الأخضر حتى توفي سنة 1273 هـ / 1856 م .

➢ وبالدعوة السنوسية واصل الإسلام مده في أفريقيا فأصبحت بحيرة تشاد مركزا للإسلام في أواسط أفريقيا ثم امتد عمل السنوسيين حتى بلغ النيجر الأدنى . وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وساموري . حتى أن مسيو (رودفريرجن) قال : " إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وأن السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الأفريقي

➢ ...وفي السنغال . . . وهي العقبة في سبيل توسعنا الاقتصادي والسياسي داخل أفريقيا وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء "وقد تحولت الحركة كليا إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت إيطاليا طرابلس الغرب عام 1329هـ / 1911 م

➢ كذلك برزت في السودان حركة ثالثة وهي حركة محمد أحمد – الحركة المهدية – وقامت حركته على الجهاد وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معا ، واستطاعت الحركة أن تواجه الحملات التي شنتها بريطانيا في ظل احتلال مصر (1300 – 1316 هـ / 1882 – 1898 م) وأن تسحق كل عمليات الغزو التي وجهت إليها.

➢ تمكن (كتشنر) القائد الإنجليزي من القضاء على ذلك الكيان عام 1316 هـ بعد أن تمكنت بريطانيا من عزل الدعوة عن جيرانها المسلمين وتشويهها .

➢ حاول المستعمر الغربي تشويه الحركات الإسلامية الثلاث وعمل على القضاء عليها جميعا وعلى الحركات التي مثلها تقوم على أساس الإسلام في الحكم وتعلن الجهاد في وجه الغاصب . وعمد إلى إشاعة فكرة **فصل الدين عن الحياة** في العالم الإسلامي .

➢ ابتدأ الانحراف غير المقصود عن الحكم بالإسلام في جناحي العالم الإسلامي القويين – **تركيا ومصر** ، من منطلق التخلص من جمود الفقه الإسلامي أمام التغيرات الحيوية الجديدة ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري وأن محاكاة أساليب الحياة الغربية جديرة بالقضاء على ذلك التخلف . وعلى هذا الأساس قامت الحركة المسماة حركة الإصلاح في جناحي العالم الإسلامي ولمرونة المفهوم واتساعه صاحب حركة الإصلاح من سوء الفهم وغبش التصور مما أدى آخر الأمر إلى سحق الشريعة الإسلامية باسم الإصلاح

➢ نشأت في تركيا حركة ثورية تطالب بالإصلاح الداخلي الذي تمثل في وضع حد لسلطة السلطان عبد الحميد المطلقة ، وقد لمع اسم مدحت باشافي حركة الإصلاح المرنة هذه فصمم على إيجاد دستور وفق الأحكام الغربية الصرفة بغية إرضاء الدول الأوروبية ليلقى الدعم والتأييد وذلك في زمن السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس والسلطان عبد الحميد حيث تولى الصدارة في عهده تحت ضغط الدول الأوروبية ليفسح لهم المجال في نشر الأفكار الغربية فوضع دستورا دعاه : قانون أساسي عام 1294 هـ استوحاه من الدستور البلجيكي ، فأصبح الدستور البلجيكي المعدل دستورا للدولة الإسلامية العثمانية بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة فلم ينفذه السلطان عبد الحميد ونفى مدحت باشا وقد ثبتت اتصالاته بالانجليز في وقت كان فيه (دزرائيلي) . اليهودي رئيسا لوزراء بريطانيا .

➢ وأخذ عبد الحميد يدعم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الإسلامية فقامت خلية جماعة الاتحاد والترقي في سلانيك. التي عملت على إسقاط عبد الحميد وإقصاء الشريعة الإسلامية من حكم تركيا - ، - ثم مصطفى كمال الذي قضى نهائيا على الشريعة الإسلامية في تركيا . وسار بتركيا مسيرة من يجعل الإسلام أجنبيا عن الحكومة التركية . وكان قادة حركة الإصلاح التركية من مختلف الميول والاتجاهات فضياء الدين وقع في يده كتاب أدمون ديمولان عن سر تقدم الانجليز السكسونيين ومن ثم اعتنق فكرة اللامركزية .

➢ أحمد رضا كان قد تعرف على أوغست كونت فاعتنق الوضعية إلى حد أنه أصر على تأريخ منشوراته بالتاريخ الخاص بالوضعيين وحذف التاريخ الهجري . وأمه نمساوية وأبوه كان يعرف باسم انجليزي علي بك نظرا لميوله للإنجليز وحبه لهم .

➢ نامق كمال كان وطنيا متأثرا بالنزعة القومية التي عاصرها أثناء إقامته في العواصم الأوروبية المختلفة .

➢ وأما مصطفى كمال فقد تمت صناعة بطولته بكل دقة وألقى اليونان في البحر فكان على يديه انتهاء الخلافة وإعلان العلمانية ، بل وصف الأمير شكيب أرسلان حكومته أنها : دولة مضادة للدين والحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء

➢ والواقع أن مصطفى كمال قد صنع نموذجا صارخا للحكام في العالم الإسلامي بالتخلي عن أحكام الإسلام وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذأثره في سياسات من جاء بعده منهم . كما أنه أعطى الاستعمار الغربي والشيوعي مبررا كافيا للقضاء على شريعة الإسلام .

➢ **أما في مصر :**

فقد حاول نابليون بونابرت . عندما قام بحملته على مصر عام 1798 م (كما سبق) – تنحية الشريعة الإسلامية ، وإحلال قانونه بدلا منها ، فقاومه علماء الأزهر ، ومعهم الأمة ، ففشل ، وفشل خلفه (كليبر) الذي سقط قتيلا بيد (سليمان الحلبي) المسلم رحمه الله ، وكذلك فشل جاك مينو الذي تظاهر بالإسلام واسمى نفسه عبد الله وتزوج مسلمة من رشيد واسمى ابنه سليمان .

➢ ثم بدأ الانحراف عن الشريعة منذ زمن محمد علي باشا . وفي عهد إسماعيل الذي كان هدفه الأكبر هو أن يجعل مصر قطعة من أوربا .

➢ وأما في عهد الاحتلال البريطاني فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعا من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين :

➢ فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعا من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين : -فهو يشغل الرأي العام بما يطرح على بساط البحث من مسائل وما يثار من مشاكل فينصرف عن الانسياق في تيار الكراهية للاحتلال الإنجليزي . -ثم إن الإصلاح يدعم في الوقت نفسه حجة الاستعمار في أنه دائب على العمل لترقية مصر وإصلاحها . ولذلك أطلق

كرومر في دعوته عدد من النصارى بعضهم من الشام وبعضهم من مصرفأخذوا بمساعدة بعض العلماء والزعماء يعملون على حركة إلغاء الإسلام أو عزله عن شئون الحياة كلها .

➢ فأحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل) كتب في جريدته : (الجريدة) : " إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر ، ولا ينبغي أن نحاربهم ، ونقاومهم ، إنما واجبنا أن نتعلم منهم ، ثم نتفاهم معهم ، بعد ذلك ، لتصفية ما بيننا وبينهم من خلافات "

➢ وأنشئ الحزب الوطني الحر الذي نطقت باسمه جريدة المقطم الصريحة في ولائها للانجليز لا تستخفي ولا تداري ،وكذلك حزب الأمة الذي دعا إلى التحرر الفكري والتعاون مع الأوربيين في كل مجالات الحياة ثقافيا وإقتصادياً وسياسياً وكان اللورد كرومر يسميهم حزب الشيخ محمد عبده ويعقد عليهم الآمال في مستقبل مصر السياسي ويوصي ممثلي الاحتلال بأن يمنحوهم كل عون وتشجيع .

➢ كان الانجليز أيضا يحتضنون في مصر كل مناهض للسلطان العثماني وكل معارض للخديوي الذي يستمد وجوده الشرعي من ذلك السلطان وكل داع إلى الإصلاح الداخلي ، لأنهم يريدون أن يشغلوا الناس عن التفكير في الجلاءفكانت سياستهم تدور حول خطتهم السياسية المشهورة : فرق تسد Divide in order to conquer.

➢ وكانت بريطانيا عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فور تمكنها من البلاد غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها بأن يتولاها علماء : (ذوي طابع تحرري) تتم تربيتهم بإشرافه في معهد خاص لقضاة الشرعوأنشأ مجلس شورى القوانين .

➢ عاصر الشيخ محمد عبده رجل آخر من دعاة الإصلاح في الشام هو عبد الرحمن الكواكبي (ت سنة 1320 هـ / 1902 م) وهو أول من نادي بفكرة فصل الدين عن الحياة بمفهومها الأوربي الصريح فهو يقول في كتابه طبائع الاستبدادواقتفى الأثر عدد من الكتاب الصحفيين وغيرهم يطالبون بضرورة فصل الدين عن السياسة وإبعاده عن واقع الحياة باعتباره الحل الوحيد لمشاكل الشرق ، وكان لجهود المستشرقين ودسائس المبشرين أعظم الأثر في تحقيق ذلك .

➢ ظهر كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) بوحي من المبشرين دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة بصراحة بأسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات وطريقة الباطنية في التأويل البعيد .

➢ كان لكتابه آثار بعيدة فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية وأصبح مرجعا معتمدا للدراسات الإسلامية في الغرب . وظهرت كتاباتهم متأثرة به وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه متحررا متنورا ، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية . في حين ووجه بمعارضة شديدة من المسلمين المخلصينوقد وجدت الأحزاب السياسية في كتابه ضالتها المنشودة فلم تعد تتحرج في إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شرقيها وغربيها وبراءتها من الدين والمتدينين .

➢ ظهرت أفكار كثيرة تبرر انتهاج الطرائق الغربية في الحكم وأسهمت وسائل الاعلام – لا سيما الصحافة – في نشر وتعميم تلك الأفكار حتى استحكمت غربة الشريعة وخفت صوت المكافحين عنها ، بل أصبح – في نظر الغالبية العظمى – رمزا للرجعية والتأخر وسط ضجيج الدعوة إلى الإصلاح والتجديد وصخب الشعارات التي رفعتها الأحزاب

القومية والوطنية والإقليمية والاشتراكية المتصارعة ، فانسحب الإسلام من الحياة السياسية ليتخبط العالم الإسلامي وهيئاته السياسية في تجارب حكم جديدة .

➢ وترتب على ذلك انسحابه من ميادين الحياة الاقتصادية تماما وسيادة المبادئ الرأسمالية والاشتراكية المتصارعة ، كما انسحب تدريجيا من الحياة الاجتماعية (كما سبق) ، وانزوى في ركن واحد من العالم الإسلامي هو منبعه الأصلي في جزء من شبه الجزيرة العربية .

➢ ونرى لزاما علينا أن **نلخص آثار الاستعمار السياسية في العالم الإسلامي لتتضح صورة الواقع السياسي لبلاد الإسلام :**

➢ فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من الاستعمار وأفسدوا حلمه في البقاء الطويل ، فاندلعت ثورات في الهند واندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان والتركستان والقوقاز وأقطار أفريقيا الإسلامية فعمد الاستعمار إلى أساليبه المختلفة في إبقاء آثاره والحيلولة دون لقاء المسلمين ووحدتهم ، فيثبت أوضاع المسلمين بعد رحيل الاستعمار كما هي بل وأشد انحرافا عن منهج الإسلام وشريعته . **ومن هذه الآثار التي تركها :**

1- اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي فمزقوا وصلاته بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا وهولندة وأسبانيا والبرتغال وقد ترك كل منهم بصماته في الأقاليم التي تركها .
2- انتزع المستعمرون أقساما من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين مثل فلسطين ، واريتريا ، وصومال أنفدي والصومال الغربي ، وقبرص ، ولبنان ، وكثير من الأقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفييتي ، وأوربا الشرقية.
3- جزأ الاستعمار العالم الإسلامي ، وأقام الحدود المصطنعة وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين والتعاون فيما بينهم ولن تعوزنا الأمثلة لذلك : الصومال مع جيرانه ، العراق وإيران ، سوريا وتركيا ، مصر وليبيا ، السودان وجيرانها التسع ، المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا ، تنزانيا ، نيجيريا ، أندونيسيا وماليزيا ، الهند وباكستان ، ثم بنغلاديش والهند ، كشمير ، اليمن الشمالي والجنوبي وعمان ، ومشكلة كل قطر مع الآخر مستعصية ، لا يحلها إلا الإسلام الذي أقصي عن الساحة .
4- عمل الاستعمار على نشر لغته وتاريخه وعاداته في بلاد الإسلام وحارب اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وشوه تاريخ الإسلام ليؤكد الطابع الإقليمي والوطني لكل قطر وليحول دون لقاء المسلمين .
5- عمل على نشر الحكم الفاسد في بلاد المسلمين ، فحصر الوظائف في أيدي أعوانه وممثليه وأشاع روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد فعملوا على الفصل بين العرب والمسلمين ، وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى في بلاد الشام ومصر ، وبين المسلمين والهندوس في الهند ، وأثاروا الخلافات واستغلوها بين أهل السنة والشيعة . والعرب والبربر ، وجمد الاستعمار المجتمعات البدوية وجمد القبليات ، وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى بل فرق بين الريف والمدن والبادية ، وعمق المشكلة الطائفية وغذاها وفرضها ووجهها الوجهة التي تخدمه في بلاد الإسلام .
6- شجع الأحزاب القومية والوطنية والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي ، لتخدمه وتخدم مصالحه . واصطنع الزعماء في كل قطر إسلامي ، وسرق الثورات وزرع الخوف في نفوس كثير من المسلمين وأبعد مفهوم الجهاد وحاربه بمختلف الوسائل . وجاءت أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) مع روسيا لترث الاستعمار – فوضعت خطة سميت لعبة الأمم وتعني النشاط الذي بدأته وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن بغية وضع المخططات المناسبة لبسط النفوذ الأمريكي على بلاد

العالم عن طريق السياسة والخداع بدل اللجوء إلى الحرب المسلحة ، وبذلك يقترب المعنى من : التخطيط السياسي للصراع على مناطق النفوذ في العالم عن طريق الحرب الباردة .

- وأسفرت هذه الآثار عن إقصاء الشريعة الإسلامية عن ميدان الحكم في العالم الإسلامي ، وأصبح عدد دوله التي ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانية كبيراوجميعها تعد من دول العالم الثالث الموصوف بالضعف والتخلف ، وتقع هذه الدول في قارتي آسيا وأفريقيا ودولة واحدة في أوربا هي ألبانيا ، هذا عدا عن الأقاليم الواسعة التي لا تزال ترزح تحت الاحتلال الأجنبي في الاتحاد السوفييتي والصين وفلسطين وغيرها والدول التي لا يشكل المسلمون فيها أغلبية تزيد على 50 %

- هذا وتتصل معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والاقتصاد والفكر ، وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضه لأطماع المعسكر الشرقي والغربي على حد سواء كما اتصف بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي يواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وأفريقيا ، والهندوسية في شبه القارة الهندية ، والشيوعية في تركستان والصين وأفغانستان

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة السابعة

الصحوات الإسلامية

الاتجاه إلى التزام المسلمين بالإسلام

تحاول الأمة الإسلامية أن تتجاوز المحن الكثيرة والتحديات التي تعترضها رغم وسائل التدمير والهمجية ، كما تحاول أن تلم جراحها وأن تتعرف على مواطن الضعف في حياتها التي كانت منافذ للعدو وثغرات تسلل منها ، وأن تتلمس مواطن القوة لتنطلق مرة بعد مرة وخاصة فقد بقي لها الإسلام علما وحضارة وثقافة وانتماء وبقي كتابها وسنة رسولها الأمر الذي يمكنها من الصمود ويعينها على النهوض والمواجهة من جديد .

ولقد شهد القرن الرابع عشر الهجري محاولات ومؤامرات ومكائد لا تحصى عددا ولا تقدر ضخامة وشراسة استهدفت القضاء على الإسلام وتركيع المسلمين ومصادرة ونهب خيرات العالم الإسلامي ومقدراته

القضايا التي سنستعرضها والقضايا الأخرى الكثيرة التي لم نتمكن من استعراضها لضيق الوقت والمجال (كتطور الأزمة اللبنانية وتفاعلاتها ، والحرب العراقية الإيرانية والغزو التنصيري لأقطار أفريقيا وقضية جنوب السودان وتشاد وغيرها) إلا حلقات في مسلسل التآمر على الإسلام والعالم الإسلامي قادتها القوى العالمية الثلاث : الصليبية (الامبريالية الغربية) والصهيونية العالمية ، والشيوعية (الإمبريالية الشرقية) . قال تعالى : (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) وقال تعالى (وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) .

ورغم كل ذلك فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة ورجوعا إلى الله .

ورغم كل ذلك فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة ورجوعا إلى الله بعد أن خاض العالم الإسلامي تجارب كثيرة من الرأسمالية إلى الشيوعية ، ورفع أكثر أقطاره كثيرا من الشعارات : الحرية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، والاشتراكية ، والقومية ، والوطنية . .

وكلها تجارب باءت بالفشل وشعارات تساقطت الواحدة تلو الأخرى ، ذلك لتصادم هذه الأنظمة والشعارات مع فطرة الإنسان ، فكفر الناس بالفلسفة وفلاسفتها وبالآراء ومفكريها ، وأخذ بعضهم يعود إلى الله – وعاد المسلم يلمس بل يؤكد أن هذا الدين مقبل ليأخذ بيد الإنسان الشرقي والغربي على السواء إلى طريق الخير . قال تعالى : (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)

وقد تمثلت هذه الصحوة في الدعوة لأن يعيش المسلمون إسلامهم في جواهره الثابتة ، وقيمه الخالدة ، وآدابه السامية ، وأن ينطلقوا منه لمعالجة شئون عصرهم .

ومن أسباب ذلك :

1- أن الإسلام هو دين الفطرة للإنسان ، القادر دائما على إعادة صياغة من يوهمون بالانحلال والتمرد على العقيدة والقيم ، إذا توفر المنهاج التربوي الصائب ، ووجدوا علماء الآخرة الذين يفقهون تزكية النفوس ويحكمون صياغة العقول وتوحيد الجهود ، ويعطي التفسير الصحيح للوجود ولمركز الإنسان فيه ولغاية وجوده الإنساني في إعمار الأرض واستخلافه فيها ، ويكسبه الراحة النفسية بإدراكه غاية وجوده . قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

فالآية تجعل الإسلام ليس فقط دين الفطرة ، ولكن الفطرة نفسها التي فطر الناس عليها ، فالإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد وان مبادئه وأحكامه مطابقة تماما لسنن الفطرة ، وأما ما يعتور الناس من عوج فهو أمر طارئ راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة أي إلى عدم تنشئة النشء على أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله. يقول ابن تيمية (رحمه الله) : " ماذا يصنع بي أعدائي ، إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني – إن قتلي شهادة ، ونفيي سياحة ، وسجني خلوة " .

2- انهيار الحضارة الغربية بفرعيها الرأسمالي والشيوعي : فقد انكشف زيف هذه الحضارة لماديتها المفرطة وخوائها الروحي فأوقعت حياة الرجل الغربي في الفراغ وعجزت عن تقديم الحلول المقنعة لهدف الإنسان من الحياة ، عندما جحدت الإله الذي يفزع إليه وقت الشدة ، فأوصلت الإنسان إلى الشقاء والتمزق الداخلي والتوتر العصبي والفزع ، والهروب من الحياة إلى الكحول والمخدرات والشذوذ الجنسي ، والبحث عن الصرخات والموضة ، وأخيرا إلى الانتحار لوضع حد لهذه الحياة البائسة التعيسة كما فعل جاكوب مارينو ، وارنست همنجواي ونيتشه وغيرهم .

وامتلأت المسرحيات بهذه الآلام والتعاسة ، وأخذ الذين ساروا على نمط الحياة الغربية من المسلمين يواجهون المصير ذاته ، ويعانون التمزق نفسه .

- وامتلأت المسرحيات بهذه الآلام والتعاسة ، وأخذ الذين ساروا على نمط الحياة الغربية من المسلمين يواجهون المصير ذاته ، ويعانون التمزق نفسه .

وقد مرت الحضارة الغربية بأطوار ثلاثة هي :

1. طور الهروب من الله بالثورة على الكنيسة والتحرر من سلطان الدين .
2. طور فتح أبواب كل شيء عليها : الإنتاج والإبداع في نواحي الحياة المادية .
3. طور الضمور والإفلال والاستبدال (: والحضارة الغربية اليوم في هذا الطور الأخير .

- يقول جود الإنجليزي : " إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش " .

- وهذا ما جعل الصيحات الدينية المتخلفة الشاذة المنحرفة تنطلي على الناس الذي اتصفوا بالخواء الروحي والفراغ العقدي ، كالبهائية في ثوبها الجديد على يد (صون مون) البليونير الأمريكي الكوري الأصل ، الذي ادعى أن الوحي ينزل عليه ، وزعم الاتصال بالمسيح منذ حوالي نصف قرن ، ومن ورائه الأصابع الصهيونية الماسونية ، في محاولاتها لتهديم بقايا الأديان وبقاء سيادة المادية . وكمحاولة (هوبكنز) المبشر النصراني في التقريب بين الإسلام والنصرانية في لبنان بإقامة : جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية . ومن العجيب أن صون مون اختار تركيا لإعلان بيانه العجيب وادعائه بالنبوة التي زعم أنه يتلقاها عن المسيح منذ عام 1936.

- ماذا يحدث في البلدان الاشتراكية بعد (البروسترويكا) وهو الكتاب الذي بين غورباتشوف فيه سياسته الجديدة بعد إفلاس الشيوعية . حيث تم سقوط ما يسمى بالاتحاد السوفيتي بالفعل .

- كما أن الاشتراكية أخذت تتهاوى في الأقطار التي تزعمتها ، فقد تخلت الصين عن كثير من أفكارها ، كما تنازل الاتحاد السوفييتي زعيم الاشتراكية العلمية عن كثير من أفكارها . في عهد غورباتشوف وبين عجز النظرية الماركسية وقصورها . ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الغربية لن تنهار بالسرعة التي يتخيلها بعض الناس ، ففيها

من المرونة وخاصة ما يسمى بالحل الوسط ، والقدرة على المناورة والصبر في المفاوضات حتى بين الشقين المتضادين الرأسمالية والاشتراكية ما يمد في عمرها ، إذا بقي المسلمون في سباتهم .

والواقع أن الإسلام هو المرشح الوحيد لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية ، فهو دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجا وإماما – قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) .

• وكان الغرب ولا يزال يدرك أهمية الكتاب (القرآن الكريم) في تحقيق وحدة المسلمين ، فكان كرومر عميد الاستعمار الإنجليزي في مصر يقول " لا يمكن للاستعمار أن يعيش ويستقر وسط أمة طالما ظل هذا الكتاب فيها " . والكتاب تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، ولم يكله لأحد ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

• أما المسلم فيؤمن ويعتقد بأن المستقبل لهذا الدين – الإسلام – للنصوص الثابتة المحكمة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تبشر بذلك

• قال تعالى (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) .

• وقال صلى الله عليه وسلم : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله دين الإسلام وذلا يذل من كفر " .

• وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أن نهاية اليهود ستكون في فلسطين ، وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم . قال صلى الله عليه وسلم : " تقاتلون اليهود ، فتسلطون عليهم ، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر ، فيقول الحجر : يا عبد الله : هذا يهودي ورائي فاقتله "

• وقال صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي ، يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله .

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يستعرض التاريخ المقبل للأمة المسلمة من لدن نبوته : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " ، ثم سكت .

• هذا كله يؤكد حتمية رجوع الإسلام إلى مركز السيادة وموضع القيادة ويحقق الانتصارات فيسود ويعم أرجاء الوجود بإذن الله .

• ومن كتاب الغرب أنفسهم من رشح الإسلام كمنقذ للبشرية . قال (ديباسكييه) الفرنسي : " إن الغرب لم يعرف الإسلام ، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه ، ولم يكف عن الافتراء عليه والتنديد به ، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام ، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد ان استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان ورأى جارودي أن الحضارة الغربية تقود العالم إلى الانتحار فأسلم عدد كبير من فلاسفة الغرب وكتابه كرجاء جارودي (روجيه جارودي الذي أسلم عام 1982 م)

• وعبد الله أليسون الانجليزي رئيس قسم الهندسة الالكترونية بجامعة لندن ، وأسلم أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم في القاهرة من 11 محرم إلى 13 محرم سنة 1406 ه

- ونتيجة لذلك برزت مع نهاية القرن الرابع الهجري ظواهر صحية تدل على الاتجاه لالتزام الإسلام ومن هذه الظواهر – مظاهر الصحوة – :

- - المدارس التي خطط دعاة التغريب ، أخذت تدفع الأفواج إلى الله ، كما بدأت المناهج في بعض الأقطار الإسلامية تأخذ مسارا لا بأس به باتجاه الإسلام .

- - - الجامعات التي سهر دعاة التغريب على مناهجها وظنوها مراكز التدمير أصبحت تقدم نماذج الشباب الصادق الملتزم بإيمانه وعقيدته فأصبحت كبلاط فرعون يربى فيه موسى عليه السلام ليهدم بيده عرش فرعون . فانتشرت الدعوة انتشارا واسعا في صفوف المثقفين من الأطباء والمعلمين والمهندسين ، ومن طلاب الجامعات في شتى التخصصات .

- وبقي الأزهر رغم ما خطط له ينير السبيل أمام المسلمين في جميع أنحاء بلاد الإسلام ويغذيهم بشبابه وشيوخه . وتصل عن طريقه الدعوة إلى مختلف أجزاء الأرض .

- وشمخت الجامعات الإسلامية وطاولت غيرها وتفوقت على الجامعات العلمانية وأقبل عليها الشباب المسلم من مختلف بقاع الإسلام ، كما هو في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة أم القرى وفي باكستان وماليزيا وغيرها في أرض الإسلام ، ليتخرجوا دعاة إلى الله .

- وخفت صوت دعاة التغريب وتواروا بأفكارهم بعيدا وكسدت بضاعتهم وكلت أقلامهم . وأصبح نقد هؤلاء ، والدفاع عن الإسلام ليس هدفا بحد ذاته ، وكثر نقد الحضارة الغربية بشقيها (الاشتراكي والرأسمالي) بنظرات إسلامية عميقة مستنيرة ..

- كما أصبح الكتاب الإسلامي هو أكثر الكتب رواجا في الأسواق وأقبل أصحاب المطابع عليه حتى أصحاب المطابع النصرانية (طبعا بقصد الربح) وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن والمجلات الخليعة . وازدادت العناية بالتراث الإسلامي ونشره في مصر والمملكة العربية السعودية والعراق والهند (دلهي وحيدر آباد] والإتحاد السوفييتي ودول الغرب .

- وأصبحت مكة والمدينة قبلة الشباب والشيوخ فعلا ، فالرحلات والنزهات وقضاء أوقات الإجازات والعطل الرسمية تكون عمرة مباركة وزيارة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وظهرت العناية الكبيرة بأماكن الحج والمدينة المنورة ، فأصبحت مكان الجاذبية للمسلمين .

- وأصبح الفكر الإسلامي والصوت الإسلامي والشخصية الإسلامية حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب . فتأسس المركز الدولي للسنة النبوية على سبيل المثال لمواجهة من أساء إلى السنة من المستشرقين والمستغربين بتخريج الأحاديث .

- وأصبح أصحاب المناصب والهيئات في العالم الإسلامي يتلبسون بثياب الإسلام أو يحاولون أن يتلبسوا على الأقل ، ويلتمسوا نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإسلامية .

- وبرزت المظاهر الإسلامية في الأفراح والأحزان والمظهر الشخصي – (مثل العقيقة ، واللحية ، وعزل النساء عن الرجال في قاعة الدرس ، وفي حفلات الأعراس ، والامتناع عن تقديم الدخان في المآتم والأفراح ، والإعراض عن لبس خواتيم الخطبة وخاصة الذهبية منها ، واللباس الإسلامي . . . وغيرها) .

- وظهر تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات ، والتدقيق على خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول .- إنتشار اللباس الشرعي للنساء ، والاتجاه إلى الزي الإسلامي للرجال ، وقد أخذ يظهر هذا بوضوح في المدارس والجامعات والمعاهد .- تحري الحلال في استغلال الأموال واستثمارها ، فبرزت البنوك الإسلامية .- انتشار وشيوع أشرطة القرآن الكريم

والندوات والخطب الإسلامية والإقبال الشديد عليها .- عودة المسجد لتأدية دوره ، فامتلأت المساجد بالشباب ، ومنها تقوم الرحلات لنشر الدعوة الإسلامية ، ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة .- الإعتزاز بالفكر الإسلامي وانتقال المفكرين من دور الدفاع ورد الشبهات إلى دور التحدي ، ومن مرحلة الإستحياء إلى مرحلة البروز

- إنحسار الشركيات كالطواف حول القبور والذبح لها ودعاء الأموات والتوسل بمشايخ الطرق وأمثالهم من الدجاجلة ، وبدأت عقيدة التوحيد الصافية النقية بشق طريقها إلى القلوب على يد المخلصين من هذه الأمة .

- وبعد أن كانت الدولة التي تقيم حدود الإسلام – المملكة العربية السعودية – توصف بالرجعية والتخلف ، تطاردها سهام وسائل الإعلام من مختلف الجهات ، أخذت اليوم تبرز في المحافل الدولية العربية والإسلامية بوزن كبير واعتزاز .

- وأصبحت المناداة بتطبيق أحكام الإسلام تجد صدى كبيرا ، وتقترب بعض الدول منه . مثل باكستان والسودان ، وأخرى ترتفع فيها الأصوات تنادي بتطبيق شرع الله كما في مصر وبنغلاديش وماليزيا واندونيسيا والجزائر والمغرب ، وحتى في تركيا المجتمع العلماني

- وأخذ الإسلام يغزو الغرب فأسلم كثير من المتخصصين في شتى العلوم ومنهم الفلاسفة ورجال السياسة والدين ، وشهدوا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحفظ للبشرية كرامتها أفرادا وجماعات . واندفع ألوف من البشر (ممن يبحثون عن الخلاص في أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا) إلى الدخول في الإسلام .

- - إحياء فكرة التضامن الإسلامي على المستويين الرسمي والشعبي ونشاطات الندوات والمؤتمرات التي تبحث في قضايا الإسلام – السياسية والتربوية والأدبية - .

- كما ارتفعت المساجد والمآذن في كل ركن من أركان أوربا وأمريكا انطلق منها نداء الله أكبر ، عامرة بالمصلين والمؤمنين . .

- - اتفاق معظم المسلمين اليوم على تحديد خصومهم : الاستعمار ، والصهيونية ، والرأسمالية والشيوعية ، كمخاطر خارجية ، إلى جانب المشكلات الداخلية المتمثلة في قضايا التخلف والتنمية والفقر والجهل والمرض . وبذلك فهم يسيرون نحو الوعي بالذات .

- والمعنى من ذلك كله أن الأمة بإذن الله مجتمعة لالتزام الإسلام رغم قصار النظر من الناس ضعاف الصلة بالله الذين يتيهون في منازع الشر التي استشرت في المجتمعات التي وصفها أهلها باطلا بالتقدم والرقي .

- والواقع أن مظاهر الصحوة هذه لا تكفي فالأمة بحاجة إلى حل إسلامي شامل ، بمعنى أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين والمجالات المادية والمعنوية ، وأن تتجه الحياة كلها وجهة إسلامية .

- أي أن الصحوة الإسلامية هذه لن تكون حقيقية عملية إلا إذا اتخذت امتدادا يشمل كل الاتجاهات ، واتسمت بالوعي الحضاري الشمولي الذي لا يغفل ميدانا من ميادين الحياة ولا أسلوبا من أساليب المواجهة ، وهو بحاجة بدون شك إلى تخطيط وتنسيق ووعي يترفع عن صغائر الأطر التنظيمية أو الحساسية الحزبية ويستشرف الأفق الإسلامي الذي يطل منه على الإنسانية جمعاء . بحيث يظهر إلى الوجود مجتمع الهداية والعدل – مجتمع الإسلام – . وتتضح أمام الأجيال المسلمة طريق النجاة في الدنيا والآخرة . بحيث يكون مرجعها في تصورها للعمل للإسلام من حيث الأهداف والوسائل ، ومواجهة الظروف والأحداث ، ووزن الأشخاص والأشياء ، مستمدا من الكتاب والسنة ، والسيرة النبوية المطهرة ، باعتبارها الترجمة العملية النموذجية للكتاب والسنة .

ويندرج تحت هذا التصور البديهيات التالية : **توحيد الله سبحانه بأنواع التوحيد الثلاثة :**

1. توحيد الألوهية : أي إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة . فهذا توحيد قصد وطلب .
2. توحيد الربوبية : أي الاعتقاد بأنه وحده سبحانه هو الخالق الرازق المحيي ، المميت ، بيده ملكوت كل شيء . وهو على كل شيء قدير . أي توحيد معرفة وإثبات .
3. توحيد الصفات والأسماء : وهو الاعتقاد بأسمائه الحسنى ، سبحانه وصفاته العليا ، المنزهة عن كل نقص . أو إثبات الصفات دون تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تأويل . فيتضح عندهم بذلك مفهوم : (لا إله إلا الله) . بحيث تكون الربوبية والحاكمية والسلطان والتشريع لله وحده . فيكون الإسلام عندهم المعنى الكلي الشامل.

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الثامنة

الاتجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين

- تنبه المسلمون إلى خطورة تفرقهم وإلى عوامل ضعفهم وإلى أهمية وحدتهم وتآلفهم والتقائهم ، فارتفعت الأصوات تنادي بأهمية التقاء المسلمين للتشاور والتفاهم بعد أن جربوا كل المذاهب والنظم العربية بشقيها الاشتراكي والرأسمالي اعتقادا منهم أو مجرد ظن بأن هذه النظم لم تغن عنهم شيئا وكانت سرابا خادعا ركضوا خلفه فتعرقلت نهضتهم وتفرقت كلمتهم ، وواقع الأمر أن في العالم الإسلامي مدا كبيرا وقوة شعبية هائلة تقول بالعودة إلى الإسلام من جديد ولا أدل على ذلك من مقاومة التجارب الشيوعية والاشتراكية في بعض بلدان العالم الإسلامي وردود الفعل العنيفة التي ظهرت في بعضها الآخر ضد العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وفصل الدين عن الحياة .

- جربت القوى المسلمة التكتلات الإقليمية والوطنية والقومية وأشهرها : الحلف المركزي الذي ضم تركيا وإيران وباكستان والجامعة العربية التي ضمت الدول العربية جمعاء ودول عدم الانحياز ومؤتمراتها التي ضمت كثيرا من دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ومنظمة الوحدة الإفريقية وغير ذلك من محاولات للوحدة الوطنية أو الإقليمية أو الاقتصادية على غير أسس الإسلام .

- وفي عام 1345 هـ / 1926 م شهدت مكة المكرمة أول مؤتمر إسلامي قام بالدعوة إليه الملك عبد العزيز آل سعود كان بمثابة بدء المحاولات الإسلامية نحو الإتحاد بعد إلغاء الخلافة العثمانية تبعه وسبقه جماعات إسلامية كثيرة شملت الساحة الإسلامية بأجمعها مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر سنة 1347 هـ / 1928 م والجماعة الإسلامية التي أسسها الأستاذ المودودي سنة 1938 م وغيرهما من الجماعات والحركات الإسلامية التي أدت دورها في الصحوة الإسلامية

- بغض النظر عما قيل عن بعضها أو عنها كلها وتركت ميراثا فكريا ضخما في مستوى المواجهة مع التيارات المعادية للإسلام ، ولكنى طغى على كثير من أعضاء هذه الحركات والجماعات التعصب وسارعوا إلى مواجهة بعضهم بعضا ، ووصل ببعضهم إلى تكفير بعض بشكل أعاد إلى الأذهان صورة التعصب المذهبي الذي ساد بلاد الإسلام في عصور الجمود والتخلف . هذه الروح الحزبية جعلت أولئك الأفراد لا يرون احتمال خطئهم وان عندهم الحق المطلق ، والخطأ المطلق عند غيرهم ، فجعلت اللقاءات بين أفرادهم سباقا في الحديث وليس حوارا (والحوار فن يعتمد على سماع آراء الآخرين وفهمها وتفنيدها للتوصل إلى الصواب والرجوع عن الخطأ والحزبي لا يرى إلا من زاوية واحدة فقط ويقوم حديثه على توزيع الآراء وسد النظر فيما يتعلق بنظريته فلا يتسع صدره لآراء غيره ، وهذا أدى بدوره إلى انغلاق بعض الجماعات على نفسها وانعزالها عن الأمة

- وما على هذه الجماعات إذا أرادت أن يستمر دورها الإيجابي في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية إلا أن تعيد النظر في تقويم نفسها والابتعاد عن السرية والعمل تحت الأرض لأن ذلك هو الوسط المناسب لاستنبات البذور الغريبة مجهولة الطبيعة والمناسبة للعمل المظلم فتسيء إلى العمل كله وإلى الجماعة كلها وإلى الإسلام ، أما العمل في ضوء النهار فإنه يقتل العفونة ويكشف العناصر الغريبة المستنبتة في الظلام تحت ضوء النهار وتختبر الصبر والصلابة والإخلاص . وعلى هذه الجماعات ما دامت أهدافها واحدة أن تتقارب وتتواد وتتحاب وترد أمورها كلها إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى العلماء المخلصين الذين يستطيعون استنباط تلك الأحكام لا إلى أصحاب الساندويتشات الفكرية ، والعلماء هم أئمة العامة يتصدون لإرشاد الناس ويرون فيهم القدوة الصحيحة .

- عباس أنه قال : " ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه "

- وأما الحق فهو الوحي من كتاب أو سنة . ومرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله . قال تعالى : (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِ اللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ (وقال تعالى : (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) وقال تعالى : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) وقال سبحانه وتعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) فهم بحاجة وغيرهم من الدعاة إلى أن يكون عملهم خالصا لله فقط فلا يستكثر أحدهم عمله ويستقل عمل غيره ، كما أنهم بحاجة إلى الحلم والتأني والصبر في دعوتهم قال صلى الله عليه وسلم للأشج رئيس قبيلة عبد القيس : " إن فيك خصلتين يحبهما الله – الحلم والأناة "

- والصبر في حقيقته ألزم لوازم الداعية وأمضى أسلحته وأكمل عدته وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : (وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ) فقال : كونوا حلماء فقهاء . ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

- بالإضافة إلى وجوب توفر حسن التفقه والفهم السليم لبعض القضايا الفقهية ، حتى ينتفي النزاع والتخاصم والفرقة ، ويجب إدراك أن الخلاف في الفروع لا يوجب الفرقة والنزاع ، ولا يقطع الألفة والمودة والأخوة . ومن الملاحظ أن الغرور والجرأة على الفتيا بدون أهلية لذلك من أهم أسباب الفرقة بين أفراد الجماعات الإسلامية . وعلى مختلف الدعاة والمؤسسات الإسلامية أن تعمل على تضييق شقة الخلاف وإزالة العقبات ، وأن يبينوا للناس حقيقة الإسلام ، حقيقة التوحيد .

- إن عملية التربية المستمرة ، وتخريج الأجيال المؤمنة ستؤدي حتما إلى التعاون مع السلطة ، أو إلى انحناء السلطة ، فهي من الأمة وليست من خارجها . ومن الممكن أن تدعم العمل الإسلامي بدلا من أن تسهم في القضاء عليه . كما يجب الانتباه إلى تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية صحيحة لتقضي على فكرة تحرير المرأة الغربية النزعة واليسارية المنحى . ولتسهم المرأة في حركة إحياء الدين بوعي وإخلاص .

- هذا وقد ظهرت أنشطة طيبة على المستويين الرسمي والشعبي في العالم الإسلامي . كان لجهود المخلصين من الأمة ، وللمملكة العربية السعودية دور بارز في إنجاحها . وأهم هذه الأنشطة .

رابطة العالم الإسلامي

أنشئت بناء على قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الأول الذي عقد بمكة المكرمة في 14 ذي الحجة عام 1382 هـ / 1962 م وهي منظمة إسلامية عالمية تمثل فيها جميع الشعوب الإسلامية في أنحاء المعمورة ، ومقرها مكة المكرمة ، ولها مجلس تأسيسي مؤلف من كبار العلماء ورجال الفكر في العالم الإسلامي ولقيت كل التشجيع والمؤازرة والدعم من حكومة المملكة العربية السعودية . وتهتم بمقاومة جميع الحركات والتيارات المعادية للإسلام ، وبمساندة كل عمل الخير للعالم الإسلامي .

ومن أهداف الرابطة :

- تبليغ دعوة الإسلام ، وشرح مبادئه وتعاليمه ، ودحض الشبهات عنه
- التصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم .
- الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم .

ومن الوسائل التي تستخدمها الرابطة لتحقيق الأهداف

- العمل على تحكيم الشريعة في البلاد الإسلامية .

- الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار العلماء في العالم الإسلامي لتبادل وجهات النظر ، وتنسيق الجهود من أجل نشر الدعوة الإسلامية . - الاستفادة من موسم الحج عن طريق إقامة الندوات والمحاضرات . - دعم وتشجيع العلماء والدعاة في كافة أنحاء الأرض وتوزيع الكتب والمجلات الإسلامية مجانا .
- بعث عدد من الوفود إلى جميع أقطار العالم الإسلامي وللأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الإسلامية لدراسة مشاكلهم والتعرف عليهم ومساعدتهم ودعمهم .
- دعم جميع المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها لخدمة الدعوة الإسلامية .
- العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب الإسلامية .

وتقوم الرابطة بمهامها عن طريق عدد من الأجهزة ومن أهمها

1- المجلس التأسيسي ويتكون من 56 عضوا من العلماء وقادة الرأي والفكر في العالم الإسلامي ، ويجوز زيادة عددهم لاستكمال التمثيل الإسلامي . وهو الذي يرسم سياسة الرابطة ويحدد أهدافها واتجاهاتها
2- الأمانة العامة للرابطة : وهي السلطة التنفيذية للرابطة ومقرها الدائم مكة المكرمة ويعتبر الأمين العام هو المسئول عن تنفيذ القرارات والتوصيات

ويعتبر الأمين العام هو المسئول عن تنفيذ القرارات والتوصيات التي يصدرها المجلس التأسيسي في الداخل والخارج . ومن مهمة الأمانة النظر في أحوال المسلمين في كل مكان . وخاصة الأقليات الإسلامية في أماكن كثيرة من العالم وحماية الأقليات أولا ثم إعانتها ثم إرشادها إلى طريق الإسلام الصحيح .

3- الجهاد الإداري والمالي : وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة ورفع التقارير عن سير تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي .

هذا وهناك مكاتب فرعية لرابطة العالم الإسلامي في مختلف دول العالم ، وهي معترف بها رسميا من قبل السلطات المحلية لتلك الدول ويتمتع العديد منها بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية .

ومن أنشطة الرابطة :

بلغ عدد مكاتب الرابطة في جميع أنحاء العالم 25 مكتبا (عام 1405 هـ) تقوم بتنفيذ قرارات الرابطة في الوقوف على أحوال المسلمين وتعليمهم ودعم الجمعيات الإسلامية ، وتقديم المساعدات لها . كما بلغ عدد الدعاة التابعين للرابطة في العالم (عام 1405 هـ) 936 داعية .

موزعين كالتالى :

في أفريقيا 336 داعية . في أوربا وأمريكا 99 داعية .

في آسيا والمحيط الهادي 206 داعية . في اندونيسيا 295 داعية من مشروع الألف داعية . وأنشأت هيئة الإغاثة الإسلامية ومقرها جدة لتقديم المساعدات المالية والعينية للاجئين والمتضررين . وأقامت هذه الهيئة مجموعة كبيرة من المراكز الطبية في الصومال والنيجر والسودان وبنجلاديش والباكستان وغيرها .

وأقامت الرابطة مطبعة خاصة لنشر الفكر والوعي الديني وتم تزويدها بأحدث الآلات والمعدات ، ووزعت الملايين من المصاحف ومئات الآلاف من تراجم معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات السائدة في العالم . وأنشأت لذلك إدارة شئون وأبحاث القرآن الكريم وترجمة معانيه . وتقوم الأمانة العامة بتنفيذ مشروع لاختيار أحسن الترجمات لفظا وإظهارا لمعاني آيات القرآن الكريم وطبعها وتوزيعها . وقد تم طبع وترجمة معاني القرآن باللغة الفارسية ، وهناك

تحت الطبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الصينية واللغة الأوغندية . وهناك مشروع لطبع ترجمة معاني القرآن الكريم بالبرتغالية والفرنسية .

وتصدر الرابطة مجلتين شهريتين إحداهما بالعربية والأخرى بالانجليزية ، بالإضافة إلى جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ومجلة رسالة المسجد الفصلية ، وكتاب دعوة الحق الشهري . وتقوم الرابطة بتشجيع عدد من الصحف الإسلامية في مختلف أنحاء العالم .

وشكلت الرابطة المجلس الأعلى العالمي للمساجد بناء على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة عام 1395 هـ / 1975 م بدعوة من رابطة العالم الإسلامي (. وبلغ عدد أعضاء هذا المجلس 55 عضوا يمثلون مختلف الشعوب والأقليات الإسلامية في العالم .

ومن أهدافه :

- تكوين رأي عام إسلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة .- محاربة الغزو الفكري والسلوك المنحرف في حياة المسلمين .- بناء الشخصية الإسلامية فكرا وعقيدة وسلوكا .- العمل على حرية الدعاة إلى الله وأئمة المساجد والخطباء وحمايتهم من الاضطهاد .- حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها .- الحفاظ على الأوقاف الإسلامية واسترجاع ما عطل أو صودر منها وتنميتها .- الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف أجزاء العالم .

وانبثقت عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد : المجالس القارية : في آسيا والمحيط الهادي ومقره جاكارتا ، وفي أوربا ومقره في بروكسل ، وفي أمريكا وكندا ومقره في أوتاوا ، وفي أفريقيا وسيكون مقره في الخرطوم ، وذلك للربط بين المجلس الأعلى وكل مسجد في كل بقعة من بقاع الأرض . وانبثق أيضا عن المجلس الأعلى للمساجد (صندوق لإعانة المساجد) في جميع أنحاء العالم ميزانيته عشرون مليون ريالا تبرعت بها حكومة المملكة العربية السعودية .

وأسست الرابطة **المجمع الفقهي الإسلامي** بتوجيه من المجلس التأسيسي للرابطة يضم جماعة من العلماء والفقهاء يتولون دراسة واقع الأمة الإسلامية والمشكلات التي تواجهها وإيجاد الحلول الصحيحة على أساس المصادر المعتمدة في الفقه الإسلامي .

وقد انبثقت من مجلس المجمع الفقهي عدة لجان هي :

لجنة المصطلحات الفقهية - لجنة التراث الفقهي - لجنة البحث العلمي

لجنة الصياغة - لجنة الدراسات المعاصرة - لجنة المكافآت .

وفي مجال التربية والعلوم والثقافة :

- قررت منظمة المؤتمر الإسلامي عام 1982 م تنفيذاً لتوجيهات قادة الدول الإسلامية إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ومقرها الرباط في المغرب ، وقرروا أن يكون للمنظمة وكالة متخصصة تعمل في ميادين العلوم والثقافة ذات استقلال ذاتي في شئونها التنظيمية والمالية ، ولها أجهزتها الخاصة بها وهي :

- المؤتمر العام وهو الهيئة العليا بالمنظمة ويضم وزراء الثقافة والعلوم .- المكتب التنفيذي ويتكون من 9 دول وثلاث شخصيات إسلامية .- الإدارة العامة وعلى رأسها مدير عام منتخب من المؤتمر العام .

- وكانت قد برزت هذه الفكرة – فكرة إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم بعد حرق المسجد الأقصى إلى أن ظهرت بالفعل بعد ثلاثة عشر عاما .

ومن أهدافها :

- توثيق روابط الأخوة بين الأعضاء .

- حماية الهوية الإسلامية وتركيز هذه الهوية وبخاصة في الدول غير الأعضاء أو التي يقل فيها عدد المسلمين .- الدفاع عن الإسلام وتقديمه بصورته الصحيحة .- العمل على جعل الثقافة الإسلامية محور تعليم الدول الإسلامية .- بالإضافة إلى محاربة الأمية لدى الكبار في القرى الإسلامية . وبدأت بالفعل بماليزيا وسيراليون .

- العمل على تطوير الطرق التربوية في المدارس القرآنية . وبدأت بالفعل في السنغال .

- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتعلم الدين وتصحيحه

مواجهة المسلمين للتحديات الاقتصادية :

تقوم قوى الأمم في هذا العصر على الاقتصاد ، فأمريكا تقوم قوتها الهائلة على الاقتصاد الأمريكي الذي هو أداة من أدوات الحرب بل هو أقوى عدة . وقد تكالبت القوى وتحركت المطامع نحو ثروة البلاد الإسلامية ، للوصول إليها ، أو الاحتفاظ بها . وبسبب تفرق المسلمين وتخلفهم وغيبة النظام الاقتصادي الإسلامي أصبحت ثروة بلادهم بيد أعدائهم يتنافسون عليها . ووجدوا أنفسهم بعد استقلال بلادهم شفعاء أمام التكتلات الاقتصادية العالمية الهائلة وفي تبعية اقتصادية كاملة لهذه التكتلات . فحاولت البلاد العربية إنشاء سوق عربية مشتركة لمقابلة الاحتكارات الأجنبية والوقوف ضد التكتلات الاقتصادية الغربية ، ووضح حد للمنافسة في إنتاج البلاد العربية بين الأقطار العربية ، وبدأت الفكرة سنة 1956 م بتشكيل لجنة من الخبراء العرب لوضع مشروع الوحدة الاقتصادية .

ومر هذا التاريخ دون تحقيق شيء . كما واجه مشروع السوق الإسلامية المشتركة المصير نفسه وكذلك مشروع الدينار الإسلامي وذلك نظرا لاختلاف الأنظمة في الأقطار الإسلامية والعربية فلا يمكن تنفيذ مثل هذا السوق ، فدول تتبع النظام الاقتصادي الحر ودول أخرى تتبع النظام الاقتصادي الاشتراكي وهذا يؤدي :

1- إن التنافس في السوق الواحدة بين إنتاج المزارع والمعامل المؤممة وبين إنتاج المزارع والمعامل الحرة لن يكون تنافسا عادلا ، لأن الإنتاج المؤمم لا يخضع في أسعاره للعوامل الاقتصادية بل تتحمل الدولة أكلافه في كثير من الأحيان من موازنتها العامة ، وتستطيع أن تغرق الأسواق بخلاف الاقتصاد الحر الذي لا يستطيع منافسة ذلك .
2- إن حرية تنقل الأموال وحرية العمل وممارسة النشاطات الاقتصادية في الدول الاشتراكية تبقى وهما لا يستفيد منه رعايا الدول الأخرى الموقعة على الميثاق لأن هذه الحريات محظورة على رعايا الدولة الاشتراكية نفسها .
3- إن التبعية الاقتصادية وارتباط عملة كل قطر إسلامي بعملة دولة أخرى من الدول الكبرى يجعل قيام مثل هذه السوق وتوحيد الدينار صعب المنال والتحقيق .

وعلى ذلك فمن أجل التعاون الاقتصادي التام بين أقطار المسلمين يجب توحيد الأنظمة أولا ، والعامل المشترك بين جميع هذه الأفكار هو الإسلام فبالإتجاه إلى النظام الاقتصادي الإسلامي يسهل عمليات التكامل وقيام مثل هذه السوق المشتركة . فالاتحاد الجمركي – الزلفرين – الألماني الذي كان مقدمة الإتحاد الألماني تم بين ولايات تتشابه أنظمتها الاقتصادية ، وكذلك السوق الأوروبية المشتركة والسوق اللاتينية المشتركة . وأمام التحديات الحاضرة للعالم الإسلامي من : أطماع الكتلتين الكبيرتين على السيطرة على البلاد الإسلامية خاصة الدول البترولية منها. وخطر الصهيونية وغزو الاتحاد السوفييتي لبعض البلدان الإسلامية

وقد تعاظمت التحديات الاقتصادية على منطقة الخليج العربي بشكل خاص لحاجة العالم الصناعي للنفط ، فظهر مجلس التعاون لدول الخليج سنة 1401 هـ / 1981 م وقد نجح هذا المجلس بسبب الروح الإسلامية التي تجمع بين هذه الدول ، ويعتبر مثلا الواجب على بلاد المسلمين أن تحتذيه وتطوره للتغلب على الأخطار التي تواجه هذا العالم

الإسلامي الغني في خيراته وإمكانياته ، الجائع على أرضه ، المسلوب الإرادة والتحكم في ثرواته . وهذه فكرة عن مجلس التعاون لدول الخليج .

مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

وجدت هذه الدول التحديات التي تواجه هذه المنطقة تتعاظم بتعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط ، ولذا فاندماجها هو العامل الحاسم نحو توجه جديد لصياغة سياسية .

اقتصادية واجتماعية تبعد المنطقة عن التنافس الدولي ويكسبها قوة تفاوضية كبيرة ومقدرة على اتخاذ القرار لصالحها وتمكينها من حمايته .

فقد قررت دولة الإمارات العربية ودولة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة قطر ودولة الكويت إقامة تنظيم يهدف إلى تعميق وتوثيق الروابط والصلات والتعاون بين أعضائها في مختلف المجالات يطلق عليها اسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية – ليكون هذا المجلس الوسيلة لتحقيق أكبر قدر من التنسيق والتكامل في جميع الميادين ويعتبر دعما لأهداف جامعة الدول العربية وخدمة للقضايا العربية والإسلامية .

ومن أهداف المجلس

1- تعميق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولا إلى وحدتها .
2- تعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات .
3- وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشئون الآتية :

أ- الشئون الاقتصادية والمالية . ب- الشئون التجارية والجمارك والمواصلات .

ج- الشئون التعليمية والثقافية . د- الشئون الاجتماعية والصحية .

هـ- الشئون الإعلامية والسياحية . و- الشئون التشريعية والإدارية .

4- دفع عجلة التقدم العلمي والتقني في مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية وإقامة مشاريع مشتركة وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوبها .

وأما أجهزة مجلس التعاون فهي :

أولا : المجلس الأعلى : وهو السلطة العليا للمجلس يتكون من رؤساء الدول الأعضاء وتكون رئاسته دورية حسب الترتيب الهجائي لأسماء الدول .

واختصاصاته :

1- النظر في القضايا التي تهم الدول الأعضاء .
2- وضع السياسة العليا لمجلس التعاون والخطوط الأساسية التي يسير عليها
3- النظر في التوصيات والتقارير والدراسات والمشاريع التي تعرض عليه من قبل المجلس الوزاري لاعتمادها – أو التي يكلف الأمين العام بإعدادها .
4- إقرار نظام هيئة تسوية المنازعات وتسمية أعضائها – وتعيين الأمين العام .
5- التصديق على ميزانية الأمانة العامة .

ثانيا : المجلس الوزاري : ويتكون من وزراء الخارجية للدول الأعضاء أو من ينوب عنهم من الوزراء وتكون رئاسته دورية لمدة ستة أشهر ويعقد اجتماعاته مرة كل ثلاثة أشهر ويجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة أي عضو من الأعضاء وتأييد عضو آخر .

ثالثا : اللجان والاجتماعات الوزارية والمتخصصة : للعمل على تنفيذ سياسات المجلس ووضع الإجراءات التفصيلية لذلك . وتتنوع هذه اللجان بحسب طبيعة المهام الموكلة إليها وتأخذ تبعا لذلك صفة الدورية أو الوقتية حسب ما يقرر كل اجتماع أو لجنة وزارية . وقد بلغت هذه اللجان عام 1405 هـ / 1985 م 24 لجنة كما يجري التحضير للجان أخرى في مجالات أخرى .

رابعا : الأمانة العامة : تتكون من أمين عام يعاونه أمناء مساعدون وما تستدعيه الحاجة من موظفين ويعين الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة أخرى ويكون مسئولا مباشرة عن أعمال الأمانة العامة ويمثل مجلس التعاون لدى الغير في حدود الصلاحيات المخولة له . وتعتبر الأمانة العامة الأداة الأساسية لتقديم مقترحات الجهات المسئولة للسياسات والخطط والبرامج المؤدية إلى تحقيق أهداف المجلس – فتتولى :

1- إعداد مشروع إستراتيجية العمل الخليجي المشترك في المجالات المختلفة .
2- إعداد الدراسات والبحوث التي تتطلبها أعمال الأجهزة الرئيسية للمجلس .
3- وضع الخطط والبرامج والمشروعات الكفيلة بتحقيق إستراتيجية العمل الخليجي المشترك .
4- التنسيق مع المنظمات الدولية والإقليمية والعربية العاملة في مجال تخصصها .
5- القيام بأعباء السكرتارية الفنية للجان الوزارية واللجان المختلفة في مجال عملها .
6- تنظيم اللقاءات والندوات المتصلة بشئون تخصصها والاشتراك في المؤتمرات والاجتماعات المتعلقة بشئون عملها
7- إعداد تقارير دورية من النشاطات والإنجازات .

وتضم الأمانة العامة القطاعات التالية :

مكتب الأمين العام – وقطاع الشئون السياسية – وقطاع الشئون الاقتصادية – وقطاع شئون الإنسان والبيئة – وقطاع الشئون القانونية – وقكاع الشئون المالية والإدارية ومركز المعلومات .

ومن أهم منجزات المجلس الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون لتنمية وتوسيع وتدعيم الروابط الاقتصادية فيما بينها على أسس متينة لما فيه خير شعوبها ومن أجل العمل على تنسيق وتوحيد سياستها الاقتصادية والمالية النقدية .

وقد شجعت هذه التجربة الناجحة لمجلس التعاون الخليجي أقطار المغرب العربي ، على التفكير الجدي في إنشاء مجلس تعاون مغربي عربي مشابه ، فعقد رؤساء المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا وموريتانيا ، اجتماع قمة يوم 10 / 6 / 1988 م لهذا الغرض . وكونوا لجانا فنية تجتمع دوريا لصياغة الترتيبات المؤسسة لهذا المجلس المرتقب .

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة التاسعة

قضايا معاصرة (قضية فلسطين)

الموقع والمساحة :

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا ، وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة ، وفي جنوبها الغربي تقع مصر ، كما يحدها شرقا سوريا والأردن وغربا البحر المتوسط ، فهي تحتل موقع القلب من العالم الإسلامي ، وهي صلة الوصل بين شقي العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا ، وهي الطريق الطبيعي الذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري شبه الجزيرة العربية إذ تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام .

مساحتها حوالي 270000 كم2 بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزه .

وتنقسم فلسطين إلى المناطق الطبيعية التالية :

1- **السهول الساحلية : ولفلسطين** ساحل طويل يمتد من رأس الناقورة في الشمال إلى رفح في الجنوب ، ويلي الشاطئ سهل يسمى : السهل الساحلي الفلسطيني يتراوح عرضه بين 18 و 16 كم ، تزرع فيه الفواكه والحمضيات والخضر ، ومن مدن الساحل : عكا وحيفا ويافا وغزة وكلها موانئ مهمة ، وقد بنى اليهود مدينة تل أبيب التي جعلوها عاصمة مؤقتة لهم شمالي مدينة يافا . وفي داخل السهل مدن : طولكرم والرملة واللد وخان يونس والمجدل .

2- **الجبال والهضاب :** ويلي السهل الساحلي إلى جهة الشرق الجبال التالية :

أ- جبال الجليل : وفيها مدينة صفد أعلى مدن فلسطين . ومدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وقضى معظم حياته فيها .

ب- جبال نابلس : وفيها مدينة نابلس بين جبلي جرزيم وعيبال .

ج- جبل الكرمل : ويتجه إلى الشمال الغربي من جبال نابلس وينتهي على شاطئ البحر عند حيفا .

د- جبال القدس : وأعلاها جبل الطور وفيها مدينة بيت المقدس – القدس – أهم مدن فلسطين والتي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقد بنى اليهود بجوارها مدينة القدس الجديدة ونقلوا إليها عاصمتهم من تل أبيب بعد احتلال القدس القديمة عام 1387 هـ / 1967 م .

هـ- جبال الخليل : وفيها مدينة خليل الرحمن ويقال أن فيها قبره عليه السلام . و- هضبة النقب : وهي القسم الجنوبي من فلسطين ، تشكل مثلثا يقع رأسه على خليج العقبة ويحتل جميع الأراضي الواقعة بين غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والأردن وجنوب البحر الميت ، وتقدر مساحة النقب بنصف مساحة فلسطين تقريبا ، ومن أهم مدنه بئر السبع .

3- **منطقة الأغوار :** وهي المنطقة الشرقية من فلسطين ، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته الحولة وطبرية ، بحيرة لوط (البحر الميت) وهي جزء من حفرة الانهدام الآسيوي الأفريقي الذي يمتد من جبال طوروس شمال سوريا إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية حتى هضبة البحيرات الكبرى . ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ وتتحد فروعه فيمر في بحيرة الحولة ثم في بحيرة طبرية ثم ينتهي في البحر الميت بطول 225 كم .

وأشهر الأغوار : غور طبرية وبيسان في الشمال ، وغور أريحا في الجنوب وتمثل مدينة أريحا والبحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض ، إذ يبلغ الانخفاض 492 مترا عن سطح البحر . ومدينة أريحا شمال البحر الميت يقال إنها أقدم مدن العالم وفيها قصر هشام بن عبد الملك وهي مشتى جميل . أما الجزء الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة فيسمى وادي عربه بطول 180 كم .

فلسطين في التاريخ

- كانت شبه الجزيرة العربية الشريان الذي يمد البلاد المجاورة لها العراق والشام ومصر بدماء جديدة ، فقد خرجت منها موجات بشرية : الأشورية والأكادية إلى العراق ، والأمورية والآرامية والكنعانية إلى الشام ، وتوجهت قبائل أمورية إلى بلاد ما بين النهرين (العراق) وأسست مدينة بابل وهي الأسرة البابلية ، كما خرجت قبيلة آرامية من بلاد الشام إلى جنوب العراق والخليج العربي وهي قبيلة كلدى التي أقامت الدولة الكلدانية وجددت بابل . وقد سكن الكنعانيون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث قبل المسلاد ، وأطلق عليهم في الساحل الشمالي اسم : الفينيقيين . في حين أطلق على القسم الجنوبي أرض كنعان .واهتمم الكنعانيون بالزراعة فدعيت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا .

- وبنوا المدن ومنها : أريحا ، وأسدود ، وبير السبع ، وعسقلان ، وغزة ، ويافا ، ومجدو ، وسبسطية (السامرة) ، وبيسان ، ونابلس (شكيم) والخليل (أربع) والقدس (بيوس) وكان اليبوسيون أهم بطون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها أورسالم أي مدينة سالم ، كما أطلقوا عليها اسم يبوس . وكانت اللغة كنعانية- عربية قديمة – وهي لا ريب تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتحدث ونكتب بها اليوم – لقدمها ورغم ذلك فإن هنالك شبها بينها وبين اللغة العربية الحديثة . وأسماء المدن والقرى كانت وما تزال كنعانية ، وأما محاولة اليهود اليوم نسبة بعضها إليهم فهي من قبيل الإدعاء الزائف ، تهدف إلى إيهام الرأي العام اليهودي بأن اليهود جنس قام بتأسيس هذه المدن والقرى ، وهم أهلها الذين تشردوا عنها ، لتتمسك بها الأجيال اليهودية ، وإيهام الرأي العام العالمي بأن البلاد يهودية الأصل . وقد نجح اليهود في ذلك إلى حد كبير في غياب الوعي التاريخي لدى المسلمين .

الغزوات العابرة لأرض كنعان :

أولا : العبرانيون :

- في بداية الألف الثاني ق. م انتقل إبراهيم عليه السلام من (أور) بالعراق فعبر نهر الفرات إلى حلب ، ومنها إلى أرض كنعان ، ثم هاجر إلى مصر ومعه زوجته (ساره) التي أهدى إليها فرعون مصر جارية تسمى (هاجر) فتزوجها إبراهيم عليه السلام ، لأن سارة كانت لا تنجب ، فأنجب من هاجر إسماعيل عليه السلام الجد الأعلى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أنجبت سارة بعد ذلك إسحاق الذي أنجب بدوره يعقوب المسمى بإسرائيل . وأنجب يعقوب الأسباط الذين تركوا أرض كنعان لما أصابها القحط وأقاموا في مصر حينما صار يوسف عليه السلام على خزائن أرضها ، وتكاثر بنو إسرائيل في مصر ، وتعرضوا لأذى فرعون فنجاهم الله منه ،

- وخرجوا مع موسى عليه السلام قاصدين الأرض المقدسة ولكنهم نقضوا العهد وفسقوا فضرب عليهم الله سبحانه التيه أربعين سنة في سيناء ، خرجوا بعدها إلى أرض كنعان فدخلوها من جهة الشرق حوالي عام 1189 ق. م بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام ، واستطاعوا احتلال بعض الأماكن من أرض كنعان وعاشوا فيها أسباطا متفرقين .تولى القضاة أمور العبرانيين بعد وفاة يوشع وفي عهدهم اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتلعموا لغتهم وتعلموا الزراعة وسكنى المدن وعبدوا آلهتهم ، منحرفين عن التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام . ثم اتحد العبرانيون وكونوا دولة حوالي عام 1025 ق. م ، وكان أول ملوكهم شاؤول أو طالوت .

واشتهر من ملوكهم :

أ- داود عليه السلام (1000 – 960 ق. م) الذي ملك يبوس (القدس) من اليبوسيين وجعلها عاصمة له ، وانتصر على الفلسطينيين وقتل ملكهم جالوت وأنهى أمرهم .

ب- سليمان عليه السلام (960 – 930 ق. م) الذي وردت قصته في سورة النمل وتعدت دعوته إلى الإسلام حدود الشام فامتدت إلى اليمن . وأوتي النبوة مع الملك . وقد شوه اليهود صورته في كتبهم كعادتهم مع الأنبياء والرسل الكرام ، عليهم السلام .

وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت مملكة العبرانيين إلى قسمين :

أ- مملكة الشمال – إسرائيل – وعاصمتها السامرة .

ب- مملكة الجنوب – يهوذا – وعاصمتها القدس .

- وكانت علاقتهما عدائية وتقلصت كل منهما إلى أن قضى على الدولة الشمالية الأشوريون بقيادة (سرجون الثاني) عام 722 ق. م ، وقضى على المملكة الجنوبية (نبوخذ نصر) الكلداني عام 586 ق. م وأحرق القدس وهدم هيكل سليمان وسبى العبرانيين إلى بابل .

- وبذلك زالت دولة العبرانيين من الوجود وعادت أرض كنعان عربية ، وفي بابل وضع أحبار العبرانيين المشنا والجمارا لشرح التوراة ، فكانت أصول الديانة اليهودية التلمودية المحرفة المتعصبة البعيدة كل البعد عن شريعة موسى عليه السلام . ويهود اليوم لا ينتمون في أكثرهم إلى الأصول السامية ، أو العبرانية ، فإن 90 % على الأقل ينتمي إلى أصول خزرية . فهم : اشكنازيم (سكناج) وهم يهود أوربا الشرقية ، وسفارديم وهم يهود آسيا وأفريقيا والأندلس وكان الاشكنازيم قديما محتقرين ، أما اليوم فالأمر بأيديهم ومنهم غلاة الصهيونية ، ويكون السفارديم 55 % من يهود فلسطين المحتلة ، إلا أنهم محتقرون ، ومبعدون عن مراكز الدول الحساسة . فالكنيست اليهودي مثلا يتكون من (120) نائبا لا ينال للسفارديم منه سوى (18) نائبا ، ولغة الاشكناز تسمى (اليديش) وهي لغة ألمانية الأصل مطعمة ببعض الكلمات العبرية وتكتب بالحروف العبرية .

- وكانت العبرية قد بقيت إلى جانب اليديش لغة كتابة وليست لغة تخاطب بين يهود شرق أوربا ، إلى أن وضع الحاخام (بن يهوذا) عام 1911 م لغة عبرية حديثة هي لغة اليهود اليوم ، وذلك بناء على قرار اتخذه مؤتمر (بازل) الصهيوني الأول بإحياء اللغة العبرية .

ثانيا : الفلسطينيون :

- تعرضت بلاد اليونان وجزر بحر إيجة لغارات البرابرة اليونان فهربت قبيلة (بلست) من جزيرة كريت وغزت أرض كنعان واستقرت في السهل الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة . وسمي هذا الجزء باسمهم : فلسطين . وقامت بينهم وبين العبرانيين معارك طويلة انتهت بانتصار العبرانيين ، بعد أن قتل داود جالوت كما ورد في القرآن الكريم ، وانتهى بذلك دور الفلسطينيين من التاريخ نهائيا ولكن بقي الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة

ثالثا : الفرس :

استطاع كورش الفارسي (558 – 528 ق. م) احتلال بلاد الشام وضمها إلى دولته – فارس – عام 538 ق. م وكانت زوجته (استير) اليهودية ، فقدم له اليهود مساعدات في فتحه بابل والشام ومصر ، فسمح لمن يريد العودة من بني إسرائيل إلى أرض كنعان . . . وانتهى الاحتلال الفارسي عام 332 ق. م

رابعا : اليونان :

قام الاسكندر المقدوني الكبير بالاستيلاء على بلاد الشام عام 332 ق. م وطرد الفرس . ولما قام النزاع بين قادته بعد وفاته : أنتيغونس الكبير وسلوقس وبطليموس – أصبحت أرض كنعان مسرحا لنزاع البطالسة في مصر والسلوقيين في الشام . وقد حاول اليونانيون نشر الحضارة اليونانية (الهيلينيه) في أرض الشام .

خامسا : الرومان :

- استطاع القائد الروماني بومبي أن ينهي احتلال اليونان لبلاد الشام عام 63 ق. م وبقي الرومان يحكمونها إلى أن أنقذها الإسلام عام 636 ب. م ويهمنا من زمن الرومان أمور منها :

1- ظهور المسيح عليه السلام في أرض كنعان زمن الامبراطور (أغسطس قيصر) – مهد المسيحية وقلبها 0 حيث تحولت فيما بعد إلى النصرانية بعد أن اعتنق قسطنطين النصرانية واتخذها الدين الرسمي للرومان في مؤتمر نيقية عام 325 م حيث انحرفت من الوحدانية إلى التثليث . عندما وضع بولس (شاول) أفكاره المتأثرة بالفلسفة اليونانية ، - وقوف اليهود ضد المسيحية مع الوثنية الرومانية . ثم حاولوا الثورة على الرومان عام 70 م فقاد القائد الروماني تيطس حملة دخلت القدس وأعمل فيها النهب والحرق والقتل ، وشرد اليهود في أجزاء الأرض .

- وحاول اليهود الانتفاضة مرة أخرى عام 135 م زمن الإمبراطور هادريان فقاد حملة بنفسه وقضى على وجود اليهود نهائيا في فلسطين ومنعهم من دخول القدس ودعاها ايلياء كابيتولينا) . وتعتبر هذه السنة نهاية للوجود اليهودي في أرض كنعان ففيها انتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الإسلامي أي خمسة قرون .

الفتح الإسلامي لفلسطين :

- ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسري بالرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء جسدا وروحا ، فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوي في المدينة .

- والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين ، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى ، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال ، كما تشتد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين :

- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " .

- وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أرض الشام ، فكانت غزوة دومة الجندل عام 5 هـ ، وسرية مؤتة عام 7 هـ ، وغزوة تبوك عام 9 هـ ، ثم أخيرا بعث أسامة الذي أنفذه أبو بكر رضي الله عنه . وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وأنفذها لفتح الشام ، وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة أجنادين وفحل واليرموك .

- ثم تم فتح بيت المقدس ، وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه من صفرونيوس بطريرك القدس عام 16 هـ وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن إيلياء أحد من اليهود . فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية ، واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها . ولكن المجاهد صلاح الدين الأيوبي أجلاهم عنها في 27 رجب عام 583 هـ بعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة

قرب بحيرة طبرية في 25 ربيع الثاني عام 583 هـ ، وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك ، فكانوا من الغزوات العابرة ، ولن يكون حظ الصهيونية اليهودية الحديثة بمساعدة الغرب الصليبي والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين بإذن الله

فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار

- تعود الجذور التاريخية للحركة الصهيونية إلى القرن التاسع عشر حين اقترن النشاط الاستعماري الواسع بضغط هائل على الطبقات الوسطى في البلدان الاستعمارية ، مما دفع الطبقات اليهودية إلى البحث عن حل لأزمتها خارج حدود مجتمعاتها ، وسرعان ما وجدت الحل في الفكرة الصهيونية التي تطابق فيها الحل مع المصالح الاستعمارية ، كما لقيت الصهيونية تأييدا وتشجيعا من الرأسماليين اليهود الكبار .

- كانت الدول الأوربية قد فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة ما عرف باسم : الإمتيازات الأجنبية التي كانت منحة أيام قوة الدولة ثم أصبحت غلا يطوقها في ضعفها ، بحيث بات المقيمون الأجانب دولة داخل دولة ، لا تسري عليهم القوانين والضرائب العثمانية .

- واستتبع ذلك إقدام هذه الدولة على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية في المنطقة تحت ستار حماية الأقليات الدينية ، ففرضت فرنسا حمايتها على النصارى الكاثوليك ، وروسيا على النصارى الأرثوذكس ، وأعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتسنت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين .

- وكان من جراء ذلك أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام 1255 هـ / 1839 م وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين . فكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس والواقع أن القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين إلى تحقيق أهدافها في الشرق التي يمكن تلخيصها في :

1- تأمين المواصلات البريطانية إلى الهند والشرق الأقصى .
2- إبعاد أية قوة كبرى عن هذه المنطقة وجعلها مجالا بريطانيا بحتا .
3- منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها إذا ما ظهرت .
4- الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام 1869 م انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى .
5- تأمين الإمداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين من المنطقة . وقد رافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانيا في استقرار المنطقة إما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك ، أو إخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها بالقوة أحيانا ، وبوسائل غيرها أحيانا ، وذلك حسب الظروف التي تواجهها المنطقة

فالجالية اليهودية كانت صغيرة جدا لا تتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه . وكان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية بينها بوضوح الفايكونت (بالمرستون) رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها إلى سفيره في استنبول يوم 11 أغسطس 1840 م يشرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين يقول : (" إن دعوة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان تحت حمايته تشكل سدا في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي أو من يخلفه ") بل حاول بالمرستون إغراء السلطان العثماني عبد المجيد قبول الفكرة .

ولم تكن أفكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة إذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال (شافتر بري) و (ديزرائيلي) و (جوزيف تشمبر لن) و (تشرشل) و (بلفور) وغيرهم . ولا شك بأن شق قناة

السويس واحتلال بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له أعمق الأثر في تفكير الساسة الانجليز الاستراتيجي بالنسبة لأهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وبالتالي إلى تزايد الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين . ولقد سبقت مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان اليهودي ظهور الحركة الصهيونية ، بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني أنفسهم ، ومن المحتمل أنه تأثر بمحاولة نابليون استغلال عطف اليهود في العالم عند حصاره لعكا 1214 هـ / 1799 م .

و قد مرت الهجمة الصهيونية في مراحل هي :

أولا : مرحلة التسلل اليهودي إلى فلسطين : 1287 – 1315 هـ / 1870 – 1897 م :

- ظهرت في هذه الفترة محاولات فردية ممثلة شخصيات سياسية بارزة ، أو منظمات متناثرة في مناطق شتى من العالم ، تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصا من الظلم الذي تعرض له اليهود في العالم ، وخاصة في أوربا بعد سيطرة الروح القومية فيها . ومن أشهر هذه الدعوات دعوة (ليون بينسكر) (1821 – 1891 م) في كتابه التحرير الذاتي : فقد قال : " إن اليهود ليسوا أمة حية بل هم غرباء في كل مكان ، وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعتهم في نظر الشعوب ، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها ، وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به " .

- ولم يشترط أن تكون فلسطين مركزا لتجمع اليهود .

- وقد روجت لآرائه أحباء صهيون ، التي انتشرت في روسيا في أعقاب عام 1300 هـ / 1882 م وشارك بينسكر في جهودها . وكان للبارون (إدموند دي روتشيلد) جهود كبيرة في سبيل مساندة الصهيونية ، فأنشأت عام 1301 هـ / 1883 م الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين أو – بيكا –بغرض تنظيم عملية تملك اليهود للأراضي في فلسطين أو استيطانهم لها . وكانت (بيكا) تبيع الأراضي لليهود شريطة ألا تباع مرة ثانية للمسلمين . وتحت ستار التابعية العثمانية بدأ هذا التسلل اليهودي إلى فلسطين ومع هجرات كثير من المسلمين من اضطهاد روسيا القيصرية .

- وفي عام 1895 م / 1313 هـ أصدر اليهودي النمساوي هيرتسل كتابا بعنوان : الدولة اليهودية ، قرر فيه :

- " إن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة . ويعني هذا بالتحديد أن يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض كافة لتلبية متطلبات إقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم " .

- ولكي يحقق اليهود هدفهم إقترح هيرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم ، وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوربية في آسيا وأفريقيا ، تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها .

- وكان صدور هذا الكتاب بمثابة نقطة تحول في الحركة الصهيونية فقد اعتبرت المشكلة اليهودية مشكلة قومية ، وحلها يكمن في تحويلها إلى قضية عالمية تفرض على مجالس الأمم المتحضرة حيث ينادى زعماء اليهود بتكوين دولة يهودية . ولم يعلن هيرتسل في كتابه عن اختياره النهائي للدولة المقترحة .

- وتمكنت الصهيونية في هذه الأثناء من استمالة الأوربيين لأفكارها : فالمتدين النصراني الأوربي دخلت إلى نفسه فكرة شعب الله المختار وأرض الميعاد وهو يؤمن كنصراني بالعهد القديم ، وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم ومكرهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يجتمعون فيها ، فتستريح أوربا منهم . أنظر إلى قول وزير خارجية قيصر وروسيا ، وهيرتسل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة : " إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا "

- وأما الحكومات الاستعمارية فقد أيدت الصهيونية عن طريق استعداد الأخيرة لتكون خادمة للاستعمار وعن طريق المساعدات والقروض المالية للحكومات الاستعمارية التي قامت بها البيوتات المالية اليهودية الكبيرة .
- فأقام اليهود المتسللون عددا من المستوطنات في فلسطين ، ومنها تل أبيب .

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة العاشرة

مرحلة وضوح الهدف الصهيوني 1315-1333هـ 1897-1914م

بدأت هذه المرحلة بمؤتمر بازل (بال) بسويسرا عام 1315 هـ / 1897 م ، وهو المؤتمر الصهيوني الأول الذي نجح هيرتسل في عقده ، وضم 204 مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم . وقد حدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي:

" إن غاية الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام " وقد ووفق على برنامج هذا المؤتمر . ومن الممكن تلخيص قراراته في :

1- وضع هذا المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية التي تتمثل في استعادة أرض ملكة إسرائيل بحدودها التاريخية وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم (المزعوم) .
2- وضع المؤتمر أسس المنظمة الصهيونية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .
3- وأوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية :

أ- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ووفق أسس مناسبة .

ب- تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته .

ج- القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية .

د- تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المتبعة في كل بلد

- وضع هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي ، والنشيد القومي اليهودي ، وتأسست الهيئات الصهيونية التنفيذية ، وصندوق الائتمان اليهودي لشراء الأراضي . . وبناء عليه أصبح لفظ صهيوني يعبر عن كل من يعتنق المبادئ التي وضعت في هذا المؤتمر ، ويكتتب سنويا بمقدار شيكل واحد – نصف دولار .

- وهكذا صاغ هيرتسل الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي وأصبح المنظم الذي لا يلحق به كلل أو إعياء للحركة الصهيونية ، وداعيتها ومندوبها السياسي .

- مشيعا أن اليهود امة يمثلون قومية وأسطورة الجنس الواحد ، ومرددا الحقوق التاريخية، والأسطورة التوراتية. وكان هيرتسل قد قال في أعقاب هذا المؤتمر : " لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة – وهذا ما لن أفعله صراحة – لقلت في بازل أسست الدولة اليهودية . "

- وفي المؤتمر الصهيوني الثاني سنة 1316 هـ / 1898 م أقر المؤتمرون : تشكيل لجنة استعمار فلسطين ، وإنشاء المصرف الاستعماري اليهودي ، ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية وللشركة اليهودية المنشودة ، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في انكلترا لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها تحتم تبنيها الكامل للحركة الصهيونية وأخيرا فهناك بعض الملاحظات على مؤتمر بال الصهيوني لا بد من إيرادها :

1- اختار المؤتمر تعبير (وطن قومي) وهو تعبير غامض قد يعني أكثر من معنى ، وذلك عن عمد ، واستمرت الصهيونية في استعمال الألفاظ الغامضة تعمية للأبصار عن الأهداف الحقيقية حتى تقطع فيها خطوات وتتمكن منها .

2- أصبحت الحركة الصهيونية كدولة يهودية موزعة بين حكومات العالم ، فاللجنة التنفيذية كانت السلطة التنفيذية ، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي ، وكانت المنظمة الصهيونية العالمية المفوض الذي يتحدث باسم يهود العالم ، فأصبح كل يهودي صهيوني شاء أم أبى . وليس بينهما فرق أبدا .

3- وضع المؤتمر قرارات سرية أظهرتها فيما بعد بروتوكولات حكماء صهيون في ضمنها اشعال حرب عالمية ، والسيطرة على العالم اقتصاديا وفكريا ، تمهيدا للسيطرة اليهودية على العالم . وقد تغلغل النفوذ الصهيوني في أوربا بالفعل ، ولم يصبح في المجتمع الأوربي صوت حقيقي يرتفع في وجه الصهيونية كي يحد من أحلامها ، وسيطرت على محترفي السياسة في أوربا وأمريكا ، حتى أنها تمكنت في آخر الأمر أن تنتزع موافقتهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

- فأصبحت الصهيونية تركز عداءها ضد العالم الإسلامي وحده ، وكانت الدولة العثمانية هي زعيمة المسلمين ، وفلسطين من أملاكها ، فاتبعت الصهيونية معها الأساليب التالية :

أ- أسلوب الإغراء : فقد قابل هرتزل السلطان عبد الحميد مستعملا أسلوب الرشاوى مع الوسطاء والمسئولين الأتراك، ووساطة الدول الأوروبية وخاصة ألمانيا ، وقدم له التماسا لتحقيق المطامع اليهودية وعرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية جميعها وخمسة ملايين جنيه ذهب لجيبه الخاص مقابل السماح لليهود باستيطان فلسطين كرعايا للدولة العثمانية . فرفض السلطان طلبه ، وكان قد عرف ألاعيب الصهيونية ، واتبع خطوات إيجابية ليحول دون تسلل اليهود إلى فلسطين بأن فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق ، واتبعه للباب العالي رأسا ، ومنع بقاء الزوار اليهود أكثر من ثلاثة شهور في القدس . وبذلك حد من تسللهم .

ب- أسلوب التهديد : فقد عمدت الصهيونية إلى تهديد الدولة العثمانية عن طرق الدول الاستعمارية الأوروبية – وخاصة النمسا ثم بريطانيا وألمانيا ، وحاولوا الحصول على العريش وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص كما عُرض عليهم أوغندة وليبيا والعراق وموزنبيق والكونغو ومدغشقر. وقد وافق كرومر المعتمد البريطاني في مصر على منح الصهيونية العريش وشبه جزيرة سيناء وقابل هرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة 99 سنة ، ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية.

ج- أسلوب التآمر ضد الدولة العثمانية – وذلك :

1- بتشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتا حتى عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الأعلام .

- - بمحاولة إثارة النعرات القومية داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والأتراك في باريس وبقية أوربا . فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية ، وتمكنت جمعية الإتحاد والترقي من إزالة السلطان عبد الحميد ، وكانت فيها عناصر الدونمة (يهود سالونيك) عام 1327 هـ / 1909 م كما سبق (. وقطف اليهود الثمار بعد سقوط عبد الحميد ، فقد سمحت جمعية الاتحاد والترقي بعد نجاحها بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ونقلت كثيرا من الموظفين المعارضين للهجرة اليهودية إلى أماكن أخرى . إلى أن ضج العرب المسلمون في مجلس المبعوثان ، وبعض الصحف في فلسطين ، فأغلقوا الصحف ، وتظاهروا بالعودة إلى أسلوب السلطان عبد الحميد بشأن الهجرة اليهودية .

- فعاد أسلوب التسلل ولكن بحماية المسئولين هذه المرة وتسهيلاتهم من جمعية الاتحاد والترقي التركية . فارتفع عدد اليهود من خمسين ألفا عام 1315 هـ / 1897 م إلى85 ألفا عام 1333 هـ / 1914 م من أهل فلسطين الذين بلغ عددهم 689 ألفا حسب تقديرات السلطات العثمانية . فيمكن القول ودون مبالغة أن تاريخ إنشاء دولة اليهود في فلسطين كان عام 1909 م ، يوم سقوط السلطان عبد الحميد .

- وأخيرا فلنا أن نتساءل لماذا اختارت الصهيونية فلسطين بالذات ما دام عرض عليها أوغندة ، أو مدغشقر ، أو موزنبيق ، أو الكونغو وغيرها ؟

- يجيبنا على هذا (ناحوم غولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة (مونتريال) في كندا عقد عام 1367 هـ / 1947 م :

- " كان في إمكان اليهود أن يحصلوا على أوغندة أو مدغشقر أو غيرهما ، ليقيموا في أي منها وطنا يهوديا ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلسطين ، لا لاعتبارات دينية ، أو لأن التوراة قد أشارت إليها ، أو لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطي عن طريق التبخر ما قيمته خمسة آلاف مليون من الدولارات من المعادن والأملاح ، أو لأن تربة فلسطين الجوفية تحتوي على كميات من البترول تبلغ عشرين ضعف احتياطي البترول في الأمريكتين – بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وأفريقيا ، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية ، ولأنها المركز العسكري الإستراتيجي للسيطرة على العالم "

- وهكذا تطابقت المصالح الاستعمارية مع أهداف الحركة الصهيونية في هذا الاختيار الإستراتيجي الهام .

ثالثا : مرحلة المناورات الخفية الماكرة – العمل المراوغ 1333 – 1337 هـ / 1914 – 1918 م :

<u>وهذه هي فترة الحرب العالمية الأولى ، وكانت الدول المتحاربة :</u>

أ- الحلفاء : بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وانضمت إليهم إيطاليا ثم الولايات المتحدة ، في حين انسحبت روسيا من الحرب بعد ثورة أكتوبر الشيوعية عام 1336 هـ / 1917 م :

ب- دول الوسط : وهي ألمانيا والنمسا وانضمت إليهما جمعية الإتحاد والترقي التركية .وقد استطاعت الصهيونية أن تمد نفسها كالإخطبوط بين مختلف هذه الدول المتحاربة ، عن طريق الجاسوسية والأموال والدعاية ، فأخذت من كل منها وعودا ، في حين كانت تتظاهر بالحياد ، ونقلت مقرها الرئيسي من برلين إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك المحايدة

- فتمكنت من الحصول على وعد بلفور من بريطانيا ، وهو بمثابة شهادة زواج غير شرعي بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، على حساب مستقبل الإسلام والمسلمين في فلسطين . وهذا نصه :

- " عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني جدا أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية الذي رفع إلى الحكومة ووافقت عليه :

- إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدنا لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوي على أي مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بحقوق اليهود أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد "

- ولقد اتسم هذا التصريح كما ترى بأفكار سياسية استعمارية ماكرة قصد بها الغموض والتضليل ، من كلمات العطف ، وإقامة وطن قومي للشعب اليهودي ، مع أن اليهودية دين منحرف عن عقيدة موسى عليه السلام ، وليست شعبا ، واعتبار غير اليهود طوائف في فلسطين ، ويعتبر هذا من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضا لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها على حساب من يملكها ويستحقها ، وقد أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تتقدم جيوشها بمساعدة حلفائها من العرب الذين قادهم فيصل ولورنس إلى فلسطين . ويكفي أن نذكر أن المستر (بيفن) وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك بثلاثين عاما عير عن مدى التناقض الذي يشتمل عليه هذه التصريح بقوله :

- " إنه كان في الواقع يتضمن شيئين متناقضين : تشجيع الهجرة إلى فلسطين ثم حماية السكان الأصليين ضد المهاجرين .

الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية :

1- مصالح بريطانيا السياسية والإستراتيجية في البلاد الإسلامية :

- فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق الإسلامي ، بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند – ذرة التاج البريطاني – والسيطرة على قناة السويس ، ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وأفريقيا ، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي ، ففي عام 1325 هـ / 1907 م ، أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي انهيار الإمبراطورية فكان مشروع (كامبل باترمان) رئيس وزراء حرب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي اعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بإفريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر .

2- تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى ، فبدا للحكومة الإنجليزية أن تستميل الرأي العام الأمريكي ، لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء ، وللصهيونية تأثير كبير على هذا الرأي العام في الولايات المتحدة ، فعملت على السير في المخططات الصهيونية فضمنت بذلك جماعات اليهود القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال ، لا في نيويورك فقط ، بل في نواحي كثيرة من أنحاء العالم ، وحملها على مناصرة قضية الحلفاء ، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام 1917 م

3-مشكلة استخراج الأسيتون : والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخانا ، وقد تمكن الدكتور وايزمن من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الاستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية .

رابعا : مرحلة العمل الصهيوني الإنجليزي لتهويد فلسطين 1337 – 1358 هـ / 1918 – 1939:

- - في هذه المرحلة تمكنت الصهيونية والاستعمار من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها . ووقعت البلاد العربية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي ، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور ، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط ، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية .

- وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة ، ومعاناته ، فانفردت الصهيونية والإنجليز في فلسطين ، فقد تم التوقيع عام 1338 هـ / 1919 م في مؤتمر فرساي (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم .

- وفي المادة (22) من هذا الميثاق نص يعرف بصك الانتداب . وفي معاهدة سيفر سنة 1339 هـ / 1920 م ، انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ضاحيتها ، والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى ، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي ، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ انكليزي . وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام 1923 م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية . وفي مؤتمر سان ريمو سنة 1339 هـ / 1920 م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا ، وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علنا . وأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور . وأقر مجلس عصبة الأمم هذا الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور .

- فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد . ومن أهم ما عملته في هذا السبيل :

1- تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين :

- فوصل عدد اليهود من 55 ألفا عام 1339 هـ / 1919 م إلى 108 آلاف عام 1344 هـ / 1925 م و 300 ألفا عام 1354 هـ / 1935 م و 650 ألفا عام 1368 هـ / 1948 م، فرأى أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول . وكان اليهودي يمنح الجنسية الفلسطينية قبل أن يطأ أرض فلسطين . في حين كانت توضع مختلف العراقيل أمام المسلمين في التجنس !

2- تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود :

- فقد منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية .

3- اعترفت بريطانيا بالوكالة اليهودية شريكة في تنفيذ المخططات ، فأصبحت دولة داخل دولة ، كما عملت السلطات البريطانية على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الانجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية . وقد تطورت الوكالة اليهودية بفعل الدعم البريطاني المستمر ، واكتسبت خصائص الحكومة المستقلة عند نهاية الحرب العالمية الثانية . إذ تحكمت في القطاع الاقتصادي اليهودي ، وكان لها مستشفياتها ، وخدماتها الاجتماعية ، وإدارات لمدارسها ، وجهاز استخبارات – حيث كان جميع مواظفي الحكومة اليهود – عمليا – مخبرين لديها . كما ضبطت منظمتها العسكرية الخاصة بها وهي الهاجاناه .

4- عينت بريطانيا هربرت صموئيل السياسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام 1339 هـ / 1920 م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة

5- اعترفت بريطانيا باللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والانجليزية ، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الانجليز واليهود وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة 1344 هـ / 1925 م في القدس .

6- منحت بريطانيا الصهاينة امتيازات المشاريع الهامة في فلسطين

- كمشروع روتنبرغ للكهرباء ، وتجفيف بحيرة الحولة ، ومشروع البوتاس على البحر الميت .

موقف المسلمين

لم يوافق العرب والمسلمون على وعد بلفور ، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهاون والتخاذل ، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم الهجمة الاستعمارية الشرسة ، ولغموض وعد بلفور وعدم إدراكهم أبعاده ، أما أهل فلسطين فقد كانوا أكثر المسلمين إدراكا لأبعاد التصريح.

وكانت مطالب المسلمين تنصب على :

1- العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

2- إيقاف الهجرة اليهودية إيقافا تاما .

3- منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود .

4- منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى وعلى الشروط نفسها .

- وكان التيار الإسلامي قويا في حركات أهل فلسطين ، وكثيرا ما ناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الأخطار اليهودية على فلسطين. **ومن أهم هذه الحركات الجهادية :**

1- حركة عام 1340 هـ / 1921 م : على إثر تصريحات تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك الموالية للصهيونية .

- وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينة يافا ، ثم امتدت إلى سائر المدن الفلسطينية ، فلجأت بريطانيا إلى سياسة التهدئة ، وإتباع أسلوب تشكيل اللجان للتحقيق ، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين ، ثم لا تلبث أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد .

2- حركة البراق عام 1348 هـ / 1929 م : إثر اعتداء اليهود على حائط البراق ، بأن تظاهر اليهود قربه ، ورفعوا العلم الصهيوني ، وأنشدوا النشيد الصهيوني – الهاتكفا – وشتموا المسلمين .

3- وفي عام 1352 هـ / 1931 م: إستغلت الصهيونية الإضطهادات النازية لليهود في ألمانيا ، فأخذت تضغط على الحكومة البريطانية لإيواء يهود وسط أوربا في فلسطين ، وتدفقت الهجرات .

فقام المسلمون والعرب بعقد عدة مؤتمرات أهمها المؤتمر الإسلامي بمناسبة الإسراء والمعراج في القدس ، إشترك فيه جماعة من الحركة العربية والإسلامية ومثلت فيه 22 بلدا ، وكان الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الهندي ، لولب هذا المؤتمر ، وقد حضره وفد من مسلمي البوشناق ضم وزيرا والمفتي الأكبر ، وممثلون لمسلمي جاوه وتركستان وغير ذلك من البلاد ، ورغم العقبات التي اعترضت هذا المؤتمر فقد خرج بمقررات ناجحة تشجب الاستعمار والصهيونية وهي :

1. وضع دستور للمؤتمر يجعل المؤتمر منظمة دائمة ، تجتمع دوريا ، وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويحدد لها أهدافا سامية ، نابعة من عظمة الإسلام وتاريخه .
2. إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس تسمى : جامعة المسجد الأقصى . وتأليف دائرة معارف إسلامية .
3. - الدفاع عن فلسطين لأهميتها بالنسبة للعالم الإسلامي ، وشجب السياسة البريطانية .
4. تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين .
5. تسليم سكة حديد الحجاز إلى هيئة إسلامية ، لأنها ملك للمسلمين .
6. استنكار السياسة الاستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر والطليانية في ليبيا ، والفرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي والانجليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب .

- - حركة الشيخ عز الدين القسام سنة 1354 هـ / 1935 م

- - الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام 1340 هـ / 1921 م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين ، وكان قائدا بارزا ، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا ، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات ، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام 1345 هـ / 1926 .

4- الثورة الفلسطينية الكبرى : 1355 – 1358 هـ / 1936 – 1939 م :

- تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية ، وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة ، بالنظر إلى ما يعانيه يهود ألمانيا من

اضطهاد النازية ، فزاد ذلك الطين بله وصب الزيت على النار المشتعلة ، فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام 1352 هـ / 1933 م وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة .

- ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها ، فبدأ الناس بإضراب استمر ستة شهور وهو أطول إضراب عرفه التاريخ ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية .

- وقد عجزت بريطانيا بوسائلها القمعية وقواتها العسكرية بقيادة الليفتنانت جنرال (ديل) من القضاء على هذه الحركة ، فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل ، وبالفعل تدخل الملوك والأمراء العرب وأوقف أهل فلسطين الثورة ، وأنهوا الإضراب ، بعد أن ناشدهم الزعماء في ذلك . (والاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة .

وكانت الفوائد التي جناها الصهاينة والإنجليز من هذه المناشدة :

أ- وفرت بريطانيا على نفسها جندها ومعداتها .
ب- بدأت القضية تتحول من الإتجاه الإسلامي إلى إتجاه غربي .
ت- أتاحت الفرصة لإعادة التخطيط ، والتقاط الأنفاس ، للتوثب إلى مرحلة قادمة . فأرسلت لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل ، انتهت في تقريرها سنة 1356 هـ / 1937 م .

- عقدت بريطانيا مؤتمرا شهده العرب واليهود والحكومات العربية : مصر والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، والعراق ، وشرق الأردن – وقد وضع العرب شروطهم للتسوية على الأسس التالية :

أ- وقف الهجرة اليهودية .
ب- منع انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود .
ث- قيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود .
ج- أن تكون اللغة العربية الرسمية والعبرية هي لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية فقط .لم توافق بريطانيا والصهيونية على ذلك ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبدأت بريطانيا نفسها تحس بالخطر الصهيوني وأرادت التخلص من المشكلة ، فأصدرت الكتاب الأبيض عام 1358 هـ / 1939 م عدلت فيه عن مشروع التقسيم .

خامسا : مرحلة العمل لإقامة الدولة الصهيونية الفعلية 1358 – 1368 هـ / 1939 – 1948 م :

- نددت الصهيونية بالكتاب الأبيض ، ولجأ اليهود إلى العنف والإرهاب في مقاومته داخل فلسطين ، فقاموا بثورة أخذت فيها العصابات اليهودية الإرهابية مثل (شتيرن) و (الأرغون) تغير على الثكنات العسكرية والمستودعات والمطارات البريطانية ، كما أخذت تنسف دور الحكومة ودوائر البوليس والمرافق العامة ، وقتلت عددا من الضباط والجنود البريطانيين ، واغتالت اللورد (موين) وزير الدولة البريطانية في القاهرة. وكانت بريطانيا تعامل اليهود في الوقت نفسه كالطفل المدلل ، دون أن تلجأ غلى العنف في قمع حركاتهم كما كانت تعمل مع المسلمين من أهل فلسطين . وقامت الصهيونية من ناحية أخرى بحملة دعائية وسياسية ضد الكتاب الأبيض في بريطانيا ذاتها ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والدوائر الاستعمارية .

- واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتجنيد والتدريب العسكري ، فأقامت قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية باسم (الهاجاناه) ، وحملوا بريطانيا على تأليف فيلق يهودي ليحارب إلى جانب الحلفاء ، فزودتهم بريطانيا بالأسلحة الحديثة والدبابات والعتاد الحربي ، ودربتهم أثناء الحرب أحسن تدريب ، على أيدي الجنود البولنديين اليهود الذين فروا بأسلحتهم .

- واتجهت الصهيونية في جهودها إلى الولايات المتحدة ، فركزت عليها سياسيا وإعلاميا ، وكما التقت الأهداف الصهيونية والبريطانية سابقا ، التقت أهداف الصهيونية مع أهداف الولايات المتحدة زعيمة الاستعمار الجديد التي تخلت عن سياسة العزلة التي انتهجتها بين الحربين ، وأخذت تحاول أن تحل محل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في استعمار البلاد الإسلامية .

- فعقدت الصهيونية مؤتمر بلتيمور الصهيوني في فندق بلتيمور بنيويورك عام 1361 هـ / 1942 م الذي اتخذ قرارات تعادل قرارات بازل في أهميتها ومنها :

1. ضرورة قيام سريع للدولة اليهودية في فلسطين كجزء من العالم الديمقراطي الجديد .
2. رفض الكتاب الأبيض لعام 1358 هـ / 1939 م والضغط على بريطانيا لإلغائه .
3. إطلاق الهجرة اليهودية واستيطان فلسطين تحت إشراف الوكالة اليهودية .
4. إنشاء جيش يهودي خالص يحارب إلى جانب الحلفاء . .

- وحاولت أمريكا بزعامة روزفلت أن تحقق الدولة اليهودية على أيدي بعض الزعماء العرب فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود يوم 14 / 2 / 1945 م بعد مؤتمر مالطا، وحاول إقناعه بذلك ، فرفض الملك عبد العزيز رفضا قاطعا وقال له : " أعطهم أرض الألمان الذين اضطهدوهم " .

- وطالب عبد العزيز آل سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت . فكان موقفه يمثل الموقف الإسلامي الذي لا يقبل بتأسيس الكيان الصهيوني اليهودي على أقدس بقعة من أرض الإسلام بعد الحجاز .

- واندفع ترومان الرئيس الأمريكي الذي خلف روزفلت في تأييد الصهيونية وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية من أجل الإذعان للمذكرة اليهودية التي قدمت سنة 1945م .

- ثار العرب على هذه التوصيات وعقدت الجامعة العربية مؤتمر بلودان عام 1946 م ، فعقدت بريطانيا مؤتمر لندن في العام نفسه لتجمع بين العرب واليهود بإشرافها ، فقرر وزراء الخارجية العرب عدم الجلوس مع اليهود على مائة واحدة ، أو الاعتراف بحق الولايات المتحدة للتدخل في موضوع فلسطين ، أو قبول أي مشروع يهدف إلى التقسيم ورغم ذلك فقد قدمت بريطانيا مشروع موريسون للتقسيم إلى أربع مناطق إدارية هي :

1- المنطقة اليهودية : وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى ذلك اليوم .
2- القدس : وتشمل القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منها .
3- النقب .
4- المنطقة العربية .

- ولم يوافق العرب واليهود على هذا التقسيم وانتهت مهمة بريطانيا في التمكين لليهود ، فنقلت القضية إلى الأمم المتحدة ، وأعلنت أنها تتخلى عن مهمة الانتداب على فلسطين ، وأنها ستنسحب بقواتها من فلسطين يوم 25 مايو 1948 م / 1367 هـ .وعرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة عام 1366 هـ / 1947 م فاقترحت التقسيم على النحو التالي :1- الدولة العربية : تتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من أسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية .2- الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من

السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب .3- توضع منطقة القدس وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية .4- تنال الدولتان استقلالهما بعد مرحلة انتقال مدتها عامين تستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .5- قبول 150 ألف مهاجر في الدولة اليهودية.

- وفجأت أعلنت بريطانيا من جانبها إنهاء الانتداب على فلسطين في 14 مايو 1948 م ، وأخذت تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى ، وفي القبض على زمام الأمر فيها بالاستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية والمنشآت الهامة ، فقد كانت تجلو أولا من الأحياء المسلمة في تلك المدن لتمكن اليهود من احتلالها ، وتمنع في الوقت نفسه دخول أية إمدادات إليها ، فحدثت مجازر كمجزرة دير ياسين وقبية ، وناصر الدين على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية ، التي لم تحرك ساكنا لإنقاذ أهلها العزل من السلاح ، وقد أدت هذه المجازر إلى نزوح أفواج المسلمين إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان وهكذا نجحت الصهيونية باستخدام بريطانيا والولايات المتحدة في خطوتها الأولى ، وقامت دولة اليهود المسخ على أقدس بقعة من أرض الإسلام . وتحولت الوكالة اليهودية إلى حكومة مؤقتة لدولة اليهود عام 1948 م .

سادسا : مرحلة تثبيت الدولة اليهودية 1368 – 1387 هـ / 1948 – 1967 م :

- رفضت البلاد العربية الاعتداء الصهيوني ، فدخلت الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية ، وكانت قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني طليعة العمل الجهادي قد أجبرت 115 ألف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس ، نتيجة حصارهم ، باحتلال مضيق باب الواد وإقفاله ، وقام أفرادها بعدة معارك ، ونصبوا الكمائن للقوافل اليهودية والإنجليزية ، كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني اليهودية ، وقد ساند الجهاد المقدس جيش الإنقاذ الذي كلف بإنشائه .

- - مشروع جونستون عام 1954 م :

- قدم جونستون – مندوب الرئيس الأمريكي (أيزنهاور) الخاص المكلف ببحث القضية الفلسطينية – تقريرا مفصلا عام 1954 م بني **<u>على ثلاث نقاط رئيسية هي :</u>**

أ- تقسيم مياه نهر الأردن بين العرب واليهود ، 10 % لكل من سوريا ولبنان ، 40 % لكل من الأردن وإسرائيل . بحيث تأخذ إسرائيل هذا القدر لاستصلاح صحراء النقب لإيواء ثلاثة ملايين من المهاجرين اليهود . وتأخذ الأردن حصتها لاستصلاح ثلاثة ملايين دونم (في الضفة الغربية) لتوطين اللاجئين العرب .

ب- تحديد حدود ولو مؤقتة بين الكيان الصهيوني والبلاد العربية المجاورة ، تحدد نهائيا فيما بعد ، على أن تترك شقة حزام عرضها 200 متر) بين البلاد العربية وإسرائيل على طول الحدود .

- العدوان الثلاثي على مصر عام 1376 هـ / 1956 م : ففي هذا العام أعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس ، فقامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو الأراضي المصرية ، **<u>ويهمنا في هذا العدوان نتائجه :</u>**

أ- حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقلص النفوذ البريطاني والفرنسي ، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الانسحاب .

سابعا : مرحلة التوسع اليهودي : 1387 هـ / 1967 م – 1409 هـ / 1988م :

- تعمد اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية ، وكانت الشعارات القومية والاشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا ، وتعرضت مصر للانتقادات لوجود قوات الطوارئ الدولية .

- **ومن أهم نتائجها :**

أ- أثبتت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجا من قومية واشتراكية وثورية وغيرها . وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها ، وإلى دينها . فهي تمثل في الحقيقة منعطفا نحو إدراك الأمة لذاتها .

ب- زادت من غرور العسكرية اليهودية ومن ثقة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي . وفي 22 تشرين الثاني عام 1387 هـ / 1967 م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم (242) والذي ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حرب عام 1967 م وعلى إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقا في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وعلى ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية ، وعلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

اتفاقيات كامب ديفيد :

- ومع شيوع روح الاستسلام في الأمة الإسلامية ، والقبول بالأمر الواقع ، وتجرع الهزيمة ، وتفسخ المجتمعات الإسلامية ، والانحراف العقيدي الخطير ، والفراغ الذي يعيشه أفراد الأمة ، وانقسام الدول الإسلامية ، تحقق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل ، ألا وهو توقيع اتفاقيات كامب ديفيد ، وإنهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني ، والقضاء على عقدة العداء له ، وما تبع ذلك من تطبيع العلاقات ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود لجميع المبادلات السياحية والتجارية والإعلامية بين اليهود ومصر .

- بدأ مؤتمر كامب ديفيد أعماله بحضور كارتر رئيس الولايات المتحدة والسادات وبيغين من 5 إلى 17 أيلول 1978 م ، واتفق الأطراف الثلاثة في نهاية المفاوضات على وثيقتي كامب ديفيد.

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

محاضرة الحادية عشر

قضية كشمير

تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان ، وتحيطها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي وتحدها الصين الشعبية من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي ، وتحدها هندستان من جزء من جنوبها . فهي متاخمة لخمس دول وهي : باكستان ، وأفغانستان والاتحاد السوفييتي ، والصين ، والهند .

مساحتها 217935 كم2 ، وعدد سكانها حاليا حوالي تسعة ملايين نسمة ، تبلغ نسمة المسلمين أكثر من 90 % ، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين . وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاثة مناطق هي : جمو وكشمير ومناطق الحدود ..

وهي بلاد جبلية فيها سهلان ، أو واديان ، هما وادي جمو ووادي كشمكير ، طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات ، وأنهارها الكبيرة هي السند وجليم وجناب ، وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان وترويها ، وهي أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية ، ومناخها البارد وتغمر بعض مناطقها الثلوج شهورا طويلة من السنة ، وفواكهها وخضارها كثيرة . وأخشابها تمثل ثروة طبيعية هامة ، وتربى في مراعيها أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الكشميري الثمين .

وتم اكتشاف الياقوت فيها عام 1404 هـ / 1983 م . عدا معادنها الثمينة الأخرى

فهي في موقع جغرافي حساس من وجهة النظر الإستراتيجية ، ذلك لأنها تضم الممرات والثغرات في المرتفعات الشاهقة الوعرة ، وأنها تحكم التحركات على الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وشبه القارة بصفة عامة وبين أرض التبت من وراء الجبال شمالا وكأنها بذلك أحد الأبواب التي تقيم الصلة بين الهند وآسيا .

وصول الإسلام إلى كشمير :

وصلها الإسلام مبكرا في أواخر القرن الأول الهجري . وفتحها هشام بن عمرو التغلبي والي السند في عهد أبي جعفر المنصور (136 – 158 هـ) وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم 218 – 227 هـ . وتمكن فيها في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما وصلها داعية اسمه بلبل أمكنه أن يقنع أحد حكامها باعتناق الإسلام فسمى نفسه شمس الدين .

فكان أول حاكم مسلم لكشمير . وبدأ به حكم أسرة شاه مرزا التي حكمت كشمير بالعدل إلى أن ضمها جلال الدين أكبر شاه عام 995 هـ إلى دولة المغول الإسلامية بالهند .

واستفحل الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمذاني الذي وصلها حوالي عام 729 هـ / 1388 م من فارس . وصحبه في هجرته تلك أكثر من 700 داعية مسلم . وأصبحت جزءا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام (740 هـ / 1399 م) . وقامت بدورها في نشر الإسلام ، وحمله إلى التبت على يد تجارها ، وقد وصل الإسلام التبت أيضا عن طريق يونان ..

ولما ضعفت دولة الهند الإسلامية استطاع أن يسيطر السيخ على كشمير بزعامة المهراجا (رانجيت سنك) عام 1224 هـ / 1809 م

وهزم الانجليز السيخ عام 1255 هـ / 1839 م وأبقوا عميلهم كولاب سنغ الهندوكي) من أسرة (دوجرا) أميرا على كشمير المسلمة مقابل 75 مليون روبية ثمنا لولايته ، دفعها للحاكم البريطاني لمدة مائة عام كما تقرر في معاهدة أمريستار عام 1263 هـ / 1846 م ، على أن يعترف بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث في سائر الإمارات . فبدأت مأساة كشمير ، وبدأ الظلم يعم أهلها ، فعلى الرغم من خيراتها الكثيرة وإمكاناتها الواسعة أصبحت في أسوأ حال بسبب طغيان كلاب سنغ وخلفائه من أسرة دوجرا .

حال المسلمين في ظل حكم أسرة (دوجرا) الهندوكية :

كان حكم كلاب سنغ مضرب المثل في الضرائب التعسفية والقوانين الجائرة وسوء معاملة الرعية .

وكان عبء هذه الضرائب يقع بصفة مباشرة وغير مباشرة على المسلمين ، بصفتهم أغلبية السكان ، بل كان الحاكم يفرض على المسلمين ضرائب خاصة ، كالضرائب التي فرضها على الأضحية التي يضحي بها المسلمون في عيد الأضحى .

وكان يسمح لغير المسلمين بحمل الأسلحة بغير ترخيص ، أما المسلمون فلا يحملونها إلا بتصريح يحصلون عليه بشق الأنفس . وكان ذبح البقر ممنوعا في الإمارة .

المقاومة الإسلامية لسياسة السيخ والهنادكة :

يعتبر الشاعر الدكتور محمد إقبال أحد أبناء كشمير ، وكان لفلسفته دور كبير في بعث روح الإيمان والجهاد لدى المسلمين في كشمير ، فدارت أول معركة بين المسلمين والهندوس في 13 / 7 / 1931 م في مدينة سرينكر سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح . بمساعدة المستعمر الإنجليزي الذي بقي يؤازر هذه الأسرة .

ونظرا لهذه المظالم بدأ المسلمون يعملون على إيجاد تنظيم لهم يطالب بحقوقهم فكان : المؤتمر الإسلامي لعموم جمو وكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله – الملقب بأسد كشمير – وتشودري غلام عباس . وعقد دورته الأولى عام 1932 م برئاسة الشيخ محمد عبد الله ، وبرزت مطالب المسلمين في إيجاد هيئة تشريعية شعبية لهم تنظر في مصالح الناس .

فاضطر المهراجا أن يوافق على تكوين الجمعية التشريعية ، على أن تكون مجرد هيئة استشارية ، وأفرج عن المعتقلين وفيهم تشودري غلام عباس رئيس المؤتمر منذ 1934 م . واستمر نفوذ المؤتمر في ازدياد حتى أحرز عام 1938 م 20 مقعدا من 21 واتخذ موقف النقد للحكومة لإهمالها مصالح الرعية .وفي عام 1358 هـ / 1939 م تألفت هيئة جديدة سميت : حزب المؤتمر الوطني ، وانضم إليه بعض الزعماء المسلمين ، ومنهم الشيخ محمد عبد الله ، الذي كان من قبل أحد زعماء المؤتمر الإسلامي ، واتخذ هذا الحزب شعارا : خدمة مصالح الشعب ، وبالتالي خدمة المسلمين
ووجدت الرابطة الإسلامية لعموم الهند صدى لها في كشمير واستقبل المسلمون فيها دعوة جناح بإنشاء دولة باكستان بحماس وترحيب .

وفي عام 1364 هـ / 1944 م وجه حزب المؤتمر الوطني ، وحزب المؤتمر الإسلامي ، دعوة للسيد محمد علي جنه ، رئيس الرابطة الإسلامية ، لزيارة كشمير ، حيث قوبل بحماس بالغ ، وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الإسلامي ، فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندي والمهراجا . وأضعف مركز الشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة . فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ، ففقد هو وحزبه ما بقي لهما في نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا ما دفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام 1366 هـ / 1946 م ضد المهراجا ، وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها . وعرفت حركته باسم : (حركة انزحوا عن كشمير) ، على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا : (انزحوا عن الهند) فاعتقله المهراجا ، وحكم عليه بالسجن تسع سنين .

وفي عام 1364 هـ / 1944 م وجه حزب المؤتمر الوطني ، وحزب المؤتمر الإسلامي ، دعوة للسيد محمد علي جنه ، رئيس الرابطة الإسلامية ، لزيارة كشمير ، حيث قوبل بحماس بالغ ، وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الإسلامي ، فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندي والمهراجا . وأضعف مركز الشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة . فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ، ففقد هو وحزبه ما بقي لهما في نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا ما دفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام 1366 هـ / 1946 م ضد المهراجا ، وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها . وعرفت حركته باسم : (حركة انزحوا عن كشمير) ، على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا : (انزحوا عن الهند) فاعتقله المهراجا ، وحكم عليه بالسجن تسع سنين .

وأعلن أنه من المحتم وجوب انضمام الولاية (جمو وكشمير) إلى باكستان . كما احتفل المسلمون بيوم باكستان 14 أغسطس ، ورفعوا الأعلام الباكستانية معبرين بذلك عن رغبتهم في الانضمام لها .

ولجأ الأمير هري سنغ الذي تواطأ مع الهند ، حقدا على المسلمين وخوفا منهم ، إلى الحيلة فأخذ يؤجل قراره الحاسم من يوم إلى آخر فحل يوم 15 أغسطس 1367 هـ / 1947 م وهو آخر يوم محدد لتقرير المصير ، دون أن يحدد موقفه ، ولما أراد المسلمون الاحتفال بيوم باكستان أمر بتمزيق الأعلام التي رفعوها ، وأغلق جميع الصحف الموالية لباكستان . وتابع سياسة العسف والشدة ، وإن ارتبط مع الباكستان في اليوم نفسه بميثاق ، انتقلت بمقتضاه إلى باكستان الواجبات والمسؤوليات التي كانت تضطلع بها حكومة الهند البريطانية

قبل التقسيم في الولاية ، فيما يتعلق بالمواصلات والبريد والبرق . كما تظاهر بأنه يريد أن يقف موقف المحايد بين الهند وباكستان ، ولكنه في حقيقة الأمر كان لا يرغب إطلاقا في أن يعلن انضمام الولاية لباكستان ، وأخذ في تقوية الحاميات العسكرية المكونة من السيخ والهندوس في المناطق الإسلامية ، وأصدر أمرا في أواخر شهر يوليو 1947 م يقضي بأن يسلم المسلمون أسلحتهم للبوليس . فانفجر المسلمون بثورة في منطقة بونج بقيادة السردار محمد إبراهيم خان ، فأصدر المهراجا الأمر بالقبض عليه ، فتمكن من الهرب إلى باكستان ، وفي مدينة موري وضع أساس حركة تحرير البلاد ، وهي الحركة التي تمخضت بعد ذلك عن مولد (آزاد كشمير) أو كشمير الحرة .

واستمر المهراجا في سياسة القمع والشدة ضد المسلمين ، حتى أنه بدأ القضاء عليهم بالجملة ، فاحتجت باكستان ، وتبودلت عدة برقيات شديدة اللهجة ، وفي الوقت نفسه استمرت الإبادة الجماعية للمسلمين على يد الجند الهنادكة والسيخ ، فأبيد 237000 مسلم على بكرة أبيهم ، وفر أكثر من مليون إلى باكستان .

فهب رجال قبائل الحدود الشمالية لنصرة إخوانهم ، واستطاعوا هزيمة الأمير وقواته ، حيث كونوا حكومة آزاد كشمير عام 1948 م ، وفر الأمير من العاصمة سيرينكر إلى مقاطعة جمو ، ومن هناك كتب إلى الهند يطلب منها النجدة ، وإرسال جيش لصد الزاحفين ، وإخماد ثورة الشعب ، وأعلن في هذا الكتاب انضمامه للهند . فقبلت الهند بالطبع انضمامه ، وأرسلت القوات الهندية بالطائرات في اليوم نفسه .

وتوالت الإمدادات ، ونجحت القوات في إسكات الشعب ، وصد الزاحفين وتثبيت حكم المهراجا ، وما كادت تنقضي بضعة شهور على هذه الغارة الوحشية ، حتى كانت القوات الهندوكية قد اقتربت من حدود باكستان ، التي أرسلت بقواتها إلى آزاد كشمير ، وهكذا ظهرت مشكلة كشمير .

وأمام إلحاح الرأي العام الباكستاني ، في دخول القوات النظامية المسلحة حدود كشمير ، لم يسح جناح ولياقت علي خان إلا الاقتراح على الهند إيقاف القتال ، بضغط من (الفيلد مارشال كلود أو كنلك) وإصدار بلاغ مشترك من الحاكمين العامين للحكومتين ، بإجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين . ولكن حكومة الهند رأت أن كشمير أصبحت جزءا لا يتجزأ من بلادها .

فإذا أجري استفتاء فالهند هي التي تقوم به ، وتقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن ، تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لإثارة الفوضى في بلادها . وأرسل مجلس الأمن لجنة عرفت باسم لجنة الأمم المتحدة لهندوستان وباكستان ، وأصدرت اللجنة قرارين عام 1368 هـ / 1948 م و 1369 هـ / 1949 م **ينصان على ثلاث مواد**

1- وقف القتال وتعيين خط له .
2- تجريد الإمارة من السلاح .
3- إجراء استفتاء حر محايد تحت إشراف هيئة الأمم لتقرير مصير الإمارة وانضمامها إلى الهند أو باكستان

وبلغ الأمر في مندوب الهند (المستر كريشنا مينون) عام 1377 هـ / 1957 م في مجلس الأمن ، وفي خطبته الرسمية في المجلس ، أن أشار إلى مصير المسلمين في الهند وما يمكن أن يتعرضوا له من الشعب الهندوسي ، لو ضمت كشمير لباكستان . وكان هذا الكلام يحمل تهديدا أو تلويحا بالتهديد – أمام أكبر هيئة دولية في العالم – لمصير المسلمين في الهند وهو أنهم معرضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قرارا بضم كشمير لباكستان

أخرج الشيخ محمد عبد الله من السجن عام 1378 هـ / 1958 م ولم يلبث طويلا حتى أعيد إلى السجن لمطالبته بالاستفتاء . وخرج معه صحبه عام 1384 هـ / 1964 م وذهب في رحلة مع زميله أفضل بيك إلى المغرب عام 1965 م ، يشرحان القضية ، فلما عادا قبضت عليهما الحكومة الهندية وأودعتهما السجن .

ورفعت مكانه العلم الهندي على بناية المجلس النيابي في سرينكر وغيرت ألقاب بعض كبار الموظفين ، وصرح الوزير الهندي (ناندا عام 1385 هـ / 1965 م :

" لقد ضمت كشمير نهائيا وبلا رجعة إلى هندوستان وأصبحت جزءا منها وقال : أنه لم يعد أي معنى لتقرير المصير " بتأييد من الدول الكبرى ، بل أن روسيا استعملت حقها في الفيتو ضد قضية كشمير عام 1964 م .

وعقب على هذا القول كل من شاستري رئيس وزراء هندستان وشافان وزير الدفاع قائلين مثل قوله ، وهددا كل من يصر على غير هذا القول ، بل وطالبا بضم آزاد كشمير إلى الهند .

بعد حملة الاعتقالات 1965 م ، أضربت البلاد احتجاجا على تصرفات الحكومة الهندية ، وقامت مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين ، واشتبكت القوات الهندية بالمتظاهرين ، وقتلوا الكثير من الأهالي ، وألقوا جثثهم في نهر جيلم لكي لا يعرف عدد القتلى وفرضت رقابة شديدة على الأنباء . وانقلب العصيان هذا إلى ثورة وأنشئت لجنة باسم اللجنة الثورية ، وأعلنت بطلان جميع الاتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند مع حكومة كشمير العميلة . وأعلنت الحرب على الهند لتحرير كشمير ، واستنجدت بجميع الحكومات والشعوب المحبة للسلام ليمدوا إليها أيدي المساعدة . فشنت الهند حرب إبادة في كشمير ، وباغتت باكستان بهجوم سريع عام 1965 م لتعزل كشمير

فعقد مجلس الأمن جلسة طارئة ، وطلب من الفريقين الكف عن القتال ووعد باتخاذ ما يمكن اتخاذه من إجراءات لتسوية المشاكل السياسية التي ينطوي عليها النزاع ، من غير أن يذكر القضية الكشميرية (سبب النزاع) ، وهذا محاولة من أمريكا وروسيا تجميد القضية. وأعقب ذلك إتفاقية طشقند عام 1966 م ، وبقيت كشمير المسلمة تعاني تحت الحكم الهندوسي ، ولكن أصبح لها بعض الامتيازات الخاصة في الدستور الهندي ، فقامت الحكومة المركزية في الآونة الأخيرة بتدبير مؤامرة لتغيير الحكومة المحلية بصورة تتفق مع مصالحها بالمنطقة وهذا أمر خطير سيء على رأي الشيخ سيد عبد الله البخاري الكشميري .

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) – فتصل مساحتها إلى 40 % فقط من مساحة كشمير الكلية ، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير ، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ما عدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إداريا وهي : الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات .

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها ، إلا أن الشيخ غلام عباس ومن معه ، استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات ، وفي عام 1967 م توفي الشيخ غلام ، فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيسا للحركة الإسلامية في كشمير . حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة 1970 م فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة .

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) – فتصل مساحتها إلى 40 % فقط من مساحة كشمير الكلية ، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير ، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ما عدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إداريا وهي : الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات .

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها ، إلا أن الشيخ غلام عباس ومن معه ، استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات ، وفي عام 1967 م توفي الشيخ غلام ، فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيسا للحركة الإسلامية في كشمير . حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة 1970 م فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة .

وبعد ذلك بدأت المواجهة بين الشيخ عبد القيوم وعلي بوتو ، فاعتقل الشيخ وألقي في السجن ، وبقي في سجنه إلى أن أفرج عنه بعد أن أطيح بعلي بوتو بعد سنتين من اعتقاله ، فعادت الحركة الإسلامية تعمل لإعادة الحياة إلى سابق عهدها في آزاد كشمير.

ويتوفر في آزاد كشمير التعليم المجاني للمرحلة الجامعية بعكس كشمير المحتلة ، وتوجد فيها جامعة كبيرة وضخمة مركزها الرئيسي مظفر آباد عاصمتها ، وتدرس اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية من الابتدائية إلى الجامعة . وهناك إقبال شديد لفهم اللغة العربية بين شباب كشمير .

ذيول التقسيم :

نشأت باكستان في ظروف صعبة ، يكفي أن نتصور قيام دولة جديدة بكل أجهزتها الضرورية في ظرف سريع ، فقد كانت دهلي هي العاصمة قبل التقسيم ، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، ولم تكن كراتشي في عداد هذه المدن مثل بومباي أو كلكتا – وقد انتقل الجهاز الحكومي إليها ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضروریاتها . وفي الوقت نفسه جابهت هذه الدولة الجديدة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين وما يحتاجه هذا العدد من توفير الإقامة له وحل مشاكله . وقد رسمت الحدود دون اعتبارات اقتصادية ، فالأراضي والمدن التي كانت من نصيب الباكستان لم يكن لها من الثروة المعدنية ولا من المراكز الصناعية مثل ما كان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك .

وهذا من أساليب الإنجليز الذين أهملوا المناطق الإسلامية ، وركزوا الجامعات والمكتبات وعمليات إنشاء الطرق وكل مظاهر العمران الهامة في المناطق التي تسكنها أغلبية هندوكية ، وهذا ما لاحظه نهرو ، ولعله أهم أسباب موافقة نهرو على التقسيم ، على أمل أن لا تحيا باكستان ، وتكون الهندوكية قد تخلصت من المسلمين ، ولعل هذا ما قصده الإنجليز حين خططوا خطوط الحدود . . . فقد قال نهرو :

" وإذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التي تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية إسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الأولى الهندوسية) على الجزء الأعظم من الثروة المعدنية والمناطق الصناعية ، وهكذا فإن المقاطعات الهندوسية لن تعاني كثيرا من وجهة النظر هذه " . ومن الناحية الثانية فإن المقاطعات الإسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا وعاجزة ماليا في أكثر الأحيان .

وفي الوقت نفسه بقيت لهند الرقعة الواسعة ، وبقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بجميع أسلحته ، وموانيها ومطاراتها وكل مقومات الدولة . وأهم من ذلك كله بقيت الحياة تسير كما هي بنظامها المعهود

وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة .والباكستان كما ذكرنا منطقتان متباعدتان فهذا الوضع هو أحد الأوضاع الشاذة والصعبة في تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع يتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، من حيث الحكم والدفاع والاقتصاد والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة .ويشكل الجزءان في الواقع دولتين منفصلتين عملا وزمنا وفكرا لا يربطهما إلا الإسلام ، وهو أقوى الروابط لقيام الأمة ، وقد قامت الدولة الجديدة على أساسه لتجابه تعصبا دينيا آخر .

لقد كان ينتظر المسلمون أن يعيشوا في ظل دولة إسلامية تحافظ على تنفيذ أحكام الإسلام بحذافيرها ، ولكن الأمور جرت على غير ما يحبونه ، إذ بينما كانوا ينتظرون دولة إسلامية تصان فيها الأخلاق وتمنع المنكرات ويرتفع فيها اسم الإسلام عاليا دون سواه ، وإذ بهم يرون أنفسهم ولم يتغير عليهم شيء ، إلا الأسماء في الوقت الذي أخذت فيه الأيدي الغربية تمتد إلى البلاد والمؤامرات تحاك . فالقائمون على الحكم مسلمون أو كانوا مسلمين .

كان الاستعمار الإنجليزي قد عمل أثناء حكمه على إحياء لغات محلية لتكون لغات قومية ، كما شجع لغته لتكون اللغة الرسمية للهند ، فأحيا اللغة السنسكريتية والبنغالية إلى جانب الأوردية على حساب الفارسية والعربية .

فكان للبنغال لغة إقليمية لها آدابها وصحفها ومجلاتها ، وبالتالي فقد كانت في غنى عن الصحف الأوردية ، وهكذا فإن تبادل المعلومات والآراء بين الشطرين كان وقفا على رجال الحكومة دون الشعب ، إلا طبقة معينة من القوم لها ثقافة خاصة وحريصة على دوام الصلة بين الشطرين .

وعندما قبل البنغاليون التخلي للأوردية لتكون لغة الدولة الرسمية ، كان ذلك لكي يقيموا دولة إسلامية ، فإذا بالباكستان كغيرها من الدول وليس الإسلام هو العنصر المميز لها ، وبمعنى آخر فقدت مقوماتها الأصلية التي قامت على أساسها ، ولجأت إلى الغرب كغيرها تستمد منه دستور حياتها ، فأضاعت رأسمالها ، ولم تحصل على شيء أفضل – وما دامت القضية أصبحت قومية وليست فكرية دينية فليس هناك ما يبرر بقاء الجزئين .

أنظر قول محمد علي جناح عام 1367 هـ / 1947 م أمام المجلس التشريعي مخاطبا أبناء قومه : " إنكم سوف ترون مع مرور الزمن بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة ، و المسلمين لن يكونوا مسلمين ولست أقصد بذلك الناحية الدينية ، لأن العقيدة شيء شخصي ، وإنما أقصد القومية ، وأعني بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية ، بل ستكون دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون ، وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون " .

بل ذهب زعماء المسلمين إلى أبعد من ذلك فتنازل حزب الجامعة الشعبية الإسلامية في البنغال عن كلمة إسلامية ، وأصبح الحزب يسمى حزب الجامعة الشعبية فقط إرضاء للهنادكة

فانهارت بذلك أحلام المسلمين في الهند بعد أن تحركوا ونزحوا إلى باكستان في تحرك يشدهم بريق الفكرة الإسلامية التي طغت على كل شيء ، ولعلها كانت مدعاة لدعوة تحاول بها خلق وتجسيد فعلي لدولة إسلامية أكبر ، تضم شمل العالم الإسلامي . وبقيت معاناة المسلمين في الهند ومأساتهم في كشمير . واستمرت الهند تقلق حكومة باكستان تمثلت في حروب شنتها عليها عام 1948 م وعام 1965 م وأخيرا عام 1971 م . وفي الوقت نفسه عمدت الهندوكية إلى أساليب مختلفة لفصل باكستان الشرقية عن الغربية .ولتنفيذه استعان الهنادكة بالحزب الشيوعي ، وبحزب عوامي اليساري ، برئاسة الشيخ مجيب الرحمن . واغتنمت ظروف البلاد وعوامل الانفصال المتوتر فقامت بغزو البنغال عام 1971 م وانتهت الحرب بانفصال بنغلاديش عن باكستان ثم إعلان جمهورية بنغلاديش (التي تعرضت لانقلابات عسكرية متعددة .

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

محاضرة الثانية عشر

قضايا الأقليات المسلمة في آسيا
المسلمون في الاتحاد السوفيتي

المسلمون في الاتحاد السوفييتي

إن ما يسمى اليوم بالاتحاد السوفييتي هو أوسع بلاد العالم مساحة ، إذ تبلغ مساحته 22,4 مليون كم^2 أي سدس مساحة اليابسة موزعة على قارتي آسيا وأوروبا ، فهو يشمل ثلث مساحة قارة آسيا ونصف مساحة أوروبا .وأما روسيا الأصلية : فهي تلك المنطقة التي تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوربا والتي سكنها الشعب الروسي من الشعب السلافي وكانوا ثلاثة أقسام :

أ- الروس الكبار : وانتشروا حول موسكو وهي مركزهم .

ب- الاوكران : وانتشروا في الجنوب الغربي حول مدينة كييف حاضرتهم .ج- الروس البيض : وانتشروا في الغرب وحاضرتهم متسك .

ويتكون الإتحاد السوفييتي الحالي من خمس عشرة جمهورية فيها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها (وقد نالت هذه الدول الست استقلالها وأصبحت ذات سيادة ليست لها علاقة بالاتحاد السوفيتي ويضم البلدان التالية :

1- روسيا الأصلية وهي زعيمة الإتحاد والمتسلطة عليه .
2- سيبيريا وتتبع جمهورية روسيا .
3- بلاد حوض الفلغة .
4- شبه جزيرة القرم .
5- بلاد القفقاس .
6- تركستان الغربية .

وجميع هذه البلدان دخلها الإسلام ، وكونت جزءا من دار الإسلام بعضها من القرن الأول الهجري ، وبعضها بعد ذلك بكثير . وأما الأقاليم النصرانية التي شملها التوسع الروسي فضئيلة المساحة فقيرة الموارد وهي :

روسيا البيضاء ، وأوكرانيا ، وأستونيا ، ولاتفيا ، ولتوانيا، وملدافيا . وفيما يلي نبذة عن دخول الإسلام إلى هذه البلدان :

دخول الإسلام إلى روسيا الأوروبية وحوض الفلغة :

انتشر الإسلام في روسيا الأوروبية في فترتين زمنيتين :

1- على يد البلغار في القرن الرابع الهجري الذين اعتنقوا الإسلام على يد الدعاة والتجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية . وقد أرسل إليهم الخليفة المقتدر العباسي 295 – 320 هـ 908 – 932 م قائده

أحمد بن عباس ، ويعرف بابن فضلان ، ليقوم على تثبيتهم على الدين ، وتعليمهم مبادئ الإسلام وشعائره . ويعد ابن فضلان من أوائل الرحالة الجغرافيين المسلمين إلى تلك الديار ، وقد وصف تلك الرحلة بعد عودته وصفا دقيقا تعد من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا – وقد وصف الروس بأنهم : " أمة همجية ، شقر الشعور ، زرق العيون ، قباح الوجه ، أهل غدر ، وأقذر الأمم ، وأنهم أشر خلق الله – ضخام الأجسام ، مستهترون بالخمر يشربونها ليلا

ونهارا ، انهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ، ولا يغتسلون من جنابة " . وكذلك وصفهم من بعده : ابن رستة والمسعودي وابن بطوطة .

ولم يستطع البلغار جذب الروس الوثنيين إلى الإسلام ، لأنهم لم يقيموا مجتمعهم على أساس الإسلام فبقوا متأخرين . ولذلك اختار الروس بزعامة فلاديمير النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عام 1988 م .

على يد التتار : من القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي بن جنكيز خان ، وأسلم أميرها بركة خان (654 - 665 هـ) 1256 – 1267 م ، فأصبح حوض الفلغة بأكمله إسلاميا ، وحاضرته مدينة السرا على ضفاف الفلغة .وظهر من هذه الأسرة محمد أوزبك (713 – 741 هـ) 1313 – 1340 م الذي اشتهر بحماسه لنشر الإسلام بين الآهلين ، وامتدت دولته من شمال بحر آرال إلى مصب الفولغة مع امتداد إلى الغرب حتى بلاد القرم . فوطد أركان الإسلام في البلاد التي كانت تحت سلطانه ، ويقال إنه وضع خطة لنشر الإسلام في جميع أرجاء روسيا ولكنها لم تنجح ، وأظهر التسامح العجيب مع النصارى ورجال دينهم مالا شبيه له () . (إلا من مسلم طبعا) . يظهر ذلك في العهد الذي منحه للمطران بطرس عام 713 هـ / 1313 م ، الأمر الذي جعل البابا يوحنا الثاني .

والعشرون يرسل له عام 718 هـ / 1318 م يشكره على ما أظهر من عطف على رعاياه النصارى ، فبقيت النصرانية الدين القومي للشعب الروسي . ويؤدي الجزية للمسلمين .

وقد زار ابن بطوطة البلاد وذكر محمد أوزبك فقال عنه : " وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة ، كبير الشأن ، رفيع المكانة ، قاهر لأعداء الله ، أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم ، وبلاده متسعة ، ومدنه عظيمة منها الكفا ، والقرم ، والماجر ، وأوراق ، وسرداق ، وخوارزم . وحاضرته السرا ، وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها .

وكانت إمارتا موسكو وكييف النصرانيتين تدفعان الجزية للتتار المسلمين . وعلى ذلك فكان في روسيا ثلاث ديانات :الإسلام والنصرانية والوثنية .

تجزأت دولة التتار الواسعة وتحللت القبيلة الذهبية عام 813 هـ أي قبل فتح القسطنطينية بأقل من ربع قرن ، وظهر على أنقاضها في روسيا ثلاث دويلات هي : خانات القرم ، والقازان ، والاستراخان وأخذت المناطق الخاضعة تتمرد عليها بالانفصال ، فاستقلت إمارة موسكو ورفضت دفع الجزية عام 885 هـ / 1480 م ، وأسست دولة قوية بزعامة إيفان الثالث (867 هـ.

استطاعت الدولة البيزنطية التي وقفت في وجه الإسلام فترة طويلة أن تثير في الصقالبة الروس الروح الصليبية ، للانتقام من التتار المسلمين إخوان العثمانيين الذين هددوا بيزنطة ثم قضوا عليها نهائيا عام 1453 م / 857 هـ . فأعلن إيفان الثالث الحرب الصليبية واعتبر موسكو وارثة للإمبراطورية البيزنطية وتمكن من هزيمة أحمد خان سلطان قازان مستغلا انقسام مملكة بركة خان المغولي إلى ثلاث دويلات هي القرم وقازان واستراخان .

وقام البابا يحث فاسيلي الثالث أمير موسكو بإشعال حرب مقدسة ضد المسلمين ، ولكن فاسيلي ترك هذه المهمة لولده إيفان الرابع ، الذي سمي (بالرهيب) ، بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى بتوجيه البابا . وقام بغزو الأقاليم الإسلامية في روسيا فاحتل خانية قازان الإسلامية التي كانت مركزا لحضارة إسلامية عريقة زاهرة عام 960 هـ / 1552 م وضمها إلى دولته ، فكانت أول البلاد الإسلامية التي وقعت تحت براثن الاستعمار الروسي بعد ستين سنة من سقوط غرناطة في الأندلس . واتبعها في العام نفسه أرض الجوفاش وبلاد ماري وموردوف ، ثم دخل مدينة أوفا عاصمة بشكيريا عام 963 هـ / 1555 م ، كما احتل خانية إستراخان (الحاج طرخان) وضمها عام 965 هـ / 1557 م ، واستولى على بلاد الإدمورث عام 968 هـ / 1560 م.

ولا تزال آثار الماضي الإسلامي ماثلة في عدد من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي ، والتي ترتبط بمدينة موسكو وهي :

1- جمهورية باشكيريا :

حدى الجمهوريات السوفيتية ، تحكم ذاتيا ، وتقع في جنوب جبال الأورال ، وتنتسب إلى شعب الباشكير أحد الشعوب التركية ، وصلها الإسلام مبكرا في العصر العباسي الأول ، ويعتنقون جميعا الإسلام وأغلبهم أحناف، وقد قام الباشكير بدور هام في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة بسبب موقعهم المتوسط بين قارتي آسيا وأوربا . ومساحة هذه الجمهورية 143600 كم2 ، وعدد سكانها حوالي 4 ملايين نسمة عام 1402 هـ . 60 % منهم مسلمون ، رغم هجرة الكثير من الروس إليها بسبب غناها ، وتهجير الباشكير خارج ديارهم . وقد عمل الروس على زعزعة عقيدتهم فقاموا بعدة ثورات أشهرها عام 1187 هـ / 1773 م ، على إثر عدة قوانين ترغم السكان على التحول إلى النصرانية .

فقاوم الباشكير ونشطوا في الدعوة سرا وأسلمت على أيديهم بعض القبائل ، وبقيت الباشكير إسلامية فقد وجد فيها عام 1315 هـ 1555 مسجدا و 6220 مدرسة إسلامية ، وكانت صلاتها ببلاد الإسلام كبيرة فمنهم علم الدين الباشكيري نائب السلطان قلاوون في سوريا كما جند المماليك عددا منهم ، وظلوا على علاقة بالدولة العثمانية.

وأنشئت جمهورية باشكيريا في ظل الشيوعية عام 1338 هـ / 1919 م ، فدخل الباشكير المسلمون مرحلة جديدة من التحدي ، فهدم العديد من المساجد وألغيت المدارس الإسلامية ، فتحدوا ذلك وأصبحت أوفا عاصمتهم مركزا يلتقي فيه المسلمون في روسيا ، ومقرا للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الإتحاد السوفييتي ومسلمي سيبيريا منذ سنة 1363 هـ / 1943م.

2- جمهورية تتاريا :

إحدى الجمهوريات السوفيتية في حوض الفلغة شرقي روسيا الأوروبية على حدود باشكيريا .

وتبلغ مساحتها 68000 كم^2 ، وسكانها حوالي 4 ملايين نسمة ، وتزيد نسبة المسلمين فيها على 65 % على الرغم من كثرة الروس المستوطنين ، وتنتسب لشعب التتار المسلم الذين نقلوا الإسلام إلى شمال أوربا فوصلت الدعوة بجهودهم إلى روسيا الأوروبية وفنلندا وبولندة وشبه جزيرة إسكندنافيا عامة .

احتلها إيفان عام 960 هـ / 1552م وأجلى أهلها عن قازان العاصمة ليحل محلهم الروس ، ولكنهم تمسكوا بعقيدتهم وصمدوا لتحدي قياصرة روسيا طيلة أربعة قرون ، فضربوا مثلا رائعا في الصمود للتحديات والاعتزاز بالإسلام ، ولا يزال هذا الشعب رغم تشتته في أنحاء مختلفة يمثل الإسلام دين الأغلبية في جمهورية تتاريا رغم تهجير كثير من الروس إليها .

11

وقد كانت قازان العاصمة ذات جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين ، ومطابع تخصصت بطباعة المصاحف ، والكتب الدينية وكان فيها مدارس ومكتبات إسلامية ، وكان دورها الإسلامي يزيد على دور دمشق والقاهرة واستانبول ، وقد حافظت على طابعها هذا حتى بعد الثورة الشيوعية ، وكانت ترسل الدعاة إلى مختلف البلاد الخاضعة لروسيا القيصرية وخاصة إلى سيبريا ، وخاصة بعد قانون حرية التدين في روسيا 1323 هـ / 1905 م .

وبعد أن استولى السوفييت على الحكم واجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم ، فأغلقت المدارس الإسلامية ، ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان ، فواجهوا ذلك بالتحدي ، وقدموا العديد من الشهداء ، حتى أولئك الذين تعاونوا مع الشيوعيين في البداية مثل سلطان علي أوغلي (عالياف) الذي نادي بتوحيد المسلمين في روسيا في كيان دولة واحدة تتحد مع السوفييت.

ويعتبر النفط من أهم موارد جمهورية تتاريا ويستخرج من حوض كاما الذي أطلق عليه اسم : باكو الجديدة .

3- جمهورية الجوفاش (تشوفانيا) :

وتقع في حوض الفلغة غرب تتاريا . مساحتها 18300 كم^2 وعدد سكانها حوالي 1,5 مليون نسمة ، وصلها الإسلام عن طريق البلغار في القرن الرابع الهجري ، ثم عن طريق التتار والتجار المسلمين ، احتلها إيفان الرابع عام 960 هـ / 1553 م ، واتجهت إليها الإرساليات التبشيرية ودعمتها السلطة القيصرية ، وعُمّد جميع المسلمين بالعنف والإكراه وخاصة زمن الإمبراطورة حنة () . وعندما أعلنت حرية الأديان عام 1323 هـ أعلنوا جميعهم الإسلام .

أنشئت جمهوريتهم سنة 1344 هـ / 1925 م ، ومر المسلمون فيها بفترات من الاضطهاد والتشتت ، وتبلغ نسبتهم حاليا حوالي 58 % .

4- جمهورية إدمورث :

تشغل السفوح الغربية من جبال الآرال وانتشر الإسلام بين سكانها بجهور الباشكير والتتار ، ومساحتها 42100 كم^2 و60 % من سكانها مسلمون . احتلها الروس عام 968 هـ / 1560 م وحاولوا فصلهم عن جيرانهم المسلمين كي لا يتأثروا بهم ، وحرم عليهم بناء المساجد في قراهم . وأطلق عليهم الروس اسم الكلاب المختونين . ولما أعلنت حرية الأديان عام 1905 م ظهرت في قراهم الإسلامية المساجد ، وجاءت الشيوعية تتمم ما بدأته القيصرية وأعلنوا بها جمهورية سنة 1353 هـ / 1934 م .

5- جمهورية موردوف :

وتقع في الجنوب الغربي من الجوفاش تشوفانيا - في حوض الفلغة ، ومساحتها 26200 كم^2 ، وسكانها حوالي المليون نسمة وعاصمتها سارانسك ، ونسبة المسلمين فيها 55 % وصلها الإسلام عن طريق الدعاة من البلغار ثم التتار .

6-جمهورية ماري :

إحدى جمهوريات حوض الفلغة ، شمالي تتاريا والجوفاش . ومساحتها 23800 كم^2 ، وسكانها أقل من مليون نسمة 60 % مسلمون وعاصمتها ماري . وصلها الإسلام عن طريق الباشكير والتتار .

واحتلها الروس عام 960 هـ / 1553 م ، وأهملوها ، وساموا سكانها الاضطهاد . أعلنت جمهوريتهم في ظل الشيوعية سنة 1355 هـ / 1963 م .

7- جمهورية شكالوف (اورنبرج) :

في حوض نهر آرال ، وتبلغ مساحتها 23800 كم^2 ، ويقدر عدد سكانها 2 مليون نسمة ، ونسبة المسلمين 53 % ، وقد وصلها الإسلام عن طريق الدعاة والتجار من التتار والقوزاق ، وعاصمتها أورنبرح (شكالوف) ومن مدنها الهامة أورسك ، وكلتاهما تقعان على نهر آرال .

وتعد أورنبرج مدينة ذات ماضي إسلامي زاهر ، اشتهرت بالصناعة ، وبالكتب الدينية والتاريخية التي تبحث في تاريخ التتار . وقد عقد فيها المؤتمر الأول والثاني للقيرغيز (الكازاخ) سنة 1336 هـ / 1917 م .

8- شبه جزيرة القرم :

القرم شبه جزيرة تمتد من البر الأوروبي في البحر الأسود شرقي أوروبا ، ويربطها باليابس برزخ ضيق في مالها تمر عبره خطوط المواصلات . وتحيط بها مياه البحر الأسود من الجنوب والغرب . وتبلغ مساحتها 26150 كم^2 .وصلها الإسلام عن طريق التتار في عهد القبيلة الذهبية الذين استقروا في المنطقة عام 740 هـ / 1339 م () وكانوا قسما من دولة المغول ، وبعد انحلال دولة المغول كونت القرم دولة تحت حكم أسرة كيراي منذ سنة 836 هـ / 1427 م ،

وقويت ومدت نفوذها باسم الدولة العثمانية ، وبلغت قوتها أن إمارة موسكو دفعت لها الجزية السنوية في عهد السلطان محمد الفاتح .

كيراي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري ، بل هاجمت موسكو وانتقمت منها لما فعلته بالمسلمين التتار في البلاد الشرقية سنة 979 هـ / 1571 م . وحكموا مقاطعة الدونتز من روسيا الجنوبية ولكن الروس انتصروا عليهم ، وانتزعوا الأراضي الشمالية عام 1091 هـ / 1680 م ، وهذا ما جعل العثمانيين ينزلون إلى شبه الجزيرة واتخذوا لهم مراكز في جنوبها ، وتسلموا مضيق (كرش) .

جريدة عكاظ 12 ربيع الأول سنة 1401 هـ / يوسف ولي شاه اور الكيراي – كارثة القرم الإسلامية في الاتحاد السوفييتي 1950 م الخانجي . ولما أصاب العثمانيين الضعف قام الروس بغزو شبه الجزيرة سنة 1149 هـ / 1736 م و 1150 هـ / 1737 م و 1151 هـ / 1738 م ، واستولوا عليها نهائيا سنة 1192 هـ / 1783 م . وأصدرت الإمبراطورة كاترين الثانية مرسوما أعلنت فيه ضم الإمارة

المسلمون في سيبريا :

يطلق اسم سيبريا على كل الأراضي الواقعة بين أوربا في الغرب والمحيط الهادي في الشرق ، وبين التركستان والصين في الجنوب والمحيط المتجمد الشمالي في الشمال . فهو إقليم واسع المساحة يبلغ 12765000 كم^2 وهو بارد ومتجمد تبلغ درجة الحرارة فيها 50 درجة مئوية تحت الصفر ، وقد وصفها كثير ممن نفوا إليها : الحجيم البادر ، أو الزمهرير ، ويستخرج منها حاليا البترول والغاز الطبيعي والفحم الحجري ، بكميات كبيرة ، وهناك مناجم الذهب التي تحاول السلطات الشيوعية التكتم على هذه الثروة الصفراء . ورغم اتساعها هذا فليست لها جمهورية لها استقلال ذاتي كبعض الجمهوريات الأخرى ، بل هي إقليم يتبع جمهورية روسيا الاتحادية لتظل منفى لمعارضي السياسة الشيوعية وللمسلمين الذين نقلوا إليها قسرا .

كانت سيبريا جزءا من الدولة المغولية التي أسسها باطو بن جنكيز خان ، وصلها الإسلام بواسطة الدعاة من أهل بخارى ، وقازان الذين شقوا طريقهم إلى تلك البلاد وعاشوا مع أهلها . ولما اعتنق المغول الإسلام وتحمسوا له أصبحت سيبريا بلادا إسلامية . وكون فيها المسلمون إمارة عاصمتها سيبير (تحريف من صابري) تولى أمرها أحد أمراء القبيلة الذهبية عام 978 هـ / 1570 م . وقد بذل الخان قصارى جهده ليدخل رعاياه في الإسلام ، وأرسل في طلب الدعاة والعلماء من بخارى ليساعدوه في مهمته التي لقيت كثيرا من النجاح .

ولما زحف الروس شرقا تمكنوا من احتلال سيبريا الغربية ، ودخلوا سيبير عامة كوتشم خان عام 988 هـ / 1580 م ، وقد رفض الخان الاستسلام ، عندما عرض عليه الروس بعد أن انهار جيشه أن يقبل الاحتلال الروسي ويعيش ملكا تابعا لهم .

وعلى الرغم مما لقيه المسلمون على أيدي الروس من اضطهاد فقد توالى قدوم الدعاة إلى سيبريا من بلاد ما وراء النهر وخاصة بخارى ومن قازان . فنشروا الإسلام بين قبائل التتار الضاربة بين نهري أوبي ورافده نهر أرتيش والتي يطلق عيلها إسم باريا عام 1158 هـ / 1745 م . فعمها الإسلام ، وأنشأ شعراؤهم قصائد تضم قواعد الإسلام وتحكي بطولات عظماء المسلمين الفاتحين المسلمون تحت السيطرة الشيوعية.

وقد قامت بعض الحركات الإسلامية في سيبريا منها ثورة عام 1186 هـ / 1773 م التي اضطرت القياصرة الروس لإرسال جيوش ضخمة لإخضاعها . وهناك مصدر آخر للدعوة الإسلامية في سيبريا تمثل الجماعات المسلمة الذين

نفاهم الروس القياصرة أو السوفيت ، فلقد نقلوا مثلا الكثير من تتار القرم وحوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفا من مسلمي آسيا الوسطى إلى سيبريا فدعم ذلك الإسلام .

المسلمون في بلاد القفقاس :

قفقاسيا هي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر الخزر شاملة جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية التي تعد الحد الفاصل بين أوربا وآسيا ، وقد ضمت هذه المنطقة مزيجا من الشعوب انصهرت فيما بينها واحتفظت الجماعات الحربية التي تحصنت بالجبال بلغتها وعاداتها وحافظت على كيانها وعرفت بالشجاعة والإقدام والقوة .

وقد قامت في هذه الجبال حكومات محلية مثل حكومة القوشحة وسط المرتفعات عرفت في المصادر باسم حكومة اللان ، كما أسس الداغستان دولة في السفوح الشرقية للجبال أسماها المسلمون حكومة السرير ، كما أطلق المسلمون على الجبال اسم القبق والقبج والقبجوق والقفجاق منذ عهد الخلفاء الراشدين .

المسلمون في التركستان الغربية :

وهي بلاد ما وراء النهر الواقعة في حوض نهر أمودايا (جيحون) وسيرداريا (سيحون) في أواسط آسيا ، ومساحتها حوالي 4 ملايين كم^2 ، ويسكنها حوالي 45 مليون نسمة ، من القبائل التركية : القازاق والأوزبك والتركمان والقيرغيز والطادجيك ، وجاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون المنطقة ويستثمرون خيراتها ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها . وتسعة أعشار السكان من الأتراك المسلمين ومعظمهم من أهل السنة ، وبينهم ثلاثة ملايين شيعي يعيش أغلبهم في طاجيكستان ، كما يوجد حوالي 100 ألف إسماعيلي في هضبة بامير أتباع أغاخان ولهم اتصال بالهند .وقد دخل الإسلام هذه البلاد عن طريق الفتح والجهاد وأصبحت جزءا من ديار الإسلام إلى اليوم ، وأسهمت في مد الإسلام وفي الإنتاج الفكري الإسلامي .

وعندما تولى قتيبة بن مسلم الباهلي أمر خراسان سنة 88 هـ دخلت فتوح المسلمين في بلاد ما وراء النهر مرحلة جديدة وصلت فيها إلى الاستقرار ، فثبتت راية الإسلام في طخارستان وبخارى وحوض جيحون والصغد وولايات سيحون وسمرقند وطشقند . وبنى أول مسجد في بخارى عام 94 هـ وتعد منارته من أهم الآثار الإسلامية الآن . وتأصل الإسلام وتجذر بفعل العلماء والدعاة ، وأصبحت البلاد تقوم بالدعوة إلى الإسلام ، وظهر فيها أئمة علماء الحديث كالبخاري والنسائي والترمذي والبيهقي ، كما ظهر فيها الإمام الطبري والزمخشري والنسفي من المفسرين ، وظهر منهم أئمة التأليف في البلاغة وإعجاز القرآن كالشيخ عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي ، وأئمة الفلسفة مثل الفارابي والرئيس ابن سيناء ، وعلماء في الرياضيات والفلك ومنهم خالد بن عبد الملك مدير مرصد المأمون ، والجغرافي أبو زيد البلخي ، وغيرهم من العلماء.

سياسة روسيا القيصرية في بلاد الإسلام :

نشأت روسيا القيصرية نشأة استعمارية استيطانية صليبية تهدف الخروج من بلادها الباردة والوصول إلى البحار الدافئة : البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الهندي . وقد سارت في هذه السياسة ببطء ودون تراجع ، واعتبرت نفسها وريثة القسطنطينية ونصبت نفسها حامية للمذهب الأرثوذكسي ، فأعلنت حربا صليبية سافرة وباركها البابا ، ومهما اختلفت هذه السياسة فإنها انصبت على محاربة الإسلام والمسلمين ، تلك السياسة التي افتتحها إيفان الرهيب حتى قيام الثورة الشيوعية عام 1336 هـ / 1917 م . ويمكن إجمالها في ما يلي :

1- العمل على تنصير المسلمين بالإكراه :

وخاصة في روسيا الأوروبية فكان إيفان الرابع يطلب من الأمراء المسلمين في حوض الفلغة إما أن يرتدوا إلى النصرانية أو الطرد والتصفية .

2- التهجير والإبادة :

وقد تفنن القياصرة في أساليب تهجير المسلمين من مواطنهم بالتضييق عليهم بمختلف الوسائل ، فصادروا الأوقاف الإسلامية وطردوا علماء الدين من المدن وهدمت المساجد فقد هدم الروس 1738 – 1755 م 418 مسجدا من 536 مسجدا في قازان وحدها . وأغلقوا المدارس القرآنية في روسيا الأوروبية كلها ، وأثقلوا المسلمين بالضرائب الباهظة وأجبروا على ممارسة أخس الوظائف وكان المسلم الذي يدعو للإسلام حتى بين إخوته المسلمين يحكم عليه بالإعدام وخاصة في عهد الإمبراطورة (حنه) (1738 – 1755 م 1151 – 1169 هـ) وهذه تشبه سياسة ملوك إسبانيا إزاء المسلمين فيها . وهذا جعل هجرات المسلمين تتوالى ، كما أسهمت ثلاثة عوامل أخرى على التهجير وهي :

أ- سياسة الترويس وخاصة تلك التي اتبعها نيقولا الثاني فاضطر خمسون ألف تتري مسلم إلى الهجرة إلى تركيا ومنذ اندلاع الحرب العالمية الأولى.

ب- سياسة فرض أعمال السخرة وخاصة في الحرب العالمية الأولى فقد فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن التاسعة عشرة إلى سن الثالثة والأربعين القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية وجماعة المرتدين (كرياشن) حيث طرد المسلمون إلى أماكن نائية ، فكان سيل الهجرة لا ينقطع من روسيا الأوروبية ثم القرم والقفقاس والتركستان .

ج- كان الروس يصفون جسديا الأمراء والطبقات الواعية التي تأبى الذل والخضوع كما حصل لخيوه عندما قاومت الغزو الروسي وفي كثير من مناطق قازان ، وطرخان والقفقاس والقرم .

3- الاستيطان الروسي في بلاد الإسلام :

فقد صادرت روسيا أراضي المسلمين الخصبة في حوض الفلغة ومنحوها للنبلاء الروس ثم بعد ذلك للفلاحين القادمين من وسط روسيا والفارين من العبودية

ويعتبر عهد كاترين 1176 – 1211 هـ / 1762 – 1796 م من أكبر عهود القيصرية الروسية تسامحا مع المسلمين فقد منحتهم حق بناء المساجد والمدارس ، ومنع التنصير بالقوة كما منع اختطاف الأطفال وفصلهم عن أهاليهم بالقوة ، فشهد عهدها عودة التتار الذين أجبروا على التنصير إلى الإسلام ، وتحول كثير من القبائل الوثنية والنصرانية إلى الإسلام . ورغم هذا فقد ألحقت شبه جزيرة القرم بالإمبراطورية الروسية ، وصادرت أخصب أراضيها الصالحة للزراعة ووزعتها على عشاقها المفضلين ، (بونمكين وبولجاكون وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني) فتدفقت أفواج المهاجرين الروس والأوروبيين على شبه الجزيرة ، وطرد المسلمون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة . فكانت هجراتهم الجماعية إلى تركيا .

4- سياسة الترويس :

عمل الروس على فرض لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربي وحولوه إلى الحرف الكيريلي الروسي . وساعدهم على ذلك جماعة المرتدين عن الإسلام (كرياشن) باعتبار القومية الروسية مرتبطة بالمذهب الأرثوذكسي . وفي عهد (إسكندر الثاني) أخذت الحملة على الإسلام طرقا مرنة وأكثر فاعلية في اجتذاب المسلمين بالدعاية فقد وضع المبشر الأرثوذكسي (نيقولا المنسكي) سنة 1280 هـ / 1863 م سياسة تعليمية جديدة بإنشاء دار للمعلمين خاصة بالتتار المتنصرين تدرس فيها العلوم باللغة التترية ، وترمي هذه المدرسة إلى تنشئة نخبة مثقفة بالثقافة الأوروبية تؤخذ من

المرتدين فقط على أن يقوموا بعد ذلك من دون أن يقطعوا صلتهم بماضيهم بأعمال التبشير لدى إخوانهم الذين ظلوا مسلمين . وقام المبشرون من جهتهم بحملة شديدة على الإسلام تساعدهم منظمات أرثوذكسية متعددة .

5- العمل على إثارة القوميات والقبليات :

" سياسة فرق تسد " التي برع فيها المستعمرون جميعا . ورغم أن هذه السياسة مناهضة لسياسة الترويس فقد ركز عليها الروس في المناطق الإسلامية ، فعملوا على عزل تركستان عزلا تاما عن تأثير الحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية فكتب الجنرال (كاوخمان) أول حاكم روسي على تركستان يقول : " على آسيا الوسطى أن تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى الأمر الذي لا بد أن يمنع في هذا الإقليم أي إمكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين " [ ]. لذا فقد بذلت الإدارة الروسية جهدها ليظل المسلمون في حالة تأخر فدعمت العادات المنحرفة عن الإسلام ، ودعمت الجامدين للوقوف في وجه المصلحين من العلماء ، وشجعت المدارس القرآنية ذات الطابع التقليدي القديم وأبعدوها عن كل تأثير عصري .

واقف المسلمين من روسيا القيصرية :

قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة أهمها ثورة الباشكير سنة 1187 هـ وثورة أنديجان في تركستان سنة 1897 م المتأثرة بالوهابية السلفية الداعية للجهاد .ولكنها فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية ، وتحت الضغط الشديد وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحيانا وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الأحيان ، كانت جماعات كثيرة توافق البعثات التبشيرية وتقبل الانتساب للنصرانية ظاهرا وعلى المذهب الأرثوذكسي ، فتسجل في عداد النصارى وتتم عملية التعميد ، حتى ظنت الكنيسة الأرثوذكسية بعد مدة طويلة أن الأمر قد تم لها حسب ما تريد ، وأنه لم يعد هناك خوف من انتشار الإسلام ، وأبلغت ذلك إلى القيصرية .

فقامت روسيا بتصفية جميع الجمعيات الإسلامية التي تكونت مثل حركة الاتفاق الإسلامي ، وحركة بيريك ، وحركة تانغ تشيلا ، وحركة ملي فرقة . وألغت روسيا الحرية الدينية ، ولكن المسلمين واصلوا انتعاشهم . فرغم ظروفهم السيئة فقد حافظوا على إسلامهم ولغاتهم ، بل وظهرت نهضة ثقافية فانتشرت المدارس والمساجد في المناطق التتارية . ففي مدينة أوفا عاصمة بشكيريا كان بها 1555 مسجدا و6220 مدرسة عام 1315 هـ / 1897 م ، ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة إسلامية تضم سبعة آلاف طالب ومطبعة إسلامية طبعت وحدها 2,5 مليون نسخة من 250 كتابا ، بالإضافة إلى وجود مكتبة إسلامية يزورها عشرون ألف قارئ في السنة ، كما وجد فيها 700 مسجدا وكما يقول بنجسن ولومرسييه .

سياسة روسيا الشيوعية في بلاد الإسلام :

نشط المسلمون نشاطا ملحوظا في الحرب العالمية الأولى واعتبروها فرصة للاستقلال ، ولذلك أيدوا الحركة الاشتراكية الشيوعية التي أطاحت بالقيصرية الروسية عام 1917 م / 1335 هـ بزعامة لينين .

بدأ لينين سياسته في روسيا بإطلاق حرية الأقليات التي اضطهدها القياصرة كجزء من سياسة تجميع القوى ، وكسب التأييد للحزب الشيوعي الحاكم ، وأصدر وعودا مبهمة لهذه الأقليات [ ]، رأى فيها المسلمون وعودا غير مشروطة بالانفصال عن روسيا . كما وجه لينين ، وستالين (الذي كان مفوضا لشئون القوميات بعد نجاح الثورة نداء إلى جميع المسلمين في روسيا سنة 1917 م .

واتبعت الشيوعية أسلوب التهجير من المناطق الإسلامية وإليها لإضعاف شأن الأغلبية المسلمة وليصبحوا أقلية في عقر دارهم .

كما عمد الشيوعيون لأساليب الإبادة ، فأباد الشيوعيون خلال خمسين عاما 20 مليون مسلم ، وقد ثبت بالإحصاءات الروسية أن ستالين وحده قتل 11 مليونا (ويكفي أن نذكر النماذج التالية من عمليات الإبادة التي مارسها الروس والنفي إلى مجاهل سيبريا :

ففي عام 1362 هـ / 1944 م أصدر ستالين أمره بسبي جميع السكان في الشاشان ونفيهم إلى سيبريا ، وألغى جمهوريتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجية .

ونفى من قبل الشعوب الإسلامية من القرم وأنغوشيا ، وشعوب القابرديار والبلكار ، واستقدم الألوف المؤلفة من السلاف والأوكران والروس وشحن بهم أذربيجان ، وتركستان والقرم .

وعمد الشيوعيون إلى أسلوب السخرة لإذلال المسلمين وهو نظام يتيح للدولة تجنيد الألوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح في كل شيء دون مقابل ، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تواري ما تيسر من الجسم

طلع غورباتشوف على العالم ببرنامجه (البروسترويكا) بين فيه قصور وعجز النظام الماركسي ، وأوضح فيه عزمه على إحداث ثورة حقيقية في بلاده في جميع المجالات ، وشرع في إحلال نظم وأساليب وممارسات جديدة في العمل والإدارة والتربية والسياسة والإقتصاد والإعلام في الاتحاد السوفييتي . وأطاح برؤوس الماركسيين من النظام السابق مثل جروميكو وأبعد 69 % من وزراء الاتحاد . وأعلن الإنفتاح ، فأخذت الماركسية تتهاوى ، بدءا بملكية وسائل الإنتاج للدولة وتحريم ملكيتها على الفرد حيث أعطى قانون القطاع الخاص الجديد الفرد حق إنشاء مشروع خاص وحق إنشاء مشروع خاص وحق إنشاء تعاونيات بين مجموعة من الأسر . وألغى النظام الزراعي الجماعي الذي أسسه ستالين بعد أن بان فشله ووضح . وهذا يثبت عجز النظريات البشرية وقصورها مع ما حاول أصحابها من وضع الهالات عليها . وثبات القوانين الإلهية . فإلى دور الإسلام !

وعلى كل فالمستقبل للإسلام إن شاء الله . فعدد المسلمين في الإتحاد السوفييتي كبير ، ويمكن أن يصل عام 2000 م إلى ثلث عدد سكان الإتحاد وهو أمر تخافه السلطات السوفييتية وتعمل على تطويق مضاعفاته . وقد وصل عددهم عام 1985 م / 1405 هـ إلى 65 مليون نسمة . والخطر الحقيقي على الشيوعية منبعه الولاء الذي يكنه المسلمون لإخوانهم في خارج الإتحاد السوفييتي واعتبار أنفسهم جزءا من العالم الإسلامي الكبير ومن (الأمة الإسلامية) رغم ما أصاب النشء من انحراف وبعد عن مبادئ الإسلام السمحة وعن ثقافة الإسلام وينابيعه ، فهم ينظرون إلى الروس المستوطنين بينهم نظرتهم إلى أجانب أوربيين مستعمرين . ثم وجود فكرة الجهاد التي تظهر بين الحين والآخر.

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الثالثة عشر

المسلمون في الصين

الصين دولة كبيرة متسعة في شرق آسيا ، تزيد مساحتها عن 9561000 كم2 أي تزيد على خمس قارة آسيا ، ويصل عدد سكانها اليوم إلى حوالي مليار نسمة ، ونسبة المسلمين إلى أكثر من 10 % . فهي ثانية دول العالم مساحة ، والأولى سكانا . وتضم أنهارا كبرى يتكاثف على ضفافها السكان مثل هوانغ هو في الشمال ، ويان سي كيانغ في الوسط ، وسيكيانغ في الجنوب وتتكون من مجموعات من العناصر ، وتتعدد بها اللغات ، وقد سادت لغة مندرين في الآونة الأخيرة ، وأصبح يتحدثها أكثر من نصف السكان ، ويعيش أكثر من 5 % من السكان فوق مساحة تقل عن 30 % من أراضي الصين .

الأقاليم الإسلامية في الصين فهي :

أولا : التركستان الشرقية : والتركستان موطن الترك الأصلي ، بلاد واسعة في وسط آسيا ، تشكل جزءا كبيرا من ديار الإسلام ، تقاسمتها الصين وروسيا ، فأخذ الروس قسمها الغربي وعرف بالتركستان الغربية ، في حين أخذت الصين قسمها الشرقي وعرف بالتركستان الشرقية ، ويسميها الصينيون حاليا سينكيانغ ، أي المقاطعة الجديدة ، ومساحتها 1710745 كم2 تشكل صحراء تاكلامان منها 647220 كم2 ، وهي أكثر صحارى العالم جفافا ، وتنعدم فياه الأمطار تقريبا ، ويختفي النبات وتستحيل الحياة عدا ما كان في بعض الواحات عند مخارج الأودية . ويجري فيها نهر تاريم الذي يبلغ طوله 1500 كم وتسمح غزارة مياهه باجتياز هذه الصحراء . ويتشكل هذا النهر من ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال .

ويقدر عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، 95 % منهم مسلمون والباقي من الصينيين البوذيين ، والروس النصارى ، وأشهر مدنها :

أ- أورومجي وهي العاصمة ونسمى اليوم (تيهوا) .

ب- كاشغر التي فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي عام 96 هـ وتسمى اليوم (شوفو) .

ج- يارقند – وتسمى حاليا (سوجي) .

وقد تغيرت أسماء المدن بعد الحكم الشيوعي في الصين لقطع الحاضر عن الماضي ، وعد تاريخ المنطقة بدءا من تطبيق النظام الشيوعي عليها ، ونسب إلى الماضي كل صفات السوء من جهل وفساد واختلال لنظام الأمن وانتشار الخرافات والعقائد الباطلة التي صنعتها البرجوازية وأطلق عليها اسم الدين .

وبلاد التركستان الإسلامية تربي الأغنام والماعز والياك في السفوح الجبلية ، والأبقار في الواحات ، والجمال ذات السنامين في قلب الصحراء ، وتدل الدراسات الجيولوجية – على قلتها – على وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري والنفط واليورانيوم والرصاص وغيرها من المعادن الهامة . كما أنها ذات موقع تجاري ، وفيها ممرات وطرق عالمية خاصة في حوض زونغارية ، أشهرها طريق الحرير وبوابة زونغارية .

وشهدت البلاد عدة انتفاضات إسلامية للتخلص من الحكم الصيني كما سيأتي .

ثانيا : كانسو : وهي متممة للعالم الإسلامي ، تجاور التركستان الشرقية ومساحتها 376000 كم2 ، وسكانها 13 مليون نسمة 80 % منهم مسلمون ، وعاصمتها مدينة لان تشو ، وتسى اليوم كاولان .

وقد فصلت عن كانسو مدينتان هما : هوتشيو وسينينج وضمتا إلى التبت في محاولة لتجزئة المناطق الإسلامية وإذابة بعضهم في مجتمعات يغلب فيها غير المسلمين .

والمسلمون في ولاية كانسو هم الأويجر المغول أحفاد جنكيز خان ، ويسميهم الصينيون هواي هو ، أما هم فيؤثرون إسم كياومن أي أهل الدين .

ثالثا : نينج هسيا : وكانت في الأصل جزءا من ولاية كانسو ، ومساحتها 66500 كم2 . وعدد سكانها 2 مليون نسمة 75 % منهم مسلمون ، وتكثر فيها المساجد .

رابعا : ستشوان : وهي تجاور ولاية كانسو ، وقد فصل جزء من الأخيرة . وضم إلى هذه الولاية فأصبح عدد المسلمين حوالي 5 ملايين يكونون 8 % من سكان الولاية فقط .

خامسا : يونان : وهي ولاية جبلية تبلغ مساحتها 437000 كم2 ، ويزيد عدد المسلمين فيها على السبعة ملايين الذي يقدرون به ، إذ يخفي المسلمون هناك أنفسهم وعددهم الحقيقي ، خوفا من السلطات الحاكمة ويعرفون باسم بانطي ، وما فتئوا يحرمون الأفيون فيما بينهم . وأشهر المدن : يونان حاضرة الولاية وتسمى اليوم كون مينج .

سادسا : شي : ومساحتها 196000 كم2 وسكانها 21 مليون نسمة يشكل المسلمون حوالي 40 % منهم وأهم مراكز تجمع المسلمين مدينة سنجان وكان فيها سبعة مساجد .

سابعا : شانسى : ومساحتها 157000 كم2 وعدد سكانها 18 مليون نسمة ، يشكل المسلمون فيها 20 % وهم داخل المدن الكبرى .

دخول الإسلام إلى الصين وانتشاره :

وصل الإسلام إلى الصين بالطرق التالية :

أولا : طريق الفتح والجهاد :

بلغت الجيوش الإسلامية أطراف الصين عبر الطرق البرية إبان خلافة الوليد بن عبد الملك (86 – 96 هـ) وأرسل الحجاج بن يوسف والي العراق آنذاك قتيبة بن مسلم الباهلي على رأس جيش إسلامي كبير ، خرج من سمرقند سنة 93 هـ / 711 م ، ودخل كاشغر سنة 96 هـ / 714 م في التركستان الشرقية ، التي أصبحت من ديار الإسلام ، وهناك بعث إمبراطور الصين إلى قتيبة يسأله عن حاجته ، فأرسل قتيبة عشرة رجال يخيره بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب . فقال لهم الإمبراطور : قولوا لقتيبة ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه .

واختار إمبراطور الصين الموادعة ، دفع إتاوة للمسلمين ، وبذلك بدأت الدعوة تتسرب إلى الصين من جهة التركستان الشرقية بالدعاة والتجارة وعرف هذا بطريق الحرير . كما أن للجوار أثر في تسرب الدعوة في غربي بلاد الصين . وحينما حاول الصينيون اغتنام الفرصة عندما انتقلت الخلافة إلى البيت العباسي فهاجموا تركستان الإسلامية فهزمهم المسلمون سنة 134 هـ / 751 م ، وبقيت البلاد التركستانية في دائرة الإسلام وديار

ثانيا : عن طريق الجند المسلمين الذين استقروا فى الصين :

فقد طلب الإمبراطور الصيني (تان سوتشونغ) من أسرة تانغ نجدة المسلمين ضد أحد الثوار فأرسل له أبو جعفر المنصور الجند حوالي 139 هـ / 756 م ، وأعاد الإمبراطور إلى ملكه بعد أن كاد أن يذهب من يده ، واستقر هؤلاء الجند وتزوجوا من صينيات وتولدت منهم طبقة خاصة كانت نواة للمسلمين داخل الصين. أي في العاصمة تشانغ آن) .

ثالثا : عن طريق التجارة والدعاة فى المناطق الساحلية :

قبض المسلمون على ناصية التجارة الدولية في الشرق والغرب وخاصة في القرن الثالث والرابع الهجريين . فوصلوا موانئ الصين التجارية وخاصة كانتون (خانفوا) أو (الخنساء) في القرن الأول الهجري ، وعرف أول مسجد هناك بالمسجد ذي المنارة ، وآموي وشانغهاى وغيرها من المدن وتوغلوا من الساحل إلى الداخل حتى وصلوا (تشوان تشو) و (بانغ تشو) و (هانغ تشو) من المدن الداخلية على نهر اليانسيكيانغ .وأما الذين قطعوا الجبال والأودية ووصلوا الصين عن طريق آسيا الوسطى (تركستان) فقد ألقوا عصاهم في (تشانغ آن) عاصمة الصين القديمة . وكانت التجارة وسيلة مهمة لنشر الدعوة الإسلامية فكان التاجر نفسه داعية أو يسير الداعية في ركاب التاجر . وكون المسلمون من العرب والإيرانيين مستوطنات تجارية في هذه المدن كان يطلق عليهم أهل الصين هوي هوي أو خوي .

رابعا : عن طريق الدعوة فى المناطق الداخلية :

تذكر الروايات الصينية أن ملك الصين وهو الثاني من أسرة تانغ أرسل وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه بعثة لنشر الإسلام في الصين ، فأجابه إلى طلبه وبعث ثلاثة من الصحابة توفي اثنان في الطريق ووصل الثالث ، فأكرمه وأحسن ضيافته وبنى له مسجدا في العاصمة ، وتبعا لهذه الرواية وروايات أخرى غيرها يكون الإسلام قد وصل الصين عن طريق الدعاة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . كما يذكر مؤلف التاريخ الصيني في جامعة بكينغ أن أول وفد من الدولة الإسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام 651 م زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وتتابعت الوفود الإسلامية إلى الصين فبلغت من سنة 31 هـ - 184 هـ 28 بعثة ، كما بلغت حتى سنة 604 هـ حوالي 76 وفدا . وكان ملوك الصين يحترمون هذه الوفود ويقدرون الدعاة .

خامسا : عن طريق تولى بعض المسلمين حكم الولايات :

كان ملوك الصين يحبون المسلمين ، لما ظهر منهم من الأمانة والذكاء والولاء والشجاعة والعزيمة . فيشملونهم بالعناية والرعاية فظهر من المسلمين قادة وأمراء أشهرهم :

أ- شمس الدين عمر (واسمه الصيني هسين يانغ) المشهور بالسيد الأجل . ولاه الإمبراطور الصيني أوغوناي (628 – 640 هـ / 1230 – 1242 م) ثلاث ولايات هي : فونغ وتسينغ ويون ياي ، ثم استدعاه إلى بكين وعهد إليه بمنصب عال . ولما تولى السلطان نانغو (649 – 658 هـ / 1251 – 1259 م) عهد إليه بإدارة ست نظارات ، ثم جعله مديرا عاما لمقاطعة يان كينغ ، فأحسن الإدارة ، فعهد إليه بنظارة الإستخبارات . فلما تولى السلطان قوبيلاي أعطاه رتبة الوزارة ، وجعله عضوا في مجلس أمانة السر الأعلى .

ثم ولاه يونان سنة 673 هـ / 1274 م ، وكانت في غاية الانحطاط والبلاد خرابا فنشر العلم وبنى المدارس واعتنى بتهذيب ألأخلاق وعمارة الأرضيين ، فمهد الطرق وبنى المعابر والجسور والسدود وأزال المغارم والمظالم وأبطل السخرة وشيد ملاجئ للأيتام والعجزة ، وخفف المكوس وحفر الآبار وأقام الأسواق ، وعمر المساجد للمسلمين والمعابد للكونفوشيوسيين ، وضمت ولايته عشرين مقاطعة، ساد فيها العدل وفاضت الخيرات وعمرت البلاد وصار يقال هنيئا لبلاد يونان . وتوفي السيد الأجل سنة 678 هـ / 1279 م ، فبكاه أهل يونان كما يبكي الأولاد أباهم ، وحكم أولاده

وأحفاده المقاطعة حتى مطلع القرن العشرين ، وقلدوه في توطيد دعائم الدين الإسلامي في الصين ، وحصل أحد أحفاده سنة 736 هـ / 1335 م على اعتراف من الإمبراطور بأن الإسلام هو الدين الحق الخالص . وظل الإسلام يحتفظ بهذا الوصف حتى قيام الثورة الشيوعية هناك .

ب- القائد جين هو : (تشنج هو) : وهو مسلم صيني من ولاية يونان ، أرسله إمبراطور الصين حوالي سنة 861 هـ / 1456 م قائدا لأساطيل الصين المؤلفة من 37 ألف بحار إلى جزائر الهند الشرقية وسيلان وسواحل الهند الجنوبية والعراق وسواحل جزيرة العرب وساحل إفريقية الشرقية . وفي إحدى رحلاته وصل مالندي في شرق إفريقيا وكان أحد الدعاة . أسلم على يديه الكثير من الصينيين .

سادسا : عن طريق إسلام الأويغور :

وهم قبيلة جنكيز خان المغولية – في مقاطعة كانسو ومنغوليا وما جاورها أي في القطاع الشرقي والشمالي من الصين .

المسلمون في الصين تحت حكم الأسر المتعاقبة :

اكتسب المسلمون ثقة الملوك الصينيين والشعب الصيني ، لما كانوا يتمتعون به من خلق وأمانة ونظافة واستقامة ، فنالوا الإعجاب والمودة ، وعاشوا في الصين حوالي الألف عام دون منغص . وهذه رحلة موجزة تبين أوضاعهم :

1- أسرة تانغ : وعاصرت هذه الأسرة بداية الدعوة الإسلامية والعهد الأموي والعباسي ، وانتهى حكمها سنة 295 هـ / 907 م : وتبادلت البعثات مع المسلمين فوصلت بين 31 – 184 هـ / 28 بعثة منها 16 بعثة أطلق عليها الصينيون (التاشي) أو (شي تاشي) وأضيفت إليها عبارة أصحاب الملابس البيضاء وهي إشارة إلى البعثات في عهد الأسرة الأموية ، وأهمها البعثة في عهد سليمان بن عبد الملك عام 98 هـ / 716 م

و12 بعثة أطلقوا على أصحابها اسم (التاشي) أو (تشي تاشي) أي أصحاب الملابس السوداء ، وهذا يعني أنها كانت في العصر العباسي. كما استقرت بعض الجماعات المسلمة من التجار والعلماء على ساحل الصين الجنوبي في منطقة خوان فو (كانتون حاليا) أو الخنساء .

ووصل المسلمون إلى عاصمة الصين تشانغ آن ، وأخذوا ينتشرون في مناطق متعددة . وقد زار ابن وهب الصين سنة 259 هـ وكتب عن أحوال المسلمين بها واهتم حكام هذه الأسرة برعاية المسلمين واحترامهم . فقد نقل القلقشندى عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي وكان من السفار ومن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقه وجاس خلاله .

2- أسرة سيونغ 295 – 678 هـ / 1279 م : في عهد هذه الأسرة بلغت قوة المسلمين ونفوذهم حدا جعل حكام تلك الأسرة يقرون المسلمين على من يختارون من ولاة المسلمين عليهم ، وأصبحت لهم حقوق وامتيازات خاصة ، فتولوا المناصب التي تتطلب أمانة كبيرة ، ومن ذلك أنه عندما استحدث منصب مدير عام الملاحة في مدينة كانتون كان هذا المنصب قاصرا على المسلمين وحدهم . ولكنهم بقوا في عزلة عن الصينيين ، شيدوا لهم أحياء خاصة في كل مدينة كبيرة وميناء بحري ، وأسست لهم مساجد ومدارس خاصة . وأدى نشاط المسلمين التجاري إلى إنعاش الاقتصاد الصيني ، فتمتعت جاليات المسلمين بتأثير كبير في المجتمع الصيني . وازدهرت كانتون وتشوان شو كمنطقتين إسلاميتين ومن أشهر الآثار الإسلامية بهما مسجد ذكرى النبي صلى الله عليه وسلم في كانتون ، ومسجد الطاهر في تشوان شو .

ومسجد الطاهر في تشوان شو ، وفيه حجر مكتوب فيه إسم مؤسسه ، وهو تاجر عربي يدعى عجيب مظهر الدين ، وقدم إلى هذه المدينة سنة 515 هـ .

وظهرت جاليات إسلامية في مدينة هانغ شو ، وزار ابن بطوطة هذه المدينة ، ووصفها ووصف أحوال المسلمين بها ، كما انتشر الإسلام في منطقة يانغ تشو ، ووجدت جاليات إسلامية في تشانغ آن ، وكانت للمسلمين مدارسهم ومساجدهم وأنشطتهم برعاية هذه الأسرة .

3- أسرة يوان 679 – 770 هـ / 1368 م : وهي الأسرة التي أسسها جنكيز خان المغولي ، الذي احتلت جيوشه الصين ومعظم بلدان الإسلام . وبعد وفاته كانت الصين من نصيب (قبلاي خان) الذي لقب (يوان سي تسو) وأبنائه من بعده . وقد انتشر الإسلام بين المغول فأسلم الأويغور ، وكان ملوك هذه الأسرة لا يثقون إلا بالمسلمين .

فسهل بذلك انتشار الإسلام بين الصينيين أنفسهم ، وأصبح للمسلمين نفوذ كبير ، فظهر منهم السيد الأجل السالف الذكر وأبناؤه وأحفاده الذين تولوا مناصب مهمة في الدولة . وبرز حسن يوجينغ نائب رئيس الوزراء ، وشاه يوجينغ نائب ثان لرئيس الوزراء ، وبدر الدين يوجينغ نائب ثان ، وظهير الدين () ، والعديد من المسلمين حتى وصل عددهم إلى ثلاثين شخصا كانوا يحتلون مراكز القادة والوزراء في البلاط الملكي . فيذكر المؤرخ الفارسي رشيد الركن في كتابه جامع التواريخ : " إن في عهد دولة قبلاي خان المغولية كانت الصين مقسمة إلى اثنتي عشر مقاطعة على رأس كل مقاطعة وال ونائب له . فكان ثمانية من هؤلاء الولاة مسلمين . وكذلك كان نواب المقاطعات الأربع الأخرى مسلمين " .وفي هذه الفترة زار الرحالة ابن بطوطة الصين وكتب عن المسلمين بالصين .

4- أسرة منغ 770 – 1045 هـ / 1644 م : بلغ الإسلام في هذه الفترة أوجه في الصين ، وازداد المسلمون ثراء ونفوذا ، وأسلم عدد كبير من أهل الصين وحافظوا على التقاليد الإسلامية ، وظهرت أسماء صينية مثل (ما) اختصارا لمسعود أو محمد ، و (حا) اختصارا لحسن و (نا) اختصارا لنصر الدين وهكذا . واكتسب الإسلام كثيرا من الصينيين بالمصاهرة بين الأسر المسلمة من أصل عربي أو إيراني أو تركي وبين الأسر الصينية ولما كان للمسلمين دور بارز في تأسيس هذه الدولة فقد ذهب كثير من المؤرخين إلى القول أنها كانت إسلامية حيث أن مؤسسها (منغ تاي) لم يُرَ في معبد وثني قط منذ استلامه الحكم ، كما أنه منع شرب الخمر في جميع أنحاء الصين . وأمر ببناء جامع في نانكين ، ونظم قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم نقشها عام 1467 م على جدار مسجد نانكينغ الأعظم لا تزال إلى اليوم .

وكان معظم رجالات الدولة في عهد هذه الأسرة من المسلمين ومن أبرزهم : (تشانج يو) القائد – أمير الحرب – والحاج جيهان (جنهو وهو أكبر بجار يفتخر به تاريخ الصين القديم قام بعدة رحلات إلى ساحل الجزيرة العربية وبلاد الفرس وشرق إفريقيا سنة 837 هـ / 1433 م.

وقد طمع المسلمون في إسلام الإمبراطور (هونج وو) الذي منح المسلمين إمتيازات كثيرة وشجعهم على إنشاء المساجد ، فكتب إليه أحدهم وهو الشاه (رخ بهادور) سلطان التركستان خطابين طويلين يدعوه فيهما إلى اغتنام السعادة بالدخول في دين الله . وقد شق الإسلام طريقه خلال ألف عام ببطء شديد بين الصينيين وبقوة ، مراعيا صفات الصينيين الذين يتصفون بالبطْ والدقة والمحافظة على القديم . وقد أحبوا الإسلام وأحبوا المسلمين ، فلمسوا فيه الفطرة ، فقد اشتهر المسلمون بالتجارة والكد والنظافة ، والتعاون والأمانة .

ولذلك كانوا مميزين عن الصينيين وحالهم أجمل وأزين ، وكثيرا ما كانوا يأخذون أولاد الفقراء من الوثنيين ويربونهم في حجر الإسلام ، خصوصا عند حصول المجاعات . وكانوا يجمعون الزكاة في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم ويشدون بها عوز محاويجهم فتجد المعدمين منهم قليلين ، وعندهم الحنان والرأفة ، وبسبب تجافيهم الأفيون وأنواع المسكرات كانت أجسامهم أحسن من اجسام غيرهم – فكانوا يفوقون الصينيين صورة ومعنى - . فلذلك كثر العساكر المسلمون ، واعتمد عليهم الملوك كقادة وأمراء ، وأكثروا من بناء المساجد ، والمساجد في الصين على شكل معابد

الأديان الصينية التي هي على شكل السرايا الملكية ، ولم يسمح بتقليده لأهلها إلا لاحترامها فكانت حرمة المساجد في قلوب الصينيين لا تقل عن حرمة معابدهم ولا توجد المآذن إلا في مساجد القرى التي لا يسكنها إلا المسلمون .

5- أسرة تسينغ : الأسرة المنشورية : 1054 – 1329 هـ (1644 – 1911 م) : في عهد هذه الأسرة اشتدت الهجمة الصليبية على عالم الإسلام ، فوصل الأوروبيون الصين ، ووجدوا الإسلام يتغلغل في البلاد ، فخافوا أن تتحول إلى دار إسلام ، فبعثوا البعثات لدراسة الواقع في الصين ووضع الخطط للحد من نفوذ الإسلام وانتشاره ، فقد بعثت روسيا مرة بعثا علميا جال في الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل أمورها فكان من جملة ما قرره تحذير روسيا من مستقبل الإسلام في تلك البلاد ، لا لأنه ينمو ويتقدم ، بل إذا أخذ يوما بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الأقصى انقلابا عظيما ، لأن الصين إسلامية ليست كالصين وثنية ولما لم يكن الصليبيون يتمكنون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة .

ولما لم يكن الصليبيون يتمكنون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة ، لذا لجأوا إلى أسلوبين من الدس والوقيعة لتحطيم الإسلام داخل هذه البلاد :

أ- فأثاروا في المسلمين روح الثورة والتمرد على الحكام الصينيين وأمدوهم بالمال والسلاح إلى حد ما . ففصلوا بذلك المسلمين عن أهل الصين ، وعزلوهم في محيط واسع في صراع غير متكافئ على المدى الطويل ، وحدّوا بذلك من انتشار الإسلام .

ب- وأوحوا للإمبراطور وأهل الصين بخطر المسلمين ، وأنهم يتحينون الفرص للانقضاض على الدولة وحكمها . فأوغروا الصدور على المسلمين . فقضوا على نفوذ المسلمين وأذاقوهم الأمرين وتسلط عليهم الصينيون ، وانعزلوا عن العالم الإسلامي ، وخاصة بعد أن تقلص نفوذ المسلمين التجاري وامتلك الصليبيون ناصية البحار .

المسلمون في عهد الصين الوطنية 1329 – 1367 هـ 1911 – 1948 م :

أعلن مؤسس جمهورية الصين الوطنية (صن يات صن) أن الأمة الصينية تتكون من خمسة شعوب هي : الهان ، والمانشو ، والمنغ والهوي (المسلمين) ، والتسانج . وأعطى هذه الشعوب الخمسة حق المساواة وأعلنت الجمهورية الحرية الدينية في القانون الأساسي الذي أعلن سنة 1332 هـ / 1913 م . كل ذلك شجع المسلمين فسرعان ما استعادوا حيويتهم ودورهم القيادي ، وتعاونوا مع الحكم الجمهوري وأخذوا يتصلون بالمسلمين خارج الصين وخاصة بالأزهر في مصر وقام علماؤهم بمحاربة البدع والدعوة إلى تصحيح الإيمان وتأسست جمعيات عديدة تعنى بشئونهم .

قضية فطاني

إقليم إسلامي موقعه في جنوب تايلاند ، وشمال ماليزيا بين بحر الصين الجنوبي وخليج سيام شرقا ، والمحيط الهندي غربا . وموقعه هذا حساس جدا (استراتيجي) جعل من هذا الإقليم عنق الزجاجة التي تربط بين شبه جزيرة الملايو ، وشبه جزيرة الهند الصينية . وهو جزء من الملايو اقتطعته تايلاند البوذية وضمته إليها بالتعاون مع المستعمر الصليبي البريطاني ومباركته في محاول لعزل المسلمين عن الأماكن الحساسة . والإقليم موسمي ، غزير الأمطار صيفا زراعي ، فيه عدد من الأنهار والينابيع مثل نهر تالوبان ، ونهر فطاني ، ونهر غولوك . وأهم منتجاته الزراعية : الأرز والخضروات ، والذرة الشامية ، والفواكه وغيرها من المزروعات .

كما أن الإقليم غني بالغابات ، ويستفيد من هذه الثورة الغابية فالغابات تغطى مساحات واسعة في جالا ، وساتول ، وجنوب بنغنارا . ويستفيد من ثروته البحرية الهائلة .

وأما بالنسبة للمعادن فكثيرة وأهمها : القصدير ، والذهب ، والحديد والفضة ، والتنغستن .

وكانت البلاد إسلامية كلها ، هاجر إليها عدد من الموظفين التايلنديين وأعداد من الصينيين . وكانت تشمل إلى جانب الإقليم المعروف حاليا أجزاء واسعة من جنوب تايلاند ، وخاصة نواحي ممر كرا إذ كانت تبلغ مساحتها 50 ألف ميل2 (أي 128000 كم2) . وأما مساحتها الحالية فتبلغ 16 ألف ميل2 فقط (أي 38400 كم2) وذلك بعد أن زحف إليها البوذيون وطردوا المسلمين ، واستوطنوا الأجزاء الشمالية في عملية استيطانية منظمة تذكرنا بالأندلس والفلبين .

وتقسم حاليا إلى أربع ولايات هي :

1- فطاني : وهي أصغر الولايات ، وعاصمتها فطاني أكبر مرفأ بحري وجوي في البلاد التي حملت إسمها .

2- بنغنارا : أو (ناراتيواس) – على ساحل بحر الصين الجنوبي ومركزها مدينة بنغنارا التي تلي فطاني من حيث الأهمية .

3- جالا : منطقة داخلية مركزها مدينة جالا ، وكانت سابقا أكبر مدن فطاني .

4- ساتول : تشمل ولاية ساتول ، وجزءا من مقاطعة سونكلا . وهي أكبر الولايات مساحة ، تمتد وساحلها على المحيطين الهندي والهادي

ويزيد سكان فطاني على ثلاثة ملايين نسمة ، كما تزيد نسبة المسلمين على 80 % يتحدثون اللغة الماولاية ، ويكتبونها بحروف عربية .

<u>دخول الإسلام إلى فطاني</u>

بدأ دخول الإسلام إليها في القرن الثالث الهجري ، على أيدي الدعاة والتجار ، عندما كان المسلمون سادة البحار ، وقد وصلها الدعاة من شبه جزيرة العرب ، وماليزيا ، وسومطرة ، ولا سيما العرب الحضارمة .

وقد أسس المسلمون الموانئ على سواحلها ، ففشا الإسلام بين سكانها حوالي القرن الخامس الهجري ، وازداد انتشارا عن طريق ملقا في القرن التاسع الهجري حيث أصبحت جزءا من ديار الإسلام تكونت فيها الإمارات والسلطنات الإسلامية ، كما حصل في جميع شبه جزيرة الملايو . تروي الأخبار الفطانية ، وكتب التاريخ الملاوية : أن " اندراسراي وانغ شاه " حكم فطاني حوالي عام 750 هـ / 1350 م

تروي الأخبار الفطانية ، وكتب التاريخ الملاوية : أن " اندراسراي وانغ شاه " حكم فطاني حوالي عام 750 هـ / 1350 م . وأصيب هذا بداء عضال ، عجز أطباء بلاده وكهنتها عن مداواته ، فتقدم إليه الشيخ صفي الدين الذي كان يقيم في قريته فاساي (تقع حاليا في شمال جزيرة سومطرة في اندونيسيا) لعلاج الملك ، واشترط عليه إذا كتب الله له الشفاء أن :

أ- يعتنق الملك الإسلام .

ب- يترك لدعاة الإسلام حرية العمل . وعلى كل فقد وصل الإسلام إلى فطاني من شبه الجزيرة العربية ، ومن مالاقا ، والهند ، وكانتون في الصين . وبلغت فطاني أوجها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين حيث ظهر فيها كثير من العلماء ، وأصبحت مركزا إسلاميا ثقافيا هاما في جنوب شرق آسيا . وضمت المناطق الواقعة في جنوب تايلاند العاصمة فطاني

التحدي البوذي الفطاني :

أصاب فطاني ما أصاب العالم الإسلامي من ضعف وتمزق ، فطمعت فيها جارتها " تايلاند البوذية " وخاصة بعد سقوط ملقا بيد البرتغاليين وتهديد الصليبيين للعالم الإسلامي في البحار . فحاولت احتلالها عام 917 هـ / 1511 م ، واضطرتها فطاني إلى الانسحاب

. وكانت في إبان مجدها وقوتها وهذا يعني تحالف القوى الصليبية مع الوثنية البوذية في مواجهة المسلمين . ثم حاولت تايلاند مهاجمة فطاني عام 1112 هـ / 1700 م ، وتمكنت من احتلال المناطق المالاوية شمال الولايات الفطانية الحالية وحتى ممر كرا . واستمر الزحف التايلندي بطيئا ، إلى أن احتلت فطاني نفسها عام 1201 هـ / 1786 م وسرعات ما اشتعلت ثورات المسلمين للتخلص من الحكم البوذي ، فقام الأمير تنكو علم الدين بحركته عام 1202 هـ ، وأعلن استقلال فطاني ، وتواصلت المعارك ، إلى أن فشل المسلمون في تحقيق هدفهم .

وقام ملك سيام الثاني بتعيين داتؤ فنكالن وزير بحرية فطاني سابقا حاكما على الإقليم ، ولكنه أعلن استقلال فطاني عام 1223 هـ / 1809 م ، ولكنه فشل أيضا وسقط شهيدا . وفي عام 1821 م قام الفطانيون بحركة بقيادة سيد من ساداتهم فقضي على هذه الحركة في " جمبو " على بعد 15 كم من مدينة فطاني . وفي عام 1827 م قام الفطانيون بحركة أخرى بقيادة توان نيء الحاكم العام لولاية فطاني وقد استشهد أيضا . اتبعت حكومة تايلاند سياسة الدمج (الضم) فادعت أن فطاني من بلادها ، وتمركزت القوات التايلاندية فيها وعمت الفوضى الإقليم وتعاون الإنجليز الذين كانوا في الملايو مع السلطات التايلاندية على إخماد حركات المسلمين ، وسد الطرق في وجوههم ، في الوقت الذي كانت تعدهم فيه بريطانيا بالتخلص من الحكم التايلاندي ثم سمحت علنا عام 1327 هـ / 1909 م بابتلاع فطاني في سياسة منها لتفتيت المسلمين وإحلال النكبات بمسلمي فطاني بأيد غير نصرانية

هذا ولا يزال الجهاد الفطاني يواجه القوى الباغية ، ونلخص العقبات التي تقف في وجهه في ما يلي :

1- سياسة الحكومة التايلاندية – خطة تحت المظلة الباردة . التي تناولناها بالشرح . وهذه الخطة من شأنها عزل المجاهدين عن شعبهم من المسلمين .

2- حشد القوات التايلاندية على حدود ماليزيا ، من شأنه أن يمنع المتطوعين المسلمين من الدخول للجهاد ، ويعزل المجاهدين عن ماليزيا .

3- حلف جنوب شرق آسيا من الدول : ماليزيا ، والفلبين واندونيسيا ، وبروني ، وتايلاند ، وهذا من شأنه عزل المجاهدين عن البلاد الإسلامية المجاورة ، وخاصة ماليزيا واندونيسيا .

4- القوات البحرية التايلندية التي انتشرت على السواحل من شأنها منع المساعدات من الوصول إلى المجاهدين .

5- انتشار الشيوعية في الهند الصينية ، وانخراط بعض المسلمين في الأحزاب الشيوعية ، وهذا من شأنه إضعاف حركة الجهاد والروح الإسلامية ، وإعطاء الفرصة للقوات التايلاندية بضرب المسلمين بحجة الشيوعية .

6- انقسام حركة الجهاد في فطاني ، وتعدد المنظمات .

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الرابعة عشر

المسلمون في أوربا الشرقية - وافريقيا

الحديث عن المسلمين في أوربا الشرقية جزء من الحديث عن المسلمين في ظل الإتحاد السوفييتي ، حيث أن بقية أوربا الشرقية تتبع المعسكر الاشتراكي الشيوعي وتأتمر في معظم أمورها بأوامر موسكو ، وبالتالي فإن الحديث عن سياسة دول شرقي أوربا تجاه الإسلام هو جزء من سياسة الإتحاد السوفييتي تجاهه . تلك السياسة التي تكلمنا عنها .وسنتكلم عن المسلمين في بعض أقطار أوربا الشرقية وسنخص بالذكر : بلغاريا ويوغسلافيا .

أولا : بلغاريا :إحدى دول البلقان ومن دول أوربا الشرقية ، تشرف على البحر الأسود من الناحية الشرقية ، سميت باسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل القرن الرابع الهجري .

وكان لها ملك مسلم اسمه الماس خان . وهو الذي طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله (295 – 320 هـ) إرسال بعثة إسلامية من الفقهاء والعلماء والمهندسين لبناء بلغاريا والنهوض بها ، ووصلت البعثة لبلغاريا وعلى رأسها أحمد ابن فضلان البغدادي وزير المقتدر وتحركت البعثة من بغداد في 11 صفر 309 هـ مارة بهمذان والري ونيسابور ومرو وبخارى . ثم مع نهر جيحون إلى خوارزم إلى بلغار الفولغا في 18 المحرم عام 310 هـ / 922 م . ولم يعرف خط سير الرجعة لضياع القسم الأخير من الرسالة ، وقد عملت البعثة على نشر الإسلام واللغة العربية ، فنبغ في بلغاريا علماء أجلاء مسلمون منهم : الشيخ أحمد البلغاري أستاذ السلطان محمود الغزنوي ، والشيخ برهان الدين يوسف البلغاري ، والقاضي يعقوب بن نعمان البلغاري وغيرهم أحمد بن فضلان – رسالة – طبع المجمع العلمي العربي بدمشق .

وكانوا يتكلمون العربية ، ويستعملون حروفها في كتاباتهم ، وظلوا على ذلك حتى استيلاء المغول على بغداد سنة 656 هـ . فانعزلوا وقل اتصالهم بالعالم الإسلامي ، ثم وصلها العثمانيون واستطاعوا فتحها في زمن مراد الأول وبايزيد ابنه بالتدريج – وامتدت عمليات الفتح من 744 إلى 799 هـ / 1396 م ، وعادت جزءا من دار الإسلام وقاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية العثمانية إلى أواسط أوربا لدحر الجيوش الصليبية من الشمال والغرب ، واستمر الحكم العثماني أكثر من خمسة قرون ونصف ، فانتشر الإسلام أثناء ذلك إنتشارا كبيرا . انفصلت بلغاريا بدسائس الدول الأوروبية عن الدولة العثمانية وإثارة النعرات القومية وكونت بها مملكة قائمة بذاتها سنة 1326 هـ / 1908 م . بعد أن هاجر إليها كثير من النصارى ، وهجرها كثير من المسلمين . بتآمر من روسيا والنمسا وبريطانيا .

وفي الحرب العالمية الأولى انضمت لألمانيا في الحرب ، فكانت النتيجة أن تقلصت مساحتها . كما انضمت أيضا لألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، فغزاها الروس وسيطر عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فأصبحت ضمن المعسكر الاشتراكي . فقد أقام الجيش الأحمر الأنظمة الشيوعية بزعماء مهاجرين في حين لم يكن للأحزاب الشيوعية وجود تقريبا في تلك البلاد .

تبلغ مساحة بلغاريا 110928 كم2 ، وسكانها حوالي 9 ملايين نسمة . وهم من العناصر البلغارية الذين يعودون إلى أصول تركية قديمة هاجرت إلى المنطقة وتتحدث لغة السلاف واعتنق أكثرهم النصرانية الأرثوذكسية حوالي عام 251 هـ . تليهم العناصر التركية حديثة الهجرة مختلطة بعناصر التتار ، وأقليات من الغجر والرومان والأرمن . و60 % من المسلمين أتراك ، و25 % من البلغار وحوالي 15 % من الغجر وعاصمتها (صوفيا) .

المسلمون تحت الحكم الأرثوذكسي النصراني :

1326 – 1362 هـ / 1908 – 1943 م :

انفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية بفعل الدسائس الأوروبية وإثارة القوميات في البلقان ، وكان المسلمون أكثرية قبل الاستقلال وللسيطرة الصليبية على البلاد تعرض المسلمون للظلم والاضطهاد فهاجر عدد كبير منهم إلى خارج بلغاريا ، وحل محلهم العنصر البلغاري الذي استقدم من البلدان المحيطة ، فقل بذلك عدد المسلمين .

وتعرضوا لحملات التنصير الإجباري وارتد عدد منهم عن الإسلام بالفعل . وبذلت مختلف الجهود لتذويبهم وقطع صلاتهم بماضيهم شأن المستعمرين في بلاد الإسلام . فقد وضع المسئولون في منتصف القرن الرابع عشر الهجري مشروعا شاملا يهدف إلى تنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف إذا اقتضى الأمر .

وكان للمسلمين مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومدارس أخرى علمية تقدر بنحو ألف مدرسة ، كما كانت لهم مئات المساجد يؤدون فيها صلواتهم أخذت هذه تقل تدريجيا .

المسلمون تحت الحكم الشيوعي :

دخلت القوات الروسية بلغاريا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي نهاية الحرب كان الشيوعيون قد سيطروا عليها سنة 1945 م . وبدأت الشيوعية كالعادة في محاولة لكسب المسلمين إلى جانبها فألغوا قرار التنصير وأعلنوا حرية الاعتقاد ، وبعد أن تمكنوا من حكم البلاد بعثوا مشروع التنصير من جديد وبشكل أكثر عنفا وبربرية فبدأوا بمنع التوجيه والتعليم الديني الإسلامي أو الدعوة له ، ثم نظمت حملات من الكتاب الملحدين والحاقدين على الإسلام للتشويه والتشهير بالإسلام والمسلمين .

لأنه كان دين الخلافة العثمانية التي استعمرتهم حسب ادعاءاتهم الباطلة ، ووصلت بهم الوقاحة إلى إخراج العديد من الأفلام السينمائية التي تصور المسلمين والإسلام في صور كاذبة تقشعر لها الأبدان، وأهملت الأقاليم الإسلامية وأفقرتها لتشيع أن الإسلام هو سبب تأخر هذه المناطق والأقاليم . وبدأت السلطات بمحاصرة هذه الأقاليم منذ سنة 1960 م . واشتدت الحملة على الدين – حملة مركزة من الإلحاد الشيوعي لدرجة منع دخول مصاحف القرآن الكريم ، والكتب الدينية . ومنعوا من الاتصال أو الهجرة إلى خارج بلغاريا ، فأصبحوا منعزلين ، وتغلب عليهم طابع الفقر والبؤس ، وتعد مناطقهم من أكثر المناطق تخلفا بالنسبة إلى البلاد. ويا للأسف فقد عرضت هذه الأفلام في كثير من البلاد العربية المسلمة . وحرم المسلمون من المدارس فلم تكلف الحكومة نفسها بإقامة مدرسة ثانوية واحدة في مناطق المسلمين .

وأخذ المسلمون الملتزمون بتعليم أولادهم سرا في البيوت أو إرسالهم إلى أحد العلماء والحفاظ في القرى التي لم تمتد يد السلطة إليها . كما قاوموا هذه الحملات مقاومة قوية وذهب الكثير منهم إلى السجون ومات بعضهم ضحية تحت سياط التعذيب الوحشي .

وأما المساجد – فقد كان في بلغاريا حوالي 1200 مسجد . اهتم بها المسلمون بجهودهم الذاتية ، وفي العهد الشيوعي أهملت هذه المساجد وأغلق أكثرها ، فصوفيا مثلا يوجد بها حاليا ثلاثة مساجد حُوّل أحدها إلى متحف والثاني إلى كنيسة ، والثالث مغلق وأزيلت منارته .

وفي محاولة لتفريق المسلمين لتسهل الهجمة الشيوعية عليهم فرقوهم على أساس عرقي قومي ، وفصل كل منهم عن الآخر بإحداث دار إفتاء خاصة به ومن ثم إلغاء منصب المفتي لبعضهم للقضاء عليهم إسلاميا ، فقد قسموا المناطق الإسلامية إلى ست مناطق .

ويمكن تلخيص الوضع الراهن للمسلمين في بلغاريا بما يلي :

- يحرم على المسلمين لبس الزي الإسلامي وخاصة النساء فلا تستطيع المرأة المسلمة أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة بزيها الإسلامي .

- منع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم ومن صوم رمضان ومن أداء فريضة الحج . كما منع النحر في عيد الأضحى المبارك .

- منع المسلمون من بناء مساجد جديدة ، ويغلق المسجد الذي يتوفى إمامه . وتتعرض الجماعات التي تزور المساجد المفتوحة إلى المطاردة والعقاب .

- منع المسلمون أن يدفنوا موتاهم في مدافن خاصة بهم ، وألغيت مقابرهم ، وألغيت جميع إجراءات الدفن التي تقوم على الطريقة الإسلامية .

- منع المسلمون من اقتناء المصاحف ومن الهجرة إلى خارج منطقتهم

- منع المسلمون من وظائف المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة . - أجبر المسلمون على تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية نصرانية أو يهودية ، وقد بدأت هذه العملية سنة 1960 م ولكنها اشتدت في الآونة الأخيرة ، وقد اتبعت السلطات من أجل ذلك الخطوات التالية :

أ- يعطى للمسلمين طلبات جاهزة يسجل فيها رب الأسرة اسمه وأسماء أفراد عائلته ، وما يقابلها من أسماء بلغارية التي يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة أسماء مرافقة من قبل السلطات الشيوعية .

ب- عدم تسجيل المواليد الجدد بأسماء إسلامية .

ج- لا تتم إجراءات الزواج أو تسجيله إلا بأسماء غير إسلامية .

د- لا تعطى شهادات من أي نوع أو هوية إلا بأسماء غير إسلامية .

هـ- لا تصرف مرتبات العمال والأجور إلا بعد تغيير الأسماء .

والسبب في هذه الإجراءات كثرة عدد المسلمين ومحاولة السلطات إخفاء الحقائق وصبغ المسلمين بصبغة غير إسلامية أمام الرأي العام العالمي ، حتى يمكن تذويبهم والقضاء عليهم في الداخل ، حيث أن بعض التقارير تقول أن المسلمين يقارب عددهم نصف السكان في بلغاريا ففي سنة 1397 هـ / 1977 م أصدرت السلطات البلغارية قانونا يقضي بتبديل البطاقات الشخصية وعدم ذكر جنسية الأقلية ، بل كتابة البلغارية فقط للجميع مع تبديل الأسماء الإسلامية . وتعرض المسلمون للضرب على أيدي قوات الأمن التي شنت حملة تبديل الأسماء بالتواطؤ مع السلطات البلغارية ولما تقدم المسلمون بعريضة إلى الحزب الشيوعي حيال هذه الإجراءات كان الرد عليهم يجب عليهم مسايرة تطور الديالكتيك الماركسي . ولذلك فمقاومة المسلمين يائسة ، فهم يقادون بالعشرات يوميا إلى السجون ويكابدون أشد أنواع العذاب النفسي والبدني .

وقد أصدرت الرابطة الإسلامية بيانا عام 1397 هـ إثر اشتداد هذه الحملة ناشدت فيه الحكومات الإسلامية بأن تسعى لحماية المسلمين في بلغاريا وتدخلت تركيا في هذا الأمر وأعلنت عن استعدادها للاتفاق مع حكومة بلغاريا بشأن هجرة الأشخاص المنحدرين من أصل تركي .

هذا وتقوم السلطات بتصفية الشخصيات الإسلامية القيادية والمقاومة لأساليب الحكم الشيوعي أمثال شاعر المقاومة الإسلامي شاكر رجب الذي اغتالته المخابرات البلغارية عام 1396 هـ وقد استمرت السلطات البلغارية في أساليبها فكان من ردود الفعل الإسلامية البيان الذي أذاعه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالأردن وقدمه للسفارة البلغارية سنة 1400 هـ فأذاعت على أثره وكالة (صوفيا برتشي) البلغارية تقريرا عن الإسلام والمسلمين ادعت فيه أن المسلمين في بلغاريا يقومون بأداء شعائرهم الدينية بحرية كاملة وطبقا لأصول الدين وقواعد الشريعة .

ثانيا : يوغسلافيا :

جمهورية اتحادية توجد في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان ، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك . وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي :جمهورية إتحادية توجد في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان ، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك . وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي :

صربيا وعاصمتها بلغراد العاصمة الإتحادية الواقعة على نهر الدانوب . وكرواتيا وعاصمتها زغرب وسكانها من الكروات .

والبوسنة والهرسك وعاصمتها سيراجيفو .ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا وسلوفيتيا وعاصمتها تيتوجراد وهي أصغر الجمهوريات وفيها عدد من الإلبان .ويضاف إلى هذه الجمهوريات إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما :كوسوفا وفوجفورينا ويتبعان جمهورية صربيا

وتضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة به . وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية ما بعد الحرب باسم مملكة صربيا ، واحتلها الألمان والإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية . ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية . وسيطر الشيوعيون على حكمها . ثم اتبعت سياسة عدم الانحياز ومصادقة جميع الكتل السياسية العالمية . وحكمها الرئيس (تيتو) فترة طويلة . وتبلغ مساحة هذه الجمهورية 255804 كم2 ، وعدد سكانها عام 1401 هـ أكثر من 22 مليون نسمة وعاصمتها بلغراد .

وصلها الإسلام بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري ، ولكنه وصلها بشكل كبير مع الفتح العثماني .

فقد بدأ العثمانيون يتقدمون في هذه البلاد سنة 754 هـ / 1353 م إلى عام 856 هـ / 1452 م حيث فتحوا بلغراد ولما اشتدت حدة الصراع بين المذاهب النصرانية طلب البشناق مذهب البوجوميل أو الكنيسة البشناقية ، ويعارض هذا المذهب المذهب الكاثوليكي والأرثوذكسي على السواء ، فليس فيه تقديس البشر والتعميد ، وذلك بتأثير من الإسلام ، فكان البشناق مهيئين لقبول الإسلام .

تقدم السلطان محمد الفاتح لنجدة البشناق سنة 868 هـ / 1463 م ففتح البلاد وحسم الصراع بين المذاهب النصرانية ، وأصبحت البلاد جزءا من دار الإسلام ، واعتنق البشناق الإسلام زرافات ووحدانا ، طواعية وصاروا من أقوى أنصاره ، وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وأشهرها : سيراجيفو أو (بشناق سراي) .

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا ، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا ، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن إدارة البوسنة والهرسك سنة 1295 هـ / 1878 م لإمبراطورية النمسا والمجر . في المؤتمر الذي عقد في برلين عام 1878 م من الدول الكبرى الأوروبية ثم ضمتها النمسا إلى إمبراطوريتها . وفي صربيا وعاصمتها سيراجفو كانت شرارة الحرب العالمية الأولى . عندما اغتال طالب (صربي) ولي عهد النمسا (الأرشيدوق فرديناند) وزوجته أثناء زيارته لمدينة سيراجيفو عام 1337 هـ / 1914 م وبعد الحرب

العالمية الأولى – ظهرت مملكة صربيا ، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية تحت الحكم الشيوعي بعد أن هدم الإتحاد السوفييتي الأنظمة السابقة وأقام دكتاتورية طبقة العمال .

أحوال المسلمين :

تعرض المسلمون لموجات قاسية من الاضطهاد في عهد الحكم النمساوي الصليبي ، وإلى عمليات التنصير . فهاجر العديد منهم فرارا بدينهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى سنة 1297 هـ / 1879 م . وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة ، وتعرضت المساجد إلى الهدم . وثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بزعامة رئيسهم علي فهمي جانيش عام 1318 هـ . وانضم إليهم الأرثوذكس ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام 1327 وعندما ظهرت دولة الصرب بمساعدة روسيا ، إستبشر المسلمون للتخلص من الاستعمار النمساوي ، ولكن الأرثوذكس غدروا بهم بعد الاستقلال ، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للأرثوذكس .واستمروا كالنمسا في أسلوب تهجير المسلمين وإغلاق مدارسهم ومساجدهم .

فقد كان في مدينة بلغراد 270 مسجدا والعديد من المدارس الإسلامية و270 كتابا (مدارس دينية) زمن الحكم الإسلامي ، فقضي على هذه المدارس وهدمت المساجد لتقام مكانها الفنادق والمسارح بعد انحسار الحكم الإسلامي . والبرلمان اليوغسلافي اليوم على أنقاض مسجد (بتار) وكان أجمل مساجدها بني عام 828 هـ / 1521 م

ومن حركات المقاومة التي نظمها المسلمون : الحزب الإسلامي برئاسة الدكتور محمد سباهو عام 1338 هـ . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ، وقعت مذابح بين المسلمين والأرثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة ثانية، ثم تسلم الشيوعيون الحكم بعد الحرب بزعامة (تيتو) وكعادتهم قاموا بمذابح كثيرة ضد المسلمين وبتهديم مساجدهم ، وأغلقت بقايا المدارس الدينية وأبيد 24 ألف مسلم بعد الحرب مباشرة ، وقتل عدد من العلماء والزعماء المسلمين .

فقتل فضيلة الشيخ عصمت منقنتيش مفتي كرواتيا ، والعالم الشيخ مصطفى يوصولاجيتش ، وحكم بالأشغال الشاقة على 12 عالما بعد محاكمة صورية في مدينة سيراجيفو مددا مختلفة منهم الشيخ دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك ، والشيخ عبد الله دروبسيوفيتش وكلاهما من علماء الأزهر الشريف .

كما حكمت محكمة إسكوب في مكدونيا سنة 1947 م على 17 زعيما ألبانيا من الألبانيين المقيمين في يوغسلافيا ، وفي السنة نفسها حكمت محكمة يرشتينا على 37 من الأعيان الإلبانين ثلاثة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة . وفي عام 1949 م وبعد انفصال يوغسلافيا (بزعامة تيتو) عن دول الكومنيفورم حكمت محكمة سيراجيفو على 13 زعيما من المنتمين إلى جمعية الشبان المسلمين المنحلة ، أربعة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة . ونشرت جريدة Novadole الصادرة في سيراجيفو بتاريخ 23 مارس سنة 1946 م قانونا بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغسلافيا .

فكانت خطة تيتو أن يقضي على جيل كامل من المسلمين ، ومارست أجهزة الإعلام الشيوعية الدعاية ضد الإسلام . حيث أن تيتو كان قد تتلمذ على اليهودي موسى بيجاده .

وبعد استقرار الأوضاع وهجرات كثير من المسلمين أخذ المسلمون الذين بقوا تحت الحكم الشيوعي يستردون كيانهم بعد سلسلة الإضطهادات التي استمرت حتى عام 1393 هـ / 1973 م . حيث بدأ الإنفراج فاعترفت الدولة بكيانهم في هذا العام وقامت جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك ، شكل المسلمون أغلبها ، وأصبحت لهم حرية التعبد وإقامة المساجد وبناء المدارس وشراء الكتب الإسلامية وكذلك نشرها وأعيدت لهم بعض مساجدهم ومدارسهم .

وفي البلاد اليوم إتحاد إسلامي عام يرأسه كبير العلماء ، وفي عواصم البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الأسود مجالس للعلماء ينظمون شئون المسلمين .

وبدأت المساجد تزداد فوصل عددها إلى 2700 مسجد ، واستردت معظم المساجد التي سلبت منهم أيام الاضطهاد . وهي تنتشر في معظم القرى والمدن ففي إقليم سيراجيفو يوجد 1092 مسجدا ، وفي مشيخة بريشتينا 670 مسجدا ، وفي سكوبيا 372 مسجدا ، وفي مشيخة تيتوجراد 76 مسجدا . والباقي موزع في مناطق أخرى . وتزداد حركة بناء المساجد وأخذ التعليم الديني مكانه في حياة المسلمين ، فيتعلم الطفل المسلم مبادئ الإسلام والقرآن الكريم في الكتاتيب التي بلغ عدد طلابها سنة 1391 هـ ، 120 ألف طالب . وليست هناك قيود على التعليم الإسلامي من جانب الدولة في هذه المرحلة . فيضع المسلمون مناهج التعليم الابتدائي .

وهناك عدد من المدارس المتوسطة والثانوية فتوجد مدرسة ثانوية إسلامية في مدينة سيراجيفو ، (مدرسة خسروبك) وثانوية أخرى في مدينة برشتينا .

كما توجد الكلية الإسلامية في سيراجيفو – افتتحت سنة 1397 هـ ووضعت مناهجها وفقا لنظم الكليات الإسلامية ، كما افتتح بها قسم للمرأة المسلمة . ولقد ساهمت المملكة العربية السعودية في إقامة هذه الكلية كما ساهمت رابطة العالم الإسلامي وبعض الدول الإسلامية .

وهناك مكتبة الغازي خسروبك في سيراجيفو وهي من أشهر المكتبات الإسلامية وتضم الآلاف من الكتب العربية والتركية والفارسية إلى جانب العديد من المخطوطات .

وهناك ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى بعض اللغات اليوغسلافية عن التركية ، وصدرت ترجمة حديثة عن اللغة العربي هذا ويشكل المسلمون حاليا 20 % من السكان في يوغسلافيا أي أن عددهم أكثر من 4,5 مليون نسمة . يكون البشناق نصف عددهم . ثم يليهم الإلبان وعددهم حوالي 1,5 مليون نسمة معظمهم في إقليم كوسوفا .

وتحاول الحكومة الشيوعية الحالية أن تضع العراقيل أمام المسلمين وذلك : بعدم إتاحة الفرصة لهم للالتحاق بالمناصب الحكومية الإدارية أو الاقتصادية أو الجيش ، ورفع نسبة البطالة بينهم ، وممارسة التمييز العنصري ، ووصف وسائل الإعلام للمسلمين بالتطرف والتعصب والعنف ، دون أن يملك المسلمون وسائل الرد . وقد تزايد عدد المعتقلين المسلمين في السنوات الأخيرة ممن طالبوا بالحرية الخاصة في الشئون الدينية للمسلمين . وخاصة في إقليم كوسوفا الألباني . كما تعرض المسلمون للمذابح في البوسنة والهرسك ولعمليات الاغتصاب التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً على يد القوات الصربية بعد انهيار الوحدة اليوغسلافية عام 1413 هـ / 1992 – 1993 م .

الاسلام فى افريقيا

قارة أفريقيا ودخول الإسلام

أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم . ول شيء يشير إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في هذه القارة ، وأنها قارة المستقبل للإسلام .وحاضر القارة يشهد واقعا إسلاميا ملموسا ، تنطق به الحقائق التالية :

1- قرابة 70 % من المجتمع العربي المسلم في أفريقيا .

2- 75 % من الأراضي العربية الإسلامية في أفريقيا .

3- أكثر من 60 % من مجموع السكان مسلمون .

4- تشهد الدعوة الإسلامية صدى وتجاوبا لدى الأفارقة ، وتسير بخطى واسعة . فالأرض والسكان والتاريخ والواقع بكل أبعاده ، كل هذا يعيش حاضره فيها ممتزجا بالإسلام ، لا انفصام عنه . فتستحق عن جدارة تسميتها بلقب : القارة المسلمة .

تبلغ مساحة قارة أفريقيا أكثر من 30 مليون كم2 . فهي تشكل خمس مساحة الكرة الأرضية ، ومعظمها من ديار الإسلام ، وعدد سكانها حوالي (500) مليون نسمة أي حوالي عشر عدد سكان العالم ، الأمر الذي لا يتناسب مع مساحتها الكبيرة.

أ- هضبة شمالية : وتمتد من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر ، ومنها : الصحراء الكبرى ، وبلاد السودان ، وبعض المرتفعات مثل جبال تيبستي والحجارة (الهقار) ، وبعض المنخفضات مثل القطارة والفيوم .

ب- هضبة جنوبية : وهي أكثر ارتفاعا من الهضبة الشمالية . ومن أهم مرتفعاتها : هضبة الحبشة شرقي أفريقيا ، وهضبة البحيرات الكبرى في وسطها ، وجبال كليمنجارو على الحدود بين تانزانيا وكينيا ، وجبال دراكنزبرغ في الجنوب الشرقي .

وتخترق أراضي أفريقيا أنهار كبيرة غزيرة المياه ، منها : نهر النيل أطول أنهار العالم ، ونهر الكونغو ، ونهر النيجر ، ونهر الزامبيزي ، وأورنج ، والسنغال .

والقارة بكر غنية بالعديد من مصادر الرزق :

- فالغابات تغطي 20 % من مساحتها ، وتضم أصنافا من الأخشاب النادرة ، والتي لا تستغل إلا القليل ، حيث تسهم ب 2 % فقط من انتاج العالم من الأخشاب .

- والمراعي تغطي مسطحات واسعة من أفريقيا ، تتنوع بين السفانا والاستبس مما يتيح الفرص النادرة لمضاعفة الثروة الحيوانية في قارة تعاني المجاعات حاليا .

- والامكانيات الزراعية كثيرة ، غير مستغلة ، نتيجة التخلف ، والطرق البدائية في الزراعة والري .

- وأما المعادن فكثيرة ، وثروتها الباطنة أكثر من الظاهرة ، من المعادن الثمينة النادرة ، ومن الاقاليم المناخية (السفانا : الأعشاب الطويلة . والاستبس : الأعشاب القصيرة .

واسم القارة الحالي حديث ، فكانت تسمى قديما (ليبيا) وكانت مقسمة إلى عدة مناطق رئيسية ، ثم أطلق عليها في العصور الوسطى : (إثيوبيا) أي قارة السود ، وهي مشتقة من اليونانية . ثم استعملت في التعبير عنها كلمة (أفريقيا) وكانت تشير لدى القدماء إلى منطقة تونس ، حيث (رأس أفري) الذي سمي نسبة إلى قبيلة من البربر ، وقد اشتقت الكلمة من تعبير قديم عن (المغارة) أو (الكهف) أيضا ، حيث كان أهل المنطقة يسكنون ما يشبه المغارات ، ثم استخدم العرب هذا المصطلح محورا فصار : (أفريقيا) .

أثيوبيا كلمة يونانية تعني : الوجه المحترق .

وتخصصت ليبيا وأثيوبيا للتعبير عن المنطقتين الجغرافيتين المعروفتين بهذين الاسمين بينما استخدمت كلمة أفريقيا (للتعبير عن القارة جملة) ومن أهم ملامح هذه القارة التي أسهمت في عزلتها في العصور القديمة والوسيطة :

1- يقسمها خط الاستواء إلى قسمين شمالي وجنوبي فتمتاز أفريقيا الاستوائية بغاباتها الكثيفة وشدة حرارتها ورطوبتها دون تمييز بين الفصول .

2- قصر سواحل القارة بالنسبة لمساحتها – بمعنى آخر قلة تعاريج السواحل . الأمر الذي يؤدي إلى قلة الرؤوس والخلجان ويترتب عليه قلة الموانئ الطبيعية والموانئ في العادة هي المنافذ التي تطل منها القارة على العالم الخارجي ويمد العالم الخارجي بصره منها للقار

3- امتداد معظم جبالها على السواحل مما يؤدي إلى عزل الداخل ، وإلى ضيق السهول الساحلية ، وضياف إلى ذلك أن هذه السهول الساحلية في جملتها ذات ظهير فقير تؤدي إلى مناطق صحراوية أو شبه صحراوية أو غابات كثيفة يصعب اختراقها . فتزيد من عزلة داخل القارة .

4- قلة الجزر القريبة من الساحل : والجزر عادة وأشباه الجزر يمكن اتخاذها كمناطق ارتكاز تنفذ إلى الداخل ، وأفريقيا إجمالا كتلة واحدة خالية الأطراف تقريبا وباستثناء بعض الرؤوس الصغيرة التي تفصلها عن بعضها مسافات شاسعة في غرب القارة وبعض الجزر الساحلية في الشرق مثل زنجبار وبمبا ومافيا لا تكاد تلعب هذه المناطق دورا حيويا في تاريخ القارة .

وهذه الظاهرة التي تنفرد بها القارة الأفريقية تعود أساسا لصغر مساحة الجزر الأفريقية نسبيا باستثناء جزيرة مدغشقر التي رغم اتساعها فإنها بعيدة جدا عن الساحل الأفريقي ويلعب تيار موزمبيق دورا في عزلتها عن اليابس .

5- قلة صلاحية أنهارها للملاحة : رغم كثرة أنهارها وغزارة مياهها كنهر النيل والنيجر والكونغو والزامبيزي والسنغال إلا أن هذه الأنهار تنتهي إلى البحر بدلتات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو مساقط مائية . وتكثر فيها الجنادل والشلالات مما يعوق الملاحة ، ويحرم أفريقيا من أن تصبح هذه الأنهار شرايين تؤدي إلى الداخل .

6- اتساع صحاريها : فمعظم أفريقيا يقع في المناطق المدارية ففي الهضبة الشمالية يمر مدار السرطان و في الجنوبية مدار الجدي . فتتسع الصحارى فهناك الصحراء الكبرى في الشمال التي تصل مساحتها إلى 10 ملايين كم2 أي ثلث مساحة القارة ، وصحراء كلهاري في الجنوب وهذا يؤدي إلى قساوة المناخ وشيوع مناطق الجفاف وإلى العزلة .

<u>دخول الإسلام إلى أفريقيا :</u>

شق الإسلام طريقه إلى هذه القارة سالكا الطرق الجغرافية التالية :

1- طريق باب المندب : وعن هذا الطريق انتشر الإسلام في القرن الأفريقي وشرقي أفريقيا ، وكانت معرفة العرب بساحل أفريقيا الشرقية قديمة تعود إلى ما قبل الدعوة الإسلامية بكثير ولا زال الشاطئ الأفريقي يحمل أسماء من الجنوب العربي في مناطق مصوع وعصب وما وراءها في الداخل فقد استقر كثير من المهاجرين والتجار العرب واختلطوا بأهالي البلاد وأدخلوا وسائل الري وأساليب البناء وتنظيم عملية تربية الحيوانات ، وكان الأثر اللغوي أقوى من أي أثر آخر تركه عرب الجنوب في شرق أفريقيا . كما حصلت هجرة مرتدة إلى شبه الجزيرة العربية حيث عبر الأحباش البحر من أكسوم إلى اليمن وأغلبهم كان من المهاجرين العرب الأوائل وقد حاولوا الوصول إلى الحجاز بزعامة أبرهة – عام الفيل 571 م – وهدم الكعبة في مكة رمز تجمع العرب ، تعصبا لنصرانيته ، وقد عاقبهم الله عقوبة عاجلة كما جاء في سورة الفيل من القرآن

وفي زمن عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ) هاجر بعض الأمويين إلى شرقي أفريقيا وعاشوا بها ، وكان هذا الاستقرار قد حدث بهدوء وبدون قوة أو عنف ، ولا يذكر لنا التاريخ حروبا أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين . وأثر الإسلام في شرقي أفريقيا حتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحلية) وأصبح

للعرب إمارات في سواحل القارة الشرقية لها اتصال بالجماعات العربية المسلمة في شبه الجزيرة العربية ، وبالتجار والقبائل في القارة الأفريقية . وتتابعت الهجرات المسلمة إلى (بر الزنج) (كما دعاه المسلمون) فانتشرت أولا في بعض الجزر الساحلية مثل مافيا وزنجبار وبمبا ، ثم في المراكز السياحية الشهيرة مثل : سفالة ، ومالندي ، وكلوا ، وممبسة ، ودار السلام . وقد ازدهرت هذه المدن ، واختلط العرب المسلمون بالأفارقة والشيرازيين (من الفرس) ، حتى جنوب موزمبيق .

وزاد ذلك من ازدهار مدينة مقديشو في الصومال ، وكلوا على الساحل التانزاني ، ومالندي وممباسا في كينيا ، وسوفالا (سفالة) في موزمبيق . وكانت أشهرها جميعا مدينة زنجبار . وقد زار ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي كلوة وممبسة ومقديشو ودهش لما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في هذه المناطق . ووصف الشوارع المنظمة التي رآها ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة والمونة ، ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة ، كما كانت للمنازل حدائق غناء ، وشاهد المساجد المزينة بالنقوش . كما وصف إختلاط العرب بالسكان .

وقد أوجد العمانيون مراكز تجارية على طول الساحل الأفريقي الشرقي ثم تحول هذا الوجود إلى وجود سياسي استطاع الأئمة في عمان أن يمدوا سلطانهم على سواحل الصومال وأقاموا فيها إمارت تابعة لهم . وظل سلطانهم قويا في كلوة ومافيا وبمبا وزنجبار حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين بدأت الدول الأوروبية تلتهم أملاك سلطان زنجبار . وكان العمانيون قد صارعوا البرتغاليين ، مدة طويلة ، ووقفوا في وجههم واستمروا يناوئون الأوروبيين من أواخر القرن السادس عشر إلى أن تم انشطار القسم الآسيوي عن القسم الأفريقي ، باستقلال زنجبار عن عمان عام 1861 م بأساليب الإنجليز الماكرة ، وتحكيم (لورد كاننج) حاكم الهند العام بين الأخوين (ماجد) و (تويني) . فأصبح ماجد يحكم زنجبار ، وتويني يحكم عمان () ، فأصبحت عمان كلها تسير في الفلك البريطاني وذهب ريحها .

2- طريق البحر الأحمر : لم يكن البحر الأحمر عقبة كبيرة في وجه الانتقال بين شاطئيه الشرقي والغربي فكان إقليم الحجاز على صلة بالشاطئ الأفريقي قبل الإسلام ، وقويت هذه الصلة بعد ظهور الإسلام كمعبر قريب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج . وقد زادت الأهمية في عهد الحروب الصليبية عندما كانت الموانئ الشمالية مهددة بالغزو فازدهرت من أجل ذلك ، كميناء عيذاب الذي قال عنه ابن جبير :

ورمنا في هذه الطريق (إلى عيذاب) إحصاء القوافل الواردة والصادرة قما تمكن لنا ولا سيما القوافل العيذابية المتحملة لسلع الهند الواصلة إلى اليمن ثم من اليمن إلى عيذاب ، وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل ، فلقد خيل لنا لكثرته أنه يوازي التراب قيمة .

3- طريق سيناء : وسيناء معبر يربط آسيا بأفريقيا وكانت دائما في جميع العصور جزءا متمما لوادي النيل الأدنى وأحد الطريقين الرئيسيين اللذين كانت تأتي منهما الهجرات إلى وادي النيل (والطريق الثاني هو باب المندب وشرق أفريقيا) فعن طريقها دخلت القوات الإسلامية من فلسطين بقيادة عمرو بن العاص ، لتحرر مصر من الجاهلية ، ثم برقة وطرابلس وأفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى (المغرب) من النفوذ الروماني وتم كل ذلك في القرن الأول الهجري . وأصبح شمالي أفريقيا بأكمله ضمن ديار الإسلام وقاعدة من قواعده الهامة ، حيث انطلق الإسلام من هذه الأقطار إلى الجنوب عبر الصحراء بالتجارة والدعوة .

- الطرق الداخلية لانتشار الإسلام :

أ- إلى غربي أفريقيا : عن طريق المغرب ، فيقال بأن الأمويين أرسلوا جيشا إلى غانا من جهة مراكش (116 – 133 هـ) ، و أن قلة من هذا الجيش بقيت وتأثرت بمعتقدات أهل غانة ، وان بقيت محافظة على الامتيازات العنصرية ، ثم وصل الإسلام عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر حتى أصبح موجودا في كل قرية وكل مدينة فظهرت دولة غانا الإسلامية في ما يسمى اليوم مالي وموريتانيا وأجزاء أخرى من أفريقيا الغربية – التي وثقت صلاتها بديار الإسلام والخلافة العباسية () . واتسع انتشار الإسلام في غرب أفريقيا على يد المرابطين في القرن الخامس الهجري . ثم قاد الفولانيون والمانديون حركة الإسلام في فوتاجالون فأصبحت إسلامية في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي . وزاد انتشارا بحركة عثمان دان فوديو

ب- بلاد السودان : وسلك الإسلام إليها الطرق التالية :

1- من مصر إلى النوبة إلى البرنو إلى بلاد الهوسا .
2- من طريق الحبشة إلى اليوروبا والأشانتي .
3- من شمال أفريقيا عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغربي .

وقد مثلت منطقة تشاد نقطة اللقاء الإسلامي القادم من المشرق ومن المغرب . وتكونت دول إسلامية شهيرة مثل : دولة البرنو والكانم ، ودولة مالي ، ودولة صنغي والحوصا والفولاني . وكلها ارتبطت بعلاقات قوية مع ديار الإسلام وخاصة مصر والمغرب والأندلس . كما ظهرت فيها حواضر إسلامية كانت مراكز للعلم والثقافة مثل : كانو ، وجني وتمبكتو ، وفلاتة ، وجوبير ، ومالي .

5- طريق المحيط الهندي : وقد سلكها التجار والدعاة من الجنوب العربي وعمان وفارس والهند – كما وصل الإسلام في الوقت الحاضر إلى شرقي أفريقيا وجنوبها بواسطة المسلمين الهنود والماليزيين والإندونيسيين ، ونشطت الدعوات الخارجة على الإسلام كالدعوة الإسماعيلية والقاديانية في كينيا وتانزانيا وجنوب أفريقيا عن هذه الطريق وعلى الإجمال فقد اتسم تقدم الإسلام في أفريقيا بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة .